Iqbal Library

$\frac{9l}{39}$

A-9
vol. III

(۹)

اے

جلد ثالث

۲۹۷۰۵۹

ذيل الوزير ابي شجاع

وهو ﴿ الجزء الثالث ﴾ من القسم الاخير من

كتاب تجارب الامم

لابي على احمد بن محمد

المعروف بمسكويه

﴿ تنبيه مهم ﴾

انما قدمنا طبع هذا القسم الاخير وهو المجلد (الخامس والسادس) من تجارب الامم مع ذيله للوزير أبي شجاع لان تاريخ الطبرى ينتهي الى سنة ٣٠٢ وهذا القسم يبتدىء من سنة ٢٩٥ وينتهي مع ذيله الى سنة ٣٩٠ فهو كالتكملة والذيل له ولان مؤلفه (ابن مسكويه) كان خازن عضد الدولة فشاهد بعينه وباشر بنفسه معظم حوادثه فهو أعظم تاريخ لخلفاء بنى العباس وملوك الديلم ويكفى لتقريظ تجارب الامم ما جاء في كشف الظنون من قوله (فهو كتاب جليل القدر عظيم النفع)

كل من أراد هذا الكتاب وفتاوى ابن تيمية واعلام الموقعين ومجموعة حواشي الا[illegible] عشرية على العقائد النسفية وستة حواشي على الشمسية وشروح منظومتى الك[illegible] الاصولية والفروعية ومجموعة متون مسلم الثبوت والمختصر والمنهاج [illegible]كردي الصحيح وبشرى العالم بترك المحاربات واتفاق الامم [illegible]
١٩١[illegible] م
(فرج الله زكي الكردى) بجوار الازهر [illegible]

﴿ الجزء الاول ﴾

من

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تصنيف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردى
والشيخ مصطفى القباني الدمشقي

(تنبيه) لا يجوز لاحد ان يطبع (الجواب الصحيح)
من هذه النسخة وكل من طبعها يكون مكلفا بابراز اصل قديم
يثبت انه طبع منه والا يكون مسئولا عن التعويض قانونا
فرج الله زكى

سنة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م

(طبع بمطبعة النيل بشارع محمد على بدرب المنجمة بمصر)

KASHMIR UNIVERSITY
Iqbal Library
Acc. No 3057[illegible]
Dated 3-5[illegible]

ALLAMA IQBAL LIBRARY
305741

ذيل

كتاب تجارب الأمم

للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب

﴿ ظهير الدين الروذراورى من سنة ٣٦٩ الى ٣٨٩ ﴾

﴿ وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابى الكاتب الى سنة ٣٩٣ ﴾

مع نخب من تواريخ شتى تتعلق بالأمور المذكورة فيه

وقد اعتنى بالنسخ والتصحيح هـ ف آمدروز

﴿ يحتوى على حوادث (٢٥) سنة من ٣٦٩ الى ٣٩٣ هجرية ﴾

وكان هذا الوضع الجليل والطبع الجميل بمعرفة الفقير الى ربه فرج الله زكى الكردي

بمطبعته بشركة التمدن الصناعية بمصر المحمية سنة ١٣٣٤ هـ و ١٩١٦ م

﴿ ترجمة المؤلف عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي ﴾

قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٤٨٨ : محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذراورى وزر للمقتدى بالله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير سنة ٧٦ وصرف سنة ٨٤ وأعيد ابن جهير ولما عزل قال

تولاها وليس له عدو … وفارقها وليس له صديق

ثم انه حج وجاور بالمدينة الى ان مات بها كهلا وكان دينا عالما من محاسن الوزراء قال العماد الكاتب : لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين والشرع مثله وكان عصره أحسن العصور رحمه الله . وقال صاحب المرآة : ولما ولى وزارة المقتدى كان سليما من الطمع في المال لانه كان يملك حينئذ ستمائة ألف دينار فانفقها في الخيرات والصدقات قال أبو جعفر الخرقى : كنت أنا واحداً من عشرة تتولى اخراج صدقاته فحسبت ما خرج على يدى فكان مائة الف دينار وكان يبيع الخطوط الحسنة ويتصدق بها ويقول : أنا أحب الاشياء الىّ الدينار والخط الحسن فانا أتصدق بمحبوبى لله . وجاءته قصة بان امرأة وأربعة أيتام عرايا فبعث من يكسوهم وقال : والله لا ألبس ثيابي حتى ترجع . وتعرى فعاد الغلام وهو يرعد من البرد . وكان قد ترك الاحتجاب ويكلم المرأة والصبي ويحضر مجالسة الفقهاء والعوام لا يمنع أحدا . وأسقطت المكوس فى أيامه وألبس الذمة الغيار ومحاسنه كثيرة وصدقاته غزيرة وتواضعه أمر عجيب فرحمه الله تعالى

ووردت ترجمة أبى شجاع الروذراورى فى وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٩١ وفيها انه عمل ذيلا على كتاب تجارب الامم

مقدمة المؤلف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم (٢) ﴾

(وبه ثقتي)

أما بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه أهل الحمد والثناء . المفرد بالوحدانية والبقاء الذى لا يحيط به مكان . ولا يغيره زمان . لا اله الا هو مبدع المكان وموجده . ومحدث الزمان ومنفده . خالق الخلق أطواراً . وجاعل الظلمة والضياء ليلا ونهاراً . كتب على الخلائق تقلب الاحوال لانه لا يحول . وقضى على الازمنة حكم الزوال لانه

لا يزول . والصلاة على رسوله محمد الذى بعثه بالرسالة . وهدى به من الضلالة . وأنقذ بمعرفته من الجهالة . ودل على نبوته بافضـل الدلالة . واختاره من أشرف البلاد وطنا وداراً . واصطفاه من أكرم العباد حسبا ونجارا . حيث المشعر الحرام والمشعر الكرام . وجعله آخر الانبياء بعثا في الدنيا الى العباد . وأولهم بعثا الى المعاد . وجعلنا من أمته الذين جعلهم أمة وسطا . وأبان لهم من الاسلام منهجا جددا . ووفقهم فى الدين فتحروا رشـدا . فقولهم سـديد . وفعلهم رشـيد . وهم شهداء على الناس والرسول عليهم شهيد . وعلى آله الذين سبقوا الى مصاحبته وسعدوا بمرافقته . (٣) وشرفوا بمتابعتـه في هجرته . وكرموا بايوائه ونصرته . فهم معالم الهـدي . ومصابيح الدجا . كدرارى النجوم تهدي السارى بنورها . وتقي الغاوي من فتنة الدنيا وغرورها .

والدعاء لخليفته الامام المقتدى بامر الله أمير المؤمنين صاحب العصر المؤيد بالنصر المختار من شجرة طيبة الشرف والعلاء . أصلها ثابت وفرعها فى السماء . شربت من ماء النبوة الطاهرة عيدانها . وتفرعت بالخلافة الظاهرة أفنانها . كما قال جـده العباس لبعض أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين : كان رسول الله دوحـة نحن أغصانها . وأنتم جيرانها . وهو المنصب العظيم . من المحتد الصميم . والبيت الكريم . الذى أول درجاته النبوة والكرامة . وثانيهما الخلافة والامامة . ولا ثالث لهـا بعـد ذلك الى القيامة . توارثهـا امام عن امام . وقام بها أمير المؤمنين المقتدى بامر الله خير قيام .

ان الذى رفع السماء بنى لهم بيتا دعائمه أعز وأطول (١)

شد الله عضده بذخر الدين . وولى عهده فى المسلمين . وباخوته الغر الميامين . وجعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين . (٤) وأيد دولته بجلالها الذاب عن حماها. المناضل عن علاها . جمال الملة مغيث الامة معز الدنيا والدين يمين أمير المؤمنين الملك العادل المحبب الى القـلوب . والركن الشـديد المعد لدفع الخطوب . ودبر ملـكه بنظامه المبارك في أيامه . قوام الدين رضى أمير المؤمنين الوزير الظهير . الموفق بحسن التدبير .

وبعد أداء الفروض المقدمة الواجبة . والسنن المؤكدة الراتبة . وقضاء حقوقها المستثبتة الازلية وسلوك طرقها المستقيمة اللاحبة . فان أولى ماصنفه المفيد . وعني بقراءته المستفيد . جمع أخبار الامم الخالية . وحفظ تواريخ الازمان الماضـية . لانها أوفي المصنفات فائدة وأكثرها عائدة . وأحسنها أثرا . وأطيبها ثمرا . اذ كان أنفع العلوم ما أدت مقاصده الى

(١) بيت الفرزدق وليراجع كتاب الاغانى ٧ : ٥٦

التوحيد . ووقفت موارده على تثبيت قدرة الخالق في نفوس العبيد . وفى تدبر اختلاف الليل والنهار . وتأمل مجارى الاقدار وتقلب الادوار . في توالى الامم وتعاقبها . وتداول الدول وتناوبها . قال الله تعالى : وتلك الايام نداولها بين الناس . اكبر دليل على وحدانية من ينبتهم ثم يحصدهم (٥) ويشقيهم ويسعدهم . وينشئهم ويبيدهم . ويعيدهم . ويحييهم ويميتهم وهو على جمعهم اذا يشاء قدير . تبارك اسـمه وجـل ثناؤه . وعظمت قدرته وكثرت آلاؤه . مرجع الخلق والامر اليه وبيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه له الحمد كله وبتوفيقه يتضح في الرشاد سبله فلا عبادة اذاً أرقى من التوحيد فموقعه من العبادات موقع الرأس من الجسد به اعتداله وبقاؤه . ومحله من الاعتقادات محل الروح من الجسم بها حياته وعلاؤه . ولولم يكن علم القصص عظيما لما من الله تعالى به على نبيه عليه السـلام فقال : نحن نقص عليك أحسـن القصص بما أوحينا اليك هـذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال سبحانه طسم تلك آيات الـكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون وقال تعالي : كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقدآتيناك من لدنا ذكراً) ولو لم يكن في ذلك الا ما ينتفع به المعتبر من قلة الثقة بالدنيا الفانية . وكثرة الرغبة فى الآخرة الباقيـة . لكفى ما تنتجه هـذه البصـيرة من جميل الافعال . وتحث عليه هذه النتيجة من صالح (٦) الاعمال . فكيف وأولى مايعتمده أولو الامر وأصحاب الزمان . ومن بايديهم مقاليد الملك والسلطان . وأوجب ما يتشاغل به من اليهم أزمة الامور . وعليهم سياسة الجمهور . ادمان النظر في كتب التاريخ واحسان التتبع للاخبار . والآثار والتفكر في حال من مضي من الاخيار والاشرار . ليعلموا مابقى للمحسن من الصيت الحميد الذى صار له حياة مخلدة وبالاجر (١) الذى اكتسبه . وللمسيء من الذكر القبيح الذى جعل صحيفته مسودة بالوزر الذى احتقبه . ويتصفحوا حال الحازم فى حزمه وعقله . والمضيع فى تفريطه وجهله . فيسلـكوا من الطرائق أوضحها وأمثلها . ويتقبلوا من الخلائق أشرفها وأفضلها . ويردوا من المشارب أصفاها وأعذبها . ويرعوا من المراتع امرأها واخصبها . ويأخذوا من الامور بأحزمها . ومن التجارب بأحكمها . فمهما يكن من حسـنة اقتبسوا منها . ومهما يكن من سيئة ارتدعوا عنهـا . فالسعيد من انتفع بالادب فيما دأب غيره فيه من التجارب . والرابح من حظى بالراحة فيما تعب به سواه من المطالب . لان العقل غريزة في الانسان . والتجارب مكتسبة في الزمان . والرأى (٧) لقاح العقل والتجربة نتاجه . والخير مقصد الحجي والاجتهاد منهاجه . ومن أين للانسان

(١) لعله ومن الاجر

من العمر الطويل . ما يحصل فيه على تجربة الدقيق والجليل . وقيل : العمر قصير والعلم كثير (١) فخذوا من كل شيء أحسنه

فاذا تأمل المرء سيرة الماضين من الاقوام . جنى مع تقارب الشهور والايام . ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والاعوام . وعلم علل الاحوال وفوائدها . وحيل الرجال ومكايدها . وعرف مبادىء الامور ومصائرها . وقاس عليها أشباهها ونظائرها . وعمل بأنفع ما حيي به من الفهم والعلم . وانتفع بأصوب ما عمل به في الحرب والسلم : وأقدم على المواطن التي يرتجى فى أمثالها الظفر . وأحجم عن الاماكن التى يتوقى فى أشكالها الحذر . وتسلى بمن تدرع الجلد عند حدوث النوائب . وتأسى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب . وذكر مصير العاقبة اذ ارخت يد الغفلة عنان أشره . ونظر بالبصيرة الثاقبة اذ غطى غرور الدنيا على بصره .

فهذان القسمان يجمعان الدين والدنيا . ويبلغان بصاحبهما الدرجة العليا . فاما ما في ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة . وأنس المحادثة والمسامرة . فقد (٨) خففت القول فيه لانه يصغر في جنب ماقدمت ذكره من القسمين العظيمين . والامرين الجسيمين . كما قال النبي صلعم : كل الصيد فى جوف الفراء (٢)

وانني تأملت كتاب تجارب الامم . وعواقب الهمم . الذى صنفه ﴿ أبو على أحمد بن محمدبن يعقوب مسكويه ﴾ فوجدت فوائده غزيره . ومنافعه كثيرة . وعلمه جما . وبحره خضما . فراقنى تأليفه . وأعجبنى تصنيفه . فرحم الله مصنفه وأجزل فى الآخرة أجره . كما طيب في الدنيا ذكره . فلقد اختار فاحسن الاختيار . ومخض فأتي بزبد الاخبار . وسلك سبيلا وسطا بين التطويل والاختصار . ثم لم يقنع بذلك حتى قرب مسالك الطرق البعيدة . وبرز من أثناء الاختيار ذكر الاراء السديدة . ونبه فيها على مقامات حميدة . وبين ما جرى في كل وقت من خدعة ومكيدة . لئلا يبعد من يد المتناول قطف الثمرة اليانعة . ولا يطول على فكر المتأمل وجود الزبدة النافعة . وأحر به ذلك فان فضله وان لم يدرك زمانه باقي النفع بادى الاثر . والروض ينبيء عن فضيلة الغيث وان ولى أوان المطر . فدعاني وقوف همتى عليه الى اقتفاء أثره . (٩) وسلوك ما سنه فى ورده وصدره . وصلا لسلك الذى بنا (٣) بنظامه . ونيابة عنه في تشييد ما بناه بعد انقضاء أيامه . وسنة لمن بعدنا يستمر الآتي منها على سيرة الغابر . ويتصل بحبل الاول فيها حبل الآخر . لا تعاطيا منا للمساجلة . ولا عاديا في المماثلة . لا مجاراة في المضمار . ولا

(١) هذا الرأى منسوب الى بقراط اليونانى (٢) ليراجع كتاب الميدانى (٣) لعله بدا

مساواة في الاختيار . ولا ماقاله زهير (١)

هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا

فهيهات كيف الطمع في اللحاق . وقد شأى المتقدم في السباق . لا سيما وطرف الفصاحة تحتي كاب . وحد البلاغة في يدى ناب . فأين المصلى . من المجلى . وأين الكهام . من الحسام . وأين السنيح من المعلى . وأين العاطل من المحلى . أريها السها وتريني القمر ولكنى أقول ما قاله في البيت الثاني

أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا

هذا لعمري أقرب الى الصواب . وأليق بهذا الباب . فأحسنت القياس وسلمت قصبة السباق وأعطيت القوس باريها . وأنشدت الضالة باغيها . (١٠)

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة اذاً لشفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها فكان الفضل للمتقدم (٢)

ثم ان للتصنيف رجالا عنوا بامره وعاموا في بحره . وأنسوا بجمع شارده . وتفردوا بنظم فرائده . وصاروا بصدده . واستولوا على أمده . فهم لقسيه براة . والى غرضه رماة . وفي طرقه هداة . وقد ربيت في غير هذا الوكر . وسقيت من غير هذا الدر . وتحليت بغير هذه الصناعة فان قصرت عن بلوغ معانيه . فاحذوا العذر في العجز وان وقع سهمي دون مراميه . فاعذر فالنزع (٣) في القوس لين فلمن سبقنا فضيلة الجمع والاستكثار . ولنا من بعدهم وسيلة الاختيار والاختصار . وكل مجتهد مصيب . وله من حسن الذكر نصيب فسلمت الى من تقدمنا الفضل في زمانهم لمحاسن تلك العلوم المشهورة . ولو انهم أدركوا زماننا لسلموا الفضل الينا بمحاسن هذه الدولة المنصورة . دولة الامام المقتدي بامر الله أمير المؤمنين ذي الكرم والفخار . والحلم والوقار . والاخلاق الطاهرة . والافعال الباهرة . والكرامات العجيبة في المنشأ والمولد . والدلالات الصحيحة في المغيب والمشهد . به أنقذ الله الرجاء من أسر اليأس (١١) وألقي عليه محبة قلوب من الناس . بعد ان فجعوا بذخيرة الدين (وليس للقائم رضوان الله عليهما عقيب سواه . ولا للبيت أحد يصلح للعهد فيولاه) فتقطعت النفوس حسرات . وترجمت الانفاس زفرات . وبكت الملة واستولت الوحشة والغمة فأتى الحمل الميمون به لتمام . وبدا وجهه المنير فجلا كل ظلام . وسارت « البشري » بذكره في سائر الآفاق . وزهت أعواد

(١) ليراجع قصيدته التى أولها بان الخليط أجد البين فانفرقا (٢) البيتان لعدى بن الرقاع (٣) لعله فاعذروا لنزع

المنابر باسمه حتى كادت تعود للايراق . ثم كلاه في الفتنة الحادثة أحسن كلاءة بين أعاديه . وألحفه جناحا من الحياطة ستره بين قوادمه وخوافيه . فكانت قصته كقصة موسى عليه السلام حين القى صغيرا فى اليم . ونجا كبيرا من الغم . وأعاد القائم بأمر الله رضوان الله عليه الي مقر سلطانه . وفسح فى مدته وبارك في زمانه . لاتمام عهده . وانجاز وعده حتى يسلم الامر منه على حين السن المستحقة لتسلم أسبابه . وتقمص جلبابه . فكان ذخيرة الدين خلفا لنجله . وكان القائم بأمر الله عاد في تلك النوبة لاجله . فاستحق بنفسه وارثه شرف الخلافة العظيمة . وحوى فى شرخ الشبيبة جميع محاسن الاخلاق الكريمة وارتقي من المجد ما لا تبلغ الاوهام ذروته . (١٢) واجتني من الحلم ما لا تحل الايام حبوته . وساس الامور بهمة علية . وسيرة رضية . وخلافة جاءت كالنصر من السماء . ولم يكن مثل ذلك لامثاله من الخلفاء وكأنما عناه أبو العتاهية بقوله

أتته الخلافة منقادة ... اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له ... ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الارض زلزالها

فما خلا متقلد للخلافة في عصر ممن ينازع فى ردائها ويجاذب على عنانها ، ويترشح لحلها ويتطاول لمكانها . الى أن يستقر الرأي في قراره . ويجتمع الامر من أقطاره . الا امام عصرنا المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين فانه تفرد فى عصره بهذا الاستحقاق . واجتمعت الكلمة عليه لوقتها بالاصطلاح والاتفاق . فلم يخطر منازعته بخلد ولا ببال . ولو كان الزمان ذا لسان لقال «هذا صاحبي بلا مراء ولا جدال» لاجرم أن سعادته مخصوصة بأوفى كمال . محروسة باذن الله تعالى عن نقصان وزوال . ودولته محوطة بأكرم ظهير وموال .

وأنى يكون للدول الاولى مثل جلال الدولة بن عضد الدولة الهمام ابن الهمام الملك (١٣) عضد الدولة المعظم من الاخوال والاعمام . الحامي حوزة الاسلام . الملبي لدعوة الامام . الذى كرم طرفاه . وعظم شرفاه . ودانت لصولته الامم . وانكشفت بدولته الظلم . وجرت بنصرته الاقدار . وانفتحت على يديه الفتوح الكبار . أطول الملوك باعاً . وأحسنهم في الدين ذبا ودفاعاً . فهو تاج على جبين الايام الزاهرة المقتدية يزيد فى أنوارها . وركن الدولة القاهرة العباسية يدفع عن أقطارها . زاد على أنوشروان بفضله وبعدله . وأوفي على بهرام ببأسه ونجدته . وفضل أردشير بتدبيره وسياسته . وساوي الاسكندر بملكه وبسطته . فالشرق والمغرب مذعنان لطاعته . والبدو والحاضر

منقادان لتباعته . كل ذلك ببركات مخالصته لامامه . وحسن نيته في بحبة أيامه .

وأين كان لتدبير الاقاليم وزم أمورها . وحفظ الممالك وصد ثغورها . مثل نظام الملك قوام الدين الذى أعد للخطوب أقرانها . حين عجم بالتجربة عيدانها . وجمع رياسة السيف والقلم . لما كفل بسياسة العرب والعجم . بنقيبة في الدولة ميمونة . وسريرة في النصيحة مأمونة . وحزم لا يشان بهفوة . وعزم لا يخان بنبوة . وخلق لا تجد فيه عنفا . ورأى لا (١٤) ترى فيه ضعفا . وهيبة مع طلاقة بشر . وتواضع مع رفعة قدر . فاذا قيل له اتق الله سمع وأطاع . واذا خوف بالله خاف وارتاع . فافعاله أفعال العباد . وأخلاقه أخلاق الزهاد . مع انقياد الدنيا له في الاصدار والايراد . ونفاذ أمره على الرعايا والاجناد . وجمعه فى منهل العدل بين الظباء والآساد .

فاى دولة تباهى هذه الدولة القاهرة في مناقبها ومآثرها . وأي أيام تضاهي هذه الايام الزاهرة في محاسنها ومفاخرها . وأى قول ينتهي الى حد وصفها وان امتد وطال . وأي بليغ يبلغ أمد فضلها وان أسهب وقال .

فأعود الان الي ذكر ما أنا قاصده من الاختيار . متبرئاً من عهدة ما أورده من الاخبار . لاني أتبع في كتاب التاريخ مسطورها . فاختار بحسب المعرفة عقودها وميسورها . وما عساه يندر من خبر شاذ تلقف من أفواه الرجال . وخلا التاريخ من ذكره اما لخفاء أو نسيان أو اغفال . فانه يثبت في بواطنه . وينظم مع قرائنه . واذا انهيت انشاء الله سبحانه الى أخبار زماننا اتسع المجال . وأمكن المقال . وعمدت حينئذ الى ما شاهدناه وخبرناه فاخبرت به على وجهه وذكرته مجتهدا في التحرى وبحسب الامكان الذى لا أقدر على سواه . (١٥) وبقدر الوسع الذي لا يكلف الله نفسا الا اياه .

وأول ما ابدأ به الان فى كتابي هو آخر ما ختم أبو على مسكويه رحمه الله به
كتابه في سنة ٣٦٩ والله تعالى ولى حسن التوفيق . والهادي فى
جميع المقاصد الى سواء الطريق . وبه أعوذ من الخطل .
واعتصم من الزلل . واياه أسئل خاتمة
جميلة . بالمغفرة كفيلة .
انه غفور رحيم

﴿ انتهت المقدمة ﴾

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر عضد الدولة عند توجهه الى الجبل ﴾

رحل بالعسكر من المصلى في يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجة وقد استصحب أبا عبد الله الحسين بن سعدان ينفذ الامور بين يدى عضد الدولة واليه عرض العسكر. فلما حصل بين حلوان وقرميسين عاده المرض الذى كان عرض له من قبل وحجب الناس عنه حجابا وقع به الارجاف والاضطراب ثم أفاق وظهر وركب الي قرميسين. ووافاه بنو حسنويه وقد كانوا راسلوا وبذلوا الطاعة بوساطة أبي نصر خواشاذه الا أنه لم يقدر أنهم يأنسون الى الحضور بأجمعهم(١٦)

﴿ ذكر القبض على بعض أولاد حسنويه واصطناع بعضهم ﴾

حضروا المعسكر فاقعدو فى خركاه من وراء السرادق ووكل بهم خواص الديلم وغلمان الجيول ورتب الاعراب والا كراد والرجالة (و) الفرس من حوالى المعسكر وبظاهر البلد لئلا يفلت منهم أحد أو من أصحابهم وقبض منهم على عبد الرازق وأبى العلاء وأبي عدنان وبختيار وعلى كتابهم وأسبابهم ووجوه الاكراد الذين معهم. واستدعى بدر عاصم وعبد الملك ووصلوا الى حضرة عضد الدولة وخاطبهم بما رآه من واصطناعهم وحملوا الى الخزانة فخلع على بدر القباء والسيف والمنطقة الذهب وحمل على فرس بمركب ذهب وقلد زعامة الاكراد البرزيكاني ومن يجرى مجراهم وخلع على كل واحد من عاصم وعبد الملك الدراعة الديباج والسيف بالحمائل وحملا على دابتين بمركبين مذهبين ووضع على كل من كان مع المقبوض عليهم من الاكراد السيف ونهبت حللهم بما فيها. ونفذ أبو الوفاء

طاهر بن محمد الى قلعة سرماج فافتتحها (١٧) وأخذ ما كان فيها من ذخائر حسنويه . (١)

﴿ ودخلت سنة سبعين وثلثمائة ﴾

وسار عضد الدولة الى نهاوند وأقام بها ورتب العمال في النواحي وجدّ في تناول الموجود لانه كان من رأيه أن يجعل همذان ونهاوند لمؤيد الدولة ويستضيف الدينور وقرميسين وما يجرى مجراهما الى أعمال العراق . ثم انتقل فى صفر من نهاوند الى همذان ونزل دار فخر الدولة بها .

﴿ ذكر ورود الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد (٢) ﴾

في هذا الشهر ورد الصاحب ابن عباد الخدمة عن مؤيد الدولة وعن نفسه فتلقاه عضد الدولة على بعد من البلد وبالغ في اكرامه ورسم لاكابر كتابه وأصحابه تعظيمه ففعلوا ذلك حتى انهم كانوا يغشونه مدة مقامه مواصلة ولم يركب هو الي أحد منهم وكان غرض عضد الدولة بذلك استمالة

---

(١) قال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : وفي صفر سنه ٣٧٢ قبض عضد الدولة على أبي الوفاء وحمل الى قلعة الماهكي ثم قتل بعد وفاة عضد الدولة . وقال أبو الفرج ابن الجوزى في كتابه عجائب البدائع (كتبخانة باريس ١٥٦٧) ومن عجائب الاتفاقات العجيبة في المقادير وهو ماذكره هلال بن المحسن بن أبي اسحاق الصابي في تاريخه ان أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان انه لما وزر لصمصام الدولة كان أبوالوفاء طاهر بن محمد معتقلا في بعض القلاع وكان أبو عبد الله ابن سعدان يعاديه فانفذ حاجبا لقتله وحمل رأسه فلما قتله أحضر رأسه اليه فشاهده وأمر بدفنه تحت درجة داره بما يلي دجلة . ثم قتل أبو عبد الله ابن سعدان بعد ذلك ورمي رأسه وجثته الى دجلة ولم يزل الماء يقدو برأسه وجثته حتى انتهى به الى مشرعة دار أبي الوفاء طاهر بن محمد فأخذه الملاحون ودفنوه تحت درجة أبي الوفاء والجزاء من جنس العمل .

(٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٢ : ٢٧٣

مؤيد الدولة وتأنيس[١٨] الصاحب .

ووردت كتب مؤيد الدولة يستطيل مقام الصاحب ويذكر اضطراب أموره بعده فوقع الشروع في تقرير ارتفاع همذان ونهاوند معهما عليه وتولى أبو عبد الله محمد بن الهيثم عمل العمل بالارتفاع .

﴿ ذكر عمل رتب في تكثير اعتداد بارتفاع ﴾

صدر العمل بأن قال : مبلغ ارتفاع النواحى الفلانية . وتمم الحكاية عن كذا وكذا ورقا صحاحا . من الورق ينفد الخرج كذا وكذا . وأضاف اليه الربع اعتمادا للتكثير . وأنفذ العمل مع أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبي الوفاء طاهر بن محمد وأبي عبد الله ابن سعدان الى الصاحب أبي القاسم ورسم لابي عبد الله الحضور معهم عنده وموافقته على أبوابه ففعل واستوفي مناظرته وكمل الارتفاع بزيادة على موجوده .

﴿ ذكر عود عضد الدولة الى مدينة السلام[١٩] ﴾

برز عضد الدولة الى ظاهر همذان في شهر ربيع الآخر للعود الي مدينة السلام وخلع على الصاحب الخلع الجليلة وحمله على فرس بمركب ذهب ونصب له دستا كاملا في خركاه يتصل بمضاربه وأجلسه فيه وأقطعه ضياعا جليلة من نواحى فارس وحمل الي مؤيد الدولة في صحبته ألطافا كثيرة وضم اليه من العسكر المستأمن عن فخر الدولة عددا ليكونوا برسم خدمة مؤيد الدولة

﴿ ذكر ما جري عليه أحوال أولاد حسنويه بعد وما جره ﴾

(الحسد من القاه من نجا منهم بيده الى التهلكه)

لما قدم بدر وفضل بالسيف والمنطقة احفظ ذلك عاصما وأوحشه ....

وأقام قليلا ثم انحاز الي الاكراد المخالفين خالعاً للطاعة منابذا لبدر . فاخرج اليه أبو الفضل المظفر بن محمود في عدة من الاولياء حتى أوقع بمحمود وأخذه أسيرا وأدخله همذان راكب جمل بدراعة ديباج ولم يعرف له خبر بعد ذلك وتفرد بدر بالخدمة والانتساب [٢٠] الى الحجبة . وقتل جميع أولاد حسنويه .

وفي هذه السنة ورد الكتاب بان أبا على الحسن بن محمان أخذ المعروف بالصيداوي وقتله

﴿ ذكر حيلة تمت على الصيداوى حتى أخذ وقتل ﴾

كان هذا الرجل أحد قطاع الطريق فى أعمال سقي الفرات فاحتال أبو على ابن محمان فى أخذه بأن دسّ عليه جماعة من الصعاليك أظهروا الانحياز اليه فلما خالطوه قبضوا عليه وحملوه أسيرا الى الكوفة فقتله وأنفذ رأسه الى مدينة السلام فشهره بها

وفي هذه السنة ورد كتاب أبى على الحسن بن على التميمي بالقبض على ورد الرومى [١]

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما توفى أرمانوس ملك الروم اتفق أن نقفور الدمستق وهو رجل ذو سياسة وصرامة كان قد خرج الي بعض بلاد الاسلام ونكأ فيها ثم عاد فعرف خبر وفاة ارمانوس حين قرب من القسطنطينية [٢١] فاجتمع اليه وجوه الجند وقالوا له : ان الملك قد مضى وخلف ولدين لا غناء عندهما مع صغر سنهما وما يصلح للنيابة عنهما فى تدبير الملك غيرك ونحن نرى ذلك

(١) هو السقلاروس قد تقدم ذكره

من المصلحة للناس والمملكة . فامتنع فراجعوه حتى أجابهم ودخل الي الملكين وخدمهما وأظهر الحجبة لهما والنيابة عنهما ثم لبس التاج وتزوج بوالدتهما ثم وقع منه جفاء لها استوحشت به منه

﴿ ذكر تدبير دبرته المرأة حتي تم لها قتل نقفور لقلة حزمه ﴾

راسلت ابن الشمشقيق وأطمعته في قتل نقفور واقامته مقامه فى التدبير واستقر الامر بينهما على ان صار هو وعشرة نفر من خواصه سراً الى البلاط التى تنزلها هي ونقفور فادخلته ليلا وكان نقفور يجلس أكثر الليل للنظر فى الامور وقراءة السير ويبيت على باب البيت الذى يأوي الي فراشه فيه خادمان فلما حصل ابن الشمشقيق داخل البلاط هجموا على الموضع وقتلوا الخادمين وأفضوا الى نقفور وقتلوه ووقعت الصيحة وظهرت القصة واستولى ابن الشمشقيق على [٢٢] الامر وقبض على لاون أخى نقفور وعلى ورد بن لاون [١] فاما لاون فانه كحله وأما ورد فانه حمله الي قلعة في البحر واعتقله . وسار الى أعمال الشام وفعل فيها الافاعيل وانتهى الى طرابلس فامتنع عليه أهلها فنزل عليهم ونازلهم [٢] .

فكان لام الملكين أخ خصيّ واليه وزارة الملك منذ أيام الملك أرمانوس واسمه بركموس [٣] فقيل انه دس على ابن الشمشقيق سما في طعام او فى شراب فأحس به ابن الشمشقيق فى بدنه فسار عائداً الي قسطنطينية وتوفى فى طريقه واستولى بركموس على الامر .

وكان ورد بن منير [٤] كبيرا من كبراء أصحاب الجيوش ومقيما في بعض

(١) هو الففاس ﴿ ورديس ﴾ (٢) ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسي ص ١٤ — ١٢
(٣) هو باسيل أخ الجدة الملكين (٤) هو السقلاروس

الاعمال فطمع فى الامر وجمع الجموع واستجاش بالمسلمين من الثغور وكاتب اباتغلب ابن حمدان وواصله وصاهره. واخرج الملكان اليه عسكرا بعد عسكر فكسرهم واستظهر وسار الي القسطنطينية ودهم الملكين ما ضاقا به ذرعا فاطلقاورديس بن لاون واصطنعاه واستحلفاه على المناصحة وأنفذاه للقاء ورد في الجيوش الكثيرة وجرت بينهما وقائع ابلى كل واحد منهما بلاء ظاهرا حتى تبارزا وتضاربا باللتوت الى ان وقعت خُوَذُهُما عن رؤوسهما.

ثم انهزم ورد ودخل الى بلاد [٢٣] الاسلام مفلولا وحصل بظاهر ميافارقين على نحو فرسخ منها (وأبو علىَ الحسن بن على التميمى الحاجب اذ ذاك بها) وراسل عضد الدولة وأنفذ أخاه اليه فأحسن تقبّله ووثق اليه بخطه وأعاده عليه بوعد جميل فى انجاده.

وتلاه رسول ملك الروم يلاطف عضد الدولة فى أمره [١] فقوي في نفسه ترجيح جانب ملك الروم على ورد وبدا له رأى في تدبير القبض عليه فكاتب أبا على التميمى بالتوصل الى تحصيله. فخرج أبو على اليه بعد مراسلة ترددت بينهما في الاجتماع وقبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه وحملهم الى ميافارقين ثم أنفذهم الى مدينة السلام.

﴿رأى صواب رآه أصحاب ورد وأشاروا عليه فأهمله واستبد برأيه﴾

كان وجوه أصحاب ورد اجتمعوا اليه قبل القبض عليه وقالوا: لسنا نرى أمرنا مع عضد الدولة مستقراً عن نصرة ومعونة وقد تردد بينه وبين ملكى الروم في معنانا وانا لا نأمن أن يرغباه [٢٤] فينا فيسلمنا والوجه الاستظهار وترك الاغترار وان نفارق موضعنا عائدين الى بلاد الروم على صلح

(١) قد ذكر صاحب تجارب الامم هذه الرسالة فيما تقدم

ان أمكننا أو حرب نبذل فيه جهدنا فاما ظفرنا أو مضينا أعزاء كراما . فقال: ما هذا رأى ولا رأينا من عضد الدولة الا الجميل ولا يجوز أن نقصده ثم نصرف عنه من قبل أن نبلو ما عنده . فلما خالفهم وتركهم تركه كثير منهم وفارقوه .

فاقام ورد وأخوه وولده وتحصلوا فى الاعتقال الي ان افرج عنهم صمصام الدولة في آخر أيامه على ما يأتى ذكره فيما بعد ان شاء الله .

﴿ ذكر ما جري عليه أمر فخر الدولة ﴾

لما صار الى قزوين بعد هزيمته من همذان قفل عنها الى بلاد الديلم وحصل بهوسم وأقام بها مدة . وترددت بينه وبين قابوس بن وشمكير[١] مراسلات وأيمان وعهود سببها الاجتماع على عداوة عضد الدولة ومؤيدها ثم سار الى خراسان لاستنجاد صاحبها .

﴿ ودخلت سنة احدي وسبعين وثلثمائة[٢٥] ﴾

كان عضد الدولة أنفذ أبا نصر خرشيد يزديار[٢] الى قابوس برسالة يستصلحه فيها فعاد بجواب ظاهره المغالطة و باطنه المباينة[٣] فسال عضد الدولة الطائع لله أن يعقد لمؤيد الدولة أبي منصور على أعمال جرجان وطبرستان وينفذ اليه العهد واللواء والخلع السلطانية فاجابه الى ذلك . وجلس فى محرم هذه السنة وجرد أباحرب زيار بن شهراكويه الي مؤيد الدولة مع عدد كثير وضم اليه أبو نصر خواشاذه وأصحاب خزائن المال والثياب والسلاح فوصلا الي مؤيد الدولة وهو معسكر بظاهر الرى وأوصلا اليه الخلع السلطانية

---

(١) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٦ : ١٤٣ (٢) وفى الاصل « بن رياد » والصواب فيما تقدم (٣) لعله الملاينة وليراجع التاريخ اليمينى ١٠٦ : ١ ص ١٢٨٦

فلبسها وركب فى العسكر وسار . فلما انتهوا الى استراباذ وبينها وبين طبرستان عشرة فراسخ وقابوس مقيم بها حفر بظاهرها خندقا أجري فيه المياه وبني عليه أبراجا رتب فيه الرماة وعمل على المطاولة ولم يهمل مع ذلك الاستعداد للمواقعة ان دعته ضرورة اليها ونزل مؤيد الدولة على فراسخ من البلد في موضع ماء وجده وأنفذ الى طبرستان من دخلها وملكها لان قابوس اخلاها وجمع العساكر عنده واحتشد بغاية جهده .

وطلعت طلائع العسكرين وتسلل قابوس بموضعه وتوقف (٢٦) مؤيد الدولة عن مقاربته اشفاقا من تعذر الماء واقام الفريقان على هذه الحال اياما

﴿ ذكر حرب جرت على غير ترتيب آل عقباها الى الخير والاتفاق ﴾

لم يزل مؤيد الدولة يجيل الرأي ويعمل التدبير الى ان عرف خبر واد بظاهر البلد يجتمع اليه مياه الامطار في ايام الشتاء وانه متى سدّت أرجاء تقاربه وأسيح ماؤها اليه أمكن النزول عليه فركب هو وجماعة من خواصه فى عدد قليل من الغلمان لمشاهدة الموضع وتقدم الى من كان خرج للمناوشة بالتوقف في ذلك اليوم وأقام على الجبل من يمنع ويرد . فما هو ان بعد عن العسكر حتى زحف الديلم منازعين الي لقاء القوم وقابلهم عسكر قابوس بمثل حالهم واشتد القتال وبلغ مؤيد الدولة ذلك فقامت عليه القيامة وأنفذ جماعة من الحجاب والنقباء فوجدوا الامر قد فات عن حد القبول فانكفأ حينئذ الي موضع المعسكر . ولم تزل (٢٧) الحرب قائمة على ساق الي أن صوّبت الشمس للغروب .

﴿ ذكر غلط جرى من قابوس في رد أصحابه بعد ان لاح له الضعف من مؤيد الدولة ﴾

وردّ قابوس أصحابه وعاد مؤيد الدولة الي معسكره وقد قتل من

أصحابه خلق وجرح أكثر ممن قتل من أصحاب قابوس وخرج فانفذ مؤيد الدولة بدر بن حسنويه في عدد كثير من الاتراك والاكراد الي الجبل الحاجز بين الفريقين ليضبطه اشفاقاً من أن يسير قابوس على أثرهم فانه لو تبعهم لنكا فيهم وبلغ مراده منهم . واحتاج مؤيد الدولة الى المقام اسبوعا حتي ثاب أصحابه واستراحوا وأجري الماء الي الوادى ثم سار ونزل عليه ثم استعد أربعة أيام وزحف بعدها في جميع العسكر . واشتبكت الحرب وحملت ميمنة مؤيد الدولة على ميسرة قابوس فكسرتها وفيها جمرة عسكره فانهزم ودخل البلد مخترقا الى جانبه الآخر وثبت القتال من ميمنة قابوس وفيها أخوه [٢٨] جركاس ساعتين بعد الهزيمة لانهم كانوا من وراء غيضة ولم يعلموا الصورة فلما عرف جركاس هزيمة قابوس انهزم لاحقا به . وأنفذ مؤيد الدولة جماعة فرسان من عسكره لاقتصاص أثره فنكب قابوس عن الطريق وسار ماراً علي القلاع معتقدا لصعود أحدها متي أرهقه طلبٌ الى أن حصل بنيسابور واجتمع مع فخر الدولة هناك .

ولما ملك فخر [١] الدولة استراباذ رتب أمورها واستخلف أحد أصحابه فيها وسار الى جرجان فنزلها وأقام بها وأنفذ أبا نصر خواشاذه الى الحضرة ببغداد في رسائل ووردها فى شهر رمضان مع الاسارى من أقارب قابوس ووجوه أصحابه فاعرض عضد الدولة عنه وأظهر الشكر [٢] له وأخرج أباعلى الحسن بن محمد الي جرجان .

﴿ ذكر خيانة في مشورة جرّت نكبة ﴾

كان عادة أبي نصر اذا أنفذ الى الرى وقرب منها ان يتلقاه الصاحب

---

(١) يظهر انه المراد مؤيد الدولة وليراجع التاريخ اليمينى ١٠٨ ـ ١١٠ الى ١ : ١١٠

(٢) كذا بالاصل

أبو القاسم ابن عباد واذا رآه أبو نصر أن يترجل له فلما (٢٩) خرج في هذا الوقت مع زيار أحب أن يفعل زيار مثل فعله لئلا يكون له في الامتناع منه زيادة رتبة عليه فقال له زيار قول المستشير: ما الذي ترى أن تفعل في خدمة الصاحب اذا لقيته؟ فقال: أنت أعلم الا أن عضد الدولة ينزله المنزلة الكبيرة ويؤثر أن يقضى حقه والذي أفعله أنا الترجل له ومتى فعلت ذلك لم تأمن أن يفعل مثل ذلك. فحمل زيارا على أن يترجل له عند خروجه لتلقيه ولم يترجل الصاحب ولا كان ممن ينقاد لهذا أو يسمح به وانما خدعه أبو نصر حتى تم غرضه. وبلغ عضد الدولة ذلك فغاظه غيظا عظيما أسره اشفاقاً من أن يتأدى الى الصاحب أبي القاسم فيه ما يوحشه فلما ورد أبو نصر وفي قلب عضد الدولة من (١) هذا الامر مافيه اطّرحه وأعرض عنه ثم قبض عليه بعد مدة وحمله الى بعض القلاع بفارس.

ولقابوس أبيات قالها بعد الهزيمة مستحسنة

قل للذى بصروف الدهر عيّرنا　　هل عاند الدهر الا من له خطرُ
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف　　ويستقر بأقصى قعره الدررُ
فان تكن نشبت أيدي الخطوب بنا　　ومسنا من توالى صرفها ضررُ (٣٠)
ففى السماء نجوم لا عداد لها　　وليس يكسف الا الشمس والقمرُ (٢)

وفيها سخط على القاضى أبى على المحسّن بن على التنوخي (٣) وألزم منزله وصرف عما كان يتقلدهُ

(١) في الاصل ما (٢) وردت الابيات فى ارشاد الاريب ٦ : ١٤٦ (٣) وفيه ترجمته أيضا ٦ : ٢٥١ وهذه الحكاية موجودة فيه ص ٢٦١ رواية عن أبي الحسن هلال الصابي وفيه أيضا ص ٢٥٥ ان الهائم أبو على هو أحمد بن على المدائني.

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان التنوخي مع عضد الدولة بهمذان فاتفق يوما انه مضى الى أبي بكر بن شاهويه وكان صديقه ومعه أبو علي الهائم فجلسا يتحدثان في خركاه وأبو علي على بابها وقال ابن شاهويه للتنوخي : أيها القاضي اجعل في نفسك المقام في هذا البلد مدة هذه الشتوة . فقال : لم . قال : لان عضد الدولة يدبر في القبض على ابن عباد (وكان قد وزد الى حضرته) فانصرف التنوخي من عنده فقال له أبو علي الهائم : قد سمعت ما كنتما فيه وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج الى أحد به ولا سيما الى أبي الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي . فقال التنوخي : أفعل . ونزل الي خيمته وجاءه من كانت عادته جارية بملازمته ومؤاكلته ومشاربته وفيهم أبو الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي فقال له : مالي [٣١] أراك أيها القاضي مشغول القلب ؟

﴿ تفريط في اذاعة سر عاد بوبال ﴾

فاسترسل اليه وقال له : أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل [١] على كذا في أمر الصاحب وهذا دليل على تطاول السفر . ولم يتمالك ان انصرف واستدعى ركابيا من ركابية القاضي التنوخي وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال : عند أبي بكر ابن شاهويه . فكتب الي عضد الدولة رقعة يقول فيها : كنت عند التنوخي فقال لي كذا وكذا (وذكر انه عرفه من حيث لا يشك فيه) وعرفت انه كان عند أبي بكر ابن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل فاذا ذاع السر فيه فسد ما دبرته في معناه . فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجماً شديداً وقام من سماط كان عمله للديلم على منابت الزعفران مغيظا

(١) وفي الاصل : عولت . والصواب في الارشاد

واستدعى التنوخي وقال له : بلغني عنك كذا وكذا . فخجل التنوخى ثم جمع بينه وبين أبى الفضل الساعى به فواقفه فأنكره وأحضر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فأنكرها وسئل أبو على الهائم (٣٢) عما سمعه فقال : كنت خارج الخركاه وما وقفت على شيء . فَمُدّ وضرب مائتى مقرعة وأقيم فنفض ثيابه وقال : أكثر الله خيركم . واتصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة أخري واندفعت القصة فرجع التنوخي الى خيمته بعد ان ظن انه مقبوض عليه وبقى يتردد الى خدمة عضد الدولة مدة وهو معرض عنه حتى عاد له الى بعض الاقبال عليه .

ثم رحلوا الى بغداد فرآه عضد الدولة وعليه ثياب جميلة (١) وتحته بغلة بمركب ثقيل فقال له : من أين هذه البغلة ؟ . فقال : حملنى عليها الصاحب بمركبها وأعطاني عشرين قطعة ثيابا وسبعة آلاف درهم . فقال : هذا قليل لك مع ما تستحقه عليه . فعلم التنوخى انه اتهمه بذلك الحديث .

وورد عضد الدولة الى بغداد (٢) فحكى له ان الطائع لله متجاف عن ابنته وانه لم يقربها فثقل ذلك عليه فقال للتنوخي : تمضى الى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية انها مستزيدة لاقبال مولانا عليها . فعاد التنوخي الى داره ليلبس أهبة دار الخلافة

﴿ ذكر اتفاق ردىء جاء بالعرض (٣٣) ﴾

فاتفق أن التنوخى زلق عند عوده الى داره ووثئت رجله فانفذ الى عضد الدولة فعرّفه عذره فلم يقبله وأنفذ اليه من يستعلم ما جرى فرأى غلمانه روقة وفرسا جميلة وعاد اليه فقال : انه يتعلل وليس بعليل وشاهدته على صورة كذا

(١) راجع ارشاد الاريب ٦ : ٢٦٥ (٢) وفيه أيضاً ص ٢٦٦

والناس يغشونه ويعودونه . فلما عوفي عضد الدولة حرك ما في نفسه أولا فراسله بأن : الزم منزلك ولا تخرج عنه ولا تأذن لاحد في الدخول اليك[1] الا نفر من أصدقائك تستأذنه فيهم واستمر السخط عليه الى حين وفاة عضد الدولة

وفي هذه السنة أطلق أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب[2] من الاعتقال وكان القبض عليه في سنة ٣٦٧

{ ذكر السبب في القبض عليه والافراج عنه }

كان قد خدم عضد الدولة عند كونه بفارس بالمكاتبة والشعر والقيام بما يعرض من أموره بالحضرة عنده وزاد في اكثار مكاتبته بما يحمل عنه به وقد ورد بغداد في سنة أربع وستين من ارادة اختصاصه به حتى أشفق من المقام بها بعد عوده . فاستشعر له عضد الدولة ذكره في الاتفاق الذي كان بينه وبين عز الدولة وتعصبه لأخيه واليمين التي حلفا بها وشرطا عليهما حراسته في نفسه وماله . فلما انحدر عضد الدولة لم يأمن على نفسه فاستتر حتى توسط أبو محمد ابن معروف أمره وأخذ له الامان من عز الدولة وابن بقية وظهر فتركه مديدة ثم قبض عليه باغراء من ابن السراج لما به وما زال مقبوضا عليه حتى فسد أمر ابن السراج .

{ ذكر اتفاق عجيب في خلاص أبي اسحاق }
{ وهلاك ابن السراج }

قد تقدم في كتاب تجارب الامم ذكر السبب في القبض عليه عند اوانه

---

(١) كذا بعد : نفر ... ولا يأذن لاحد (٢) وفي الاصل (هليل كاتب) وترجمة ابراهيم بن هلال الصابي موجودة في ارشاد الاريب ١ : ٣٢٤ ووردت هذه الحكاية ص ٣٣٠ رواية عن حفيده هلال بن المحسن الصابي

ابن بقية من علته التي أشفى فيها [١] فلما قبض عليه نقل القيد من رجل أبي اسحاق الى رجله وعاد أبو اسحاق الى خدمة عز الدولة وكتب عنه في أيام المباينة بينه و بين عضد الدولة الكتب [٣٥] التي تضمنت الوقيعة فيه [٢] فنقم عليه ذلك . فلما ورد عضد الدولة فى الدفعة الاخيرة وحصل بواسط خرج أبو اسحاق بما فى نفسه من الحذر الى أبى سعد بهرام بن أردشير وهو يتردد في الرسائل والوساطة وسأله اجراء ذكره واقامة عذره والاحتياط له بأمان يسكن اليه نفسه وكتب على يده كتابا . ففعل أبو سعد ذلك وتنجز له جواب كتابه وفيه توقيع عضد الدولة بالتوثقة والامان ودخل عضد الدولة بغداد فاجراه على رسمه . فلما حصل بالموصل كتب الي أبي القاسم المطهر بن عبد الله فقبض عليه على مضض منه وكراهية .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما أخرج الى الديوان ما وجد في قلاع أبى تغلب من الحسبانات والكتب لتتأمل كان فيها الشيء الكثير من كتب عز الدولة الى أبى تغلب بخط أبي اسحاق الصابي فحملت الى عضد الدولة فلما وقف عليها حرّك ما فى نفسه فكتب من هناك بالقبض عليه . فبقى فى الاعتقال يكتب الي عضد الدولة ويستعطفه باشعاره الى أن [٣٦] تقدم عضد الدولة الي أبى القاسم المطهر بالانحدار الى البطيحة فسأل حينئذ في اطلاقه والاذن له فى استخلافه بحضرته لعناية أبي القاسم به فقال : اما العفو عنه فقد شفعناك فيه وعفونا له عن ذنب لم نعفُ عما دونه لاهلنا (يعنى الديلم)

(١) قد ذكر ٢ : ٣٥٨ (٢) وفي الارشاد : ومنها الكتاب عن الطائع لله بتقديم عز الدولة وانزاله منزلة ركن الدولة وهو أعظم ما نقمه عليه

ولا لاولاد نبينا صلى الله عليه (يعنى أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوى) ولكنا وهبنا اساءته لخدمته وعلينا المحافظة فيه على الحفيظة منه وأما استخلافك له بحضرتنا فكيف يجوز أن نقله من السخط عليه والنكبة له الي النظر في الوزارة ؟ ولنا في أمره تدبير وبالعاجل فاحمل اليه من عندك ثيابا ونفقة وأطلق ولديه [١] وتقدم اليه بعمل كتاب فى مفاخرنا. ففعل المطهر ذلك وعمل أبو اسحاق الكتاب الذي سماه التاجى فى الدولة الديلمية فكان اذا عمل منه جزءا حمله الى عضد الدولة حتى يقرأه ويصلحه ويزيد فيه وينقص منه فلما كان تكامل ما أراده حرّر وحمل كاملا الي خزانته.

وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف فان أبا اسحق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم [٣٧] ولا تنبو مضاربهم. ووجدنا آخره موافقا لآخر كتاب تجارب الامم حتى ان بعض الالفاظ تتشابه في خاتمتها وانتهى القولان فى التاريخ بهما الي أمد واحد والكتاب موجود يغنى تأمله عن الاخبار عنه. ﴿ان الجواد عينهُ [٢] فرارُهُ﴾

ومن العجب كيف نكبه عضد الدولة وهو الموصوف بحسن السيرة والانصاف فى السياسة مع ما سبق اليه من خدمته وعرفه أولا من خلوص نيته وأعطاه أخيرا من أماناته وموثقته. ان كان الذي نقم عليه منه هو ما ذكر فى تاريخ من حال الكتب التى كتبها عن عز الدولة فغير مستحسن من الملوك ان ينقموا بغير حق وان ينقضوا الامان من غير موجب. فلو ان عضد الدولة أمره بمثل ما كان عز الدولة أمرهُ به هل كان يقدر على خلافه مع كونه في قبضة سلطانه ؟ والله تعالى يقول: الا من أكره وقلبهُ مطمئن

---

(١) وهما المحسن وعمر كذا فى الارشاد « ٢ » وفي الاصل « عيبه »

بالايمان . وربما خفي السبب أو أخطأ القياس والاشخاص تفنى والذكر يبقى والشاعر يقول :

وكذاك الزمان يذهب بالنا　　س وتبقى الديار والآثار (٣٨) (١)

ولو قال « ويبقى الحديث والاخبار » لكان أقرب الى الصواب فان الديار تدرس والآثار تذهب والحديث يبقى والاخبار تروى على ان عضد الدولة أبقى عليه في اعتقاله وعاود الحسني في اطلاقه وبدأ باستئناف الجميل معه

لو ان المنايا أنسأته لياليا

ووجدت رواية أخرى (٢) في سبب اطلاقه وهو ان عضد الدولة رق له لما طال حبسه وان أبا الريان وأبا عبد الله ابن سعدان توليا الافراج عنه ثم شغلت عضد الدولة علته عن النظر في أمره واظهار آثار الرضاء عليه بالاحسان اليه وقد حكينا ما رأينا .

وفي هذه السنة ورد من أبي القاسم نوح (٣) بن منصور صاحب خراسان رسول يكنى بابي الغنائم فخرج أولاد عضد الدولة مع سائر الجيش لتلقيه وأكرم غاية الاكرام

وفيها أخرج معه أبو الغنائم نصر بن الحسين والقضاة وأبو محمد الجهرمي وأبو عقبة وأبو محمد ابن عقبة وسالم الى أبي الغنائم (٤) يذكره بما يعتمده ويورده من جملتها العتاب على فخر الدولة وقابوس وابوائهما وانه : ان كان الوفاء بالمعاهدة التي جرت مع السلف واثما فيجب ان يسلموها (٥) يدا بيد الى مؤيد

---

(١) يشبهه بيت أبي العتاهية　وكذا الدنيا على ما رأينا　يذهب الناس وتخلو الديار
« ٢ » وهي رواية عن أبي ريان أحمد بن محمد الوزير : ارشاد ص ٣٣٦ (٣) وفي الاصل : روح (٤) في هذه الجملة اضطراب كثير (٥) لعله تسلموهما

(٣٩) الدولة ليحمل اليكم مال الموافقـة سالفا وآنفا على العادة فان أردتم استئناف الصلح بيننا وهدر ما تقدم وان تجملوا ايواء العاق وقابوس (يعني بالعاق فخر الدولة) عوضا عن المال بعناكم اياهما بالثمن الذي استرخصتموهما به فيبين على ممر الايام الرابح منا ومنكم . وان قال أبو العباس (١) انه يكلمنا في أمر قابوس وما كان يجب في جواب شفاعتنا التسرع اليه قيل له : قد اعترفت وقلت أنت وأبو الحسين العتبي (٢) بان الرجل أحد أصحابنا وانه جان علينا مستحق للعقوبة وانكم شافعون في بابه ومعلوم ان الصلح معقود عن جرجان وطبرستان وعن غيرهما من قومس (٣) بدامغان وكرمان وما يلزم واحدا منا ولا من صاحبك ان شفاعتهما . . . ثم انا نقول فى الجواب : انه ما كان يجب التسرع فى باب أبي الحسن ابن سمجور وقد شفعنا فيه فان كان ذلك واجبا علينا فهذا واجب عليكم وان كان بكم التجني فهو ما لا يستعمله أصحاب التحصيل ولسنا ممن يتجنى عليه . وان اخترتم استئناف الصلح على ان تطردوا العاق وقابوس طردا على ان لا يكونا في بلادكم ويذهبا حيث شاءا
(٤٠) من أرض الله قبلنا وان سألتم ان نرضى بمقامهما عندكم رضينا على ان ينفذا الى بخارا وينفض عنهما أصحابهما وان لم ينفضوا عنهم فانهم سينفضون من ذات أنفسهم . وان سألتم ان نؤمنهما ليعودا الى جملنا هدرنا ما تقدم من الموافقة واستقبال الوقت الذى يقع فيه الصلح فنحن نفعل ذلك كرامة لذلك الكبير ولكن على ان يردوا حضرتنا ويكون ما نفعله معهم تبرعا منا ومؤكلا الى رأينا من غير اشتراط فذلك خير لهما . وان اخترتم بيعنا بمقامهما

(١) هو حسام الدولة تاش حاجب نوح بن منصور (٢) هو وزير نوح بن منصور وليراجع التاريخ اليميني (٣) في الاصل : قوس

عندكم فاننا نسمح لكم بهذين المقبلين المباركين ومال الصلح الذي تأخذونه منا مستأنفا فانه سيذهب لكم عليهما وأكثر فليس يحسن بكم ان تعطوهما أكثر من ذلك فان أحسنتم اليهما خسرتموهما والمال جميعا ولم تحصلوا منهما على طائل وان لم تحسنوا اليهما فارقاكم عن قلى وعادا الينا بلا منة لكم علينا في بابهما وتكون مفارقتهما لكم على ما يليق بهما الى حيث يرمى بهما جدّهما الغار اليه

وقد كنا نقول لقابوس « لا تقبل العاق ولا تؤوه فقد سمعت ما كان من أبي تغلب ابن حمدان حين قبل [41] بختيار الشقي ورأيت عاقبتهما فان كان محمودا فسترى مغبّة فعلك وسيرى العاق مغبة فعله » ورأيتم فيهما ما يليق بهما ولله الحمد وقد اجتمعا عندكم وأنتم على بصيرة من أمرهما . فان استقر الصلح بنيسابور فليخرج الى بخارا لعقد الوثيقة واحكام الامر على حسب ما رسمناه وبحضر من القضاة والشهود ووجوه الحاشية والقواد والغزاة وأماثل البلدان وان أحب ان يتم ماخرج له القضاة الثلاثة من حضرتنا استخار الله فيه وتممه واذا عاد الى نيسابور أحكم عقد الصلح فيها بشهادات الاماثل وان رأى الصواب فى أن يشهد على أبي العباس في نسخة العهد الذى يتولى تجديده ببخارا أو يأخذ خطه فيها فعل .

وقد كان عضد الدولة متوقفا عن انفاذ أبي غنائم [1] وقال له : ان القوم قد غدروا ونكثوا العهد ورفضوا الودّ ولم يبق بعد ايواء فخر الدولة وقابوس هوادة وقد سبق منهم فى قصة ابن سمجور ما قد سبق مما يدل على فساد الدخائل . فما زال أبو غنائم يراجعه ويعرض عليه ما يصله من كتبهم الدالة

(١) وفي الاصل : أبي غانم

على بذل الموافقة حتى أذن له فى الخروج على ما تقدم [٤٢] ذكره ابلاء للعذر

﴿ فاما قصة ابن سمجور وتنكر آل سامان عليه فالسبب فى ذلك ﴾

انه كان رجلا قد حنكته التجارب وهذبته الايام ورأي الدولة الديلمية وهي في ابتدائها تسري في البلاد سرى النار في الهشيم فكان يرقع الخرق ويعتمد الرفق [١] ويسلك طريق المفارقة فعرف عند آل سامان بالمداهنة والصغو الى غيرهم وسعى بفساد ذات البين واغمار حتى آل الامر الى ازالة قدمه عن مستقرها . وأخبرنا من نثق به عن صدر عظيم فى زماننا هذا انه قال وضرب به مثلا في غرض له : ان ابن سمجور كان كالسد لبلاد سامان يواري عوراتهم ويغطي هناتهم وكان يصرف ما يحصل من مال البلاد التي في يديه في مصالحها ومحارسها وأنفذوا يلتمسون منه مالا ويتجنون عليه أقوالا وأفعالا فقال في الجواب : اعلموا ان مثلي معكم مثل ستر من خرق على باب دار خراب فدعوه بحاله مسبلا على الباب [٤٣] فانكم ان رفعتموه بانت آثار الخراب . فلم يقبلوا منه وكان الامر كما زعم ونعود الى سياقة التاريخ [٢]

---

(١) لعله الرتق (٢) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفي سنة ٣٧١ سرق السبع الفضة الذى على زبزب عضد الدولة وعجب الناس كيف كان هذا مع هيبة عضد الدولة المفرطة وكونه شديد المعاقبة على أقل جناية تكون وقلبت الارض على سارقه فلم يوقف له على خبر ويقال ان صاحب مصر دس من فعل هذا . وكان العزيز العبيدى من قبل هذا قد بعث رسولا الى عضد الدولة وكتابا أوله : من عبد الله نزار العزيز بالله أمير المؤمنين الى عضد الدولة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين سلام عليك فان أمير المومنين يحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ويسأله ان يصلى على جده محمد صلى الله عليه . والكتاب مبنى على الاستمالة مع ما يمر اليه الرسول عتبة بن الوليد فبعث مع الرسول رسولا له وكتابا فيه مودة وتعللات مجملة .

وفى ربيع الاول وقع حريق بالكرخ من حد درب القراطيس الى بعض البزازين

﴿ ودخلت سنة اثنتين وسبعين وثلمائة ﴾

وفيها أخرج أبو القاسم [1] سعد الحاجب وقراتكين مدداً لمؤيد الدولة عند ورود فخر الدولة وقابوس وعساكر خراسان .

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

قد تقدم ذكر اجتماع فخر الدولة وقابوس بنيسابور ولما حصلا بها أقام قابوس ومضى فخر الدولة الى صاحب خراسان فاستجار به وسأله المعونة وأقام عنده الي ان جرد معه ناس وجماعة من أكابر القواد وسارت الجماعة حتى نزلت على باب جرجان ومؤيد الدولة بها . ووقعت الحرب بين الفريقين أياما كانت بينهم سجالا ثم وقع الخلف بين عساكر خراسان وانصرفوا ورجع فخر الدولة وقابوس الى نيسابور مفلولين .

وفيها خرج أبو الفوارس [٤٤] ابن عضد الدولة من بغداد الى كرمان للمقام بها والولاية عليها والابعاد عن الحضرة وقد كانت علة عضد الدولة قويت واستحكمت

وفيها ورد أبو اسحق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام ومعه رسول ملك الروم

﴿ ذكر ما جرى بين عضد الدولة وملك الروم ﴾

﴿ فيما ترددت به الرسالة ﴾

كان سبب هذه الرسالة ماتقدم ذكره من دخول ورد الى بلد الاسلام نخاف

من الجانبين وأتى علي الاساكفة والحدادين واحترق فيه جماعة وبقي لهيبه أسبوعا .
وفيها قلد أبو القاسم عيسى بن على بن عيسي كتابة الطائع لله وخلع عليه .

(١) وفي الاصل « أبو الحسن » وهو غلط

ملك الروم وأنفذ رسولا الى عضد الدولة فى أمره . فاخرج أبو بكر محمد ابن الطيب الاشعري المعروف بابن الباقلانى بجواب الرسالة فعاد ومعه رسول يعرف بابن قونس فاعيد وأنفذ معه أبو اسحق بن شهرام فاستثنى على ملك الروم بمدة حصون ووصل معه رسول يعرف بنقفور الكانكلى بهدية جميلة .

﴿ نكت من جملة مشروح وجد بخط (٤٥) ابن شهرام ﴾
﴿ دلت منه على دهاء وحزم وقوة رأى ﴾

قال : لما حصلت بخرشنة عرفت ان الدمستق خرج من القسطنطينية آخذا في الاحتشاد والاستعداد ومعه رسول حلب المعروف بابن مامك وكليب حمو أبي صالح السديد فاما كليب فانه كان مع ورد وحصل في جملة العصاة الذين أومنوا وأقروا في بلد الروم بعد ان صودروا وهم الروم بمصادرته أسوة بغيره وارتجاع الضياع التى سلمت اليه حين سعى فى تسليم قلعة برزوية اليهم فتوصل كليب الى البركموس والدمستق بما أرضاهما به وضمن لملك الروم فى أمر حلب وغيرها ضمانات دفع بها الشر العاجل وبذل تعجيل ما يتعلق بخراج حلب وحمص لما كان صهره وانه لا يخالفه فتخلص بهذه الحجة وأما رسول حلب فانه لم يفعل معه أمر الا انه طولب بخراج مامضى من السنين

وحصل الدمستق بموضع عادل عن جادة البريد فعدل ابن قونس بى اليه ووجدته حدث السن معجبا بنفسه لا يؤثر تمام الهدنة لاحوال منها انه يستغنى عنه فى العاجل فتبطل سوقه (٤٦) ومنها ان يقع الطمع فيه من ملك الروم « ولا نأمن بوائقه » والثالثة ما يرجوه ويشتهيه لنفسه الا انه أظهر

جميلا وقبل الهدنة وشكر عليها .

ثم سألني عما وردتُ فيه فذكرت جملته ووافقه ابن قونس على نسخة الشرط فلما وقف عليه قال : لو تمّ للرؤساء ان نخلّي لهم عما يريدونه من البلدان والحصون باللطف والرفق لكان كل رئيس يتلطف ويستغنى بذلك عن جميع الزجال وبذل الاموال . قلت : اذا كان اللطف والرفق من وراء قوّة وقدرة فهو دليل الفضل ويجب تلقيه بالقبول . قال : أما حلب فليست ببلدكم ولا بيدكم صاحبها وهذا رسوله وكاتبه يبذلان لنا خراجها ويسألان الذب عنها وأما الحصون فانها أخذت في زمان عمّي نقفور وغيره من الملوك ولا فسحة في النزول عنها فان كان معك غير هـذا والا فلا تتعب نفسك بطول الطريق. فقلت : ان كان أمرك ملك الروم بانصرافي فعلت وان كنت قلته من تلقاء نفسك فيجوزان يسمع الملك كلامي وأسمع جوابه وأعود بحجة. فأذن لي في السير .

فسرت الي القسطنطينية ودخلتها بعد ان تلقّاني من أصحاب (٤٧) ملكها من أحسن صحبتي اليها فأكرمت وأنزلت في دار نقفور الكانكلي الذى وصل الآن معي رسولا وهو خصيص بملك الروم ثم استدعيت فدخلت الي البركموس فقال : قد وقفنا على الكتب وقد أحيل فيها على ماتقوله فاذكر ما عندك . فاخرجت الشرط الظاهر فلما وقف عليه قال : أليس قد تقرر الامر مع محمد بن الطيب (يعنى أبا بكر الباقلاني) على ما طلبتموه من ترك خراج بلد أبي تغلب الماضي والمستأنف ورضي بما شرطناه عليه من رد الحصون التي أخذت منا والقبض على ورد وقد رضي مولاك بما شرطنا وفعل ما أردنا وطلبنا ان خطه معك بتمام الهدنة. فقلت : ما عقد محمد بن

KASHMIR UNIVERSITY
Iqbal Library
Acc. No. 30571.41.

الطيب معكم شيأ . فقال : ما خرج من عندنا الا على تقرير ما شرطناه عليه وان ينفذ خطّ مولاكم باتمامه فقد كان أحضر كتابه بالرضا بجميع ما يمضيه هو . فاحتجت الى أن أتطاب مجالا أقاوم به مجالهم .

﴿ ذكر بديهة جيدة انقدحت لابن شهرام في دفع حجة الخصم ﴾

فقلت : ما عقد محمد بن الطيب معكم شيأ ولكن ابن قونس قرر هذا الشرط [٤٨] وأخذ نسخته بالرومية . فاشتطّ البركموس وقال لابن قونس : من أمرك بهذا ؟ فقال : ما قررت شيأ ولا محمد بن الطيب قرر شيأ . وانصرفت .

فاستعادني بعد أيام وعاود قراءة الشرط ووقف عند فصل كان قيل فيه « ما تقرر مع شهرام على ما في النسخ الثلاث » فقال : هذه واحدة وأين الاخريان ؟ فرجعت الى الموضع فوجدت السهو قد وقع في ترك ذلك فقلت : معنى هذا اللفظ أن يكون الشرط على ثلاث نسخ احداها تكون عند ملك وأخرى بحلب والثالثة تكون بالحضرة . قال ابن قونس : ليس كذا قيل لى « أملِ عليّ تفسير الشرط » قال البركموس : لا ولكن هذه النسخة هي الظاهرة والاخري بترك الحصون والثالثة بترك ذكر حلب وامضاء الشرط على ما قرره محمد بن الطيب وانما أنفذ هذا ليأخذ خط الملك وخاتمه بذلك . فقلت : هذا محال وما عندى الا ما ذكرته من حال حلب والحصون على ما تضمنه الشرط الذى وقفت عليه . فقال : لو كان ورد في عسكره وقد [٤٩] أخذتمونا كنا أسرى مازاد على هذا فكيف ذلك أسير .

﴿ جواب سديد لابن شهرام ﴾

فقلت : أما قولك « لو كان ورد في عسكره » فهو غلط لانك تعلم ان

أبا تغلب (وأقل تابع لعضد الدولة أكبر منه) عاون ورداً فأهلك مُلك الروم سبع سنين فكيف لو أمدّه عضد الدولة بعساكره ! وهو اليوم وان كان أسيرا في أيدينا فانا لم نفعل به ما تفعلون أنتم بأسراكم من المثلة وكونه بالحضرة أحوط لنا لاننا لم نستأسره لربما كان يضيق صدره بمدافعتنا اياه أو يياس (١) منا فيستوحش ويمضي والآن فهو متصرف على أمرنا وساكن الى ما شاهده بالحضرة من العز والأمن والحبل في أيدينا باطرافه. فاشتد عليه خطابي ووجم منه وعرف صحته وقال : الذي تطلبه لا طريق اليه فان أردت امضاء ما تقرر مع محمد بن الطيب والا فانصرف . فقلت : ان أردت أن أنصرف من غير أن أسمع كلام ملك الروم فعلت . فقال : ما أقوله أنا عنه ولكن استأذنه في ذلك .

ثم استدعيتُ (٥٠) بعد أيام فحضرتُ فاستعاد ملك الروم ما جرى فأعيد عليه بمحضري فقال : يا هذا قد جئت بأمر منكر لانه جاءنا رسول لكم فشرط علينا ما أجبناه اليه وشرطنا عليه رد الحصون التي أخذت أيام العصيان وتريد حصوناً أخر وبلاداً أخذها الملوك من قبلي فان رضيتم بما تقرر أولا والا فامض بسلام . فقلت : اما محمد بن الطيب فما قرر شيئا وأما الشرط الذي قد ورد معه فقد قطعتم فيه نصف بلدنا فكيف يجوز أن نقرر علينا امراً فان الحصون التى فى ديار بكر منها شيء في قبضك وانما هو في أيدينا وليس لك فيها غير المنازعة ولا تدرى ما يحصل منها . فقال البركموس : هذا رجل ذو جدل وتمويه للاقوال والموت خير من الدخول تحت هذا الحكم فدعه ينصرف الى صاحبه. وقام فانصرفت.

---

(١) وفى الاصل يأس

فاستدعاني البركموس بعد ان تكاملت مدة مقامي شهرين في القسطنطينية وأحضر القربلاط والد الدمستق وهو مكحول وعددا من البطارقة وتناظرنا في أمر الحصون . وبذلوا خراج حصن كيفا الذى فى يد والدة أبي تغلب وهو يؤدي الخراج اليها فقلت : أنا أدع لكم [٥١] خراج سمند [١] فقالوا : ما معنى هذا ؟ فقلت: انما نذكر الاطراف في الشرط لتعلموا ان ما وراءها داخل فى الهدنة معها وحصن كيفا داخل من دون آمد بخمسة أيام فكيف تذكرونه؟ وجرى جدل فى أمر حلب حتى قال القربلاط : ان حمل صاحب حلب الخراج الينا علمنا حينئذ انك مبطل في قولك وانه يريدنا دونكم . قلت : وما يؤمننى ان تحتالوا على كاتبه كايب حميه حتي يعطيكم شيئا تجعلونه حجة ؟ فاما بغير حيلة فانا أعلم انه لايكون . وانصرفت ثم أحضرني ملك الروم بعد ذلك وقد وصل خراج حلب فوجدت كلامهم غير الاول قوة وتحكما فقالوا : هذا خراج حلب قد حضر وصاحبها قد سألنا أن نشارطه على حران وسروج ومعاونته عليكم وعلى غيركم . فقلت: أما الخراج وأخذكم اياه فانا أعلم انه بحيلة لان عضد الدولة ظن انكم لا تستجيزون ما قد فعلتموه فلم ينفذ عسكراً يمنع عسكركم وأما ما تحكونه عن صاحب حلب فانا أعرف بما عنده وكل ما يقال لكم عنه غير صحيح والدعوة فيها فهى قائمة لعضدالدولة . قالوا : هل معك شيء غير هذا ؟ قلت : لا . قالوا : فيودّع ملك وتنصرف مصاحبا . [٥٢] قلت: الساعة. وأقبلت بوجهى نحوه لتوديعه. ﴿رأي سديد رآه ابن شهرام في تلك الحال﴾

قال : ثم تأملت الحال فوجدت البركموس والقربلاط. وجماعة معهما

---

(١) يعني سمندو المذكورة في قصيدة المتنبي

ليس يؤثرون الهدنة وأصحاب السيوف يخافون لئلا تبطل سيوفهم وتنقص أرزاقهم على رسم الروم اذا هادنوا ولم يبق لى طريق سوى مداراة ملك الروم والرفق به فقلت: أيها الملك يجب أن تتأمل ما فعله عضد الدولة معك ولم يعاون عليك عدوك ولم يتعرض لبلادك أيام اشتغالك بمن عصي عليك وتعلم انك ان أرضيته وحده وهو ملك الاسلام والا احتجت أن ترضي ألوفاً من أصحابك ثم لاتدرى هل يرضون أم لا ثم ان لم يرضوا ربما احتجت الى رضائه من بعد. وتعلم أن كل من حول عضد الدولة لم يرغبوا فى هدنتك وانما هو وحده أراد ففعل ما أراد ولم يقدم أحد على مراجعته وأراك تريد هدنته ولعل من حولك لا يساعدونك على مرادك. فاهتز لخطابى وبان في (٥٣) وجهه الامتعاض من علمي بالاعتراض عليه من أصحابه وقام وانصرفت.

وكان المشرف على الخصيص بملك الروم (وهو الذى يوقع عنه بالحمرة ولا يمضى أمر دونه) نقفور الكانكلى الذى وصل معى رسولا فسألته أن ينصرف معى ففعل

﴿ ذكر ما رتبه ابن شهرام مع خصيص ملك الروم ﴾
﴿ حتى بلغ به غرضه ﴾

فلما خلوت به قلت: أريد أن تتحمل عنى رسالة الى ملك الروم فقد طال مقامى وتعرفنى آخر ما عنده فان فعل ما أريده والا فلا وجه لمقامى. ولاطفت هذا الكانكلى بشىء حملته اليه ووعدته عن عضد الدولة بجميل وكان مضمون رسالتى: انه يجب عليك أولا أن تحفظ أيها الملك نفسك ثم ملكك ثم أصحابك ولا تثق بمن صلاحه في فسادك فان بمعاونة أبي تغلب

عليك تم في بلد الروم ما جرى وكيف تكون الحال مع عضد الدولة ان عاون عليك أيها الملك ؟ واني (٥٤) أرى أصحابك لا يريدون تمام الهدنة بينك وبين أوحد الدنيا وملك الاسلام والانسان لا يخفى عليه الا ما لم يجربه وأنت فقد جربت سبع سنين عند عصيان من (١) عصى عليك لملكك وملكك لا يبقى نفسك (٢) الروم فما يبالون هذا ان لم يتحرك هو بنفسه. وقد نصحت لما رأيت من ميل صاحبي اليك وايثاره لك فتأمل خطابي واعمل بعد ذلك برأيك. فعاد نقفور وقال: يقول لك: الامر كما ذكرت ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة ويروني بصورة من قد خانهم وأهلكهم ولكن سأتمم الامر وافعل ما يمكن فعله.

ومن الاتفاق الحميد ان البركموس مرض مرضا شديداً فتأخر عن الركوب وترددت الرسالة بيني وبين ملك الروم. ثم استدعاني اياماً متوالية وتولى خطابي بنفسه وساعدني الكانكلي بغضا للبركموس ومنافسة له الى ان أجاب الى الهدنة على جميع ما تضمنه الشرط بعد مراجعات جرت لاخراج حلب فانه ما أجاب اليه. فلما ضايقته فيه وقلت: هذا كله بغير حلب لا يتم. فقال: دع هذا فلا نسلم غير ما سلمنا ولا نخلى عن بلد نأخذ خراجه الا بالسيف ولكني أحملك رسالة الى صديقي (٥٥) ومولاك فاني أعلم انه فاضل واذا عرف الحق لم يعدل عنه. ثم قال لمن حوله: تباعدوا. وقال لي سراً من كل احد: قل له: والله اني اشتهي رضاك ولكني أريد حجة فيه فان أردتم أن نحمل اليكم الخراج عن حلب أو أتركه لكم تأخذونه على ان تصرفوا ابن حمدان عنها فافعلوا ما بذلتموه على لسان ابن قونس

(١) وفي الاصل: مع (٢) لعله: وملكك لا نفسك تبقى الروم

(اشارة الى تسليم ورد) . فقلت : ما سمعت هذا ولا حضرته وانني أستبعد فعله . فتنكر عليّ وقال : دع التطويل فما بقي شيء تراجعني فيه وأمر أن تكتب جوابات فكتبت وأحضرت لتوديعه

﴿ واقع جيد وقع لابن شهرام ﴾

وأشفقت ان يعرض من المقادير فى موت من قد طلبوا تسليمه ما يعرض مثله فنخرج من الجميع بغير منية وتحصل الهدنة عن بلدنا الى دون الفرات وبلد باد بغير حلب فقلت : أنتم تعلمون انى عبد مملوك ولست مالكا وما أقدر أن أزيد على ما أمرت به وقد صدقتك عنه والذى شرطته الا ن فى أمر حلب فقد حلفت لك انني ما (٥٦) سمعته بالحضرة . فهل لك أيها الملك فى أمر قد وقع لى انه صواب ؟ قال : ما هو ؟ قلت : تكتب كتابا بالهدنة بيننا وبينك عن جميع ما [فى] أيدينا من حمص الى بلد باد ولا نذكر فيه حديث من قد التمست تسليمه ولا غيره وتحلف بدينك وتوقع فيه خطك وتختمه بخاتمك بحضرتى ويخرج به صاحبك معى الى الحضرة فان رضي به والا عاد صاحبك . قال : فاكتب أنت شرطا مثله . قلت : ان سلمت أنت شرطك بما طلبت . قال : ان ذكرت فى خطك تسليم الرجل . قلت : لا أقدم على ذكر ما لم يرسم لى . قال : فانى أكتب شرطين أحدهما عما قطع الفرات وبلد باد والاخر بذكر حمص وحلب على الشرط فان اختار مولاك ما قطع الفرات على ابعاد ورد كان اليه وان اختار الآخر فعل ما يختاره . قلت (١) : فيكتب الشرط ولا يذكر فيه شيء من هذا . قال : فتكتب أنت أيضا ما أعطى خطاً بغير خط آخذه . قلت :

---

(١) وفى الاصل : قال

ولكن يكتب ترجمانك نسخة ما أقوله فاذا رضى عضد الدولة بما تقوله كتبته بحضرته ووقع فيه بخطه . فرضى بهذا وكتبتُ الشروط والكتب عليه وتقررت الهدنة على عشر سنين . ولما فرغت من ذلك قلت له : (٥٧) لا تجمل رسولك مثل فيج ووافقه على ما تحب ان يفعله بعد ما تقرر معى بحسب ما يشاهده وامض كلما يمضيه . فقال : قد فعلت . وكتب ذكر ذلك فى الكتب .

وركب البركموس من داره لما برىء وقامت قيامته لاحوالٍ منها انفراد الكانكلى بصاحبه ومنها اتمام الامر بغير حضوره ومنها أمر حلب وحمص وما ضمنه له كليب

﴿ كلام لملك الروم استمال به قلب البركموس ﴾

قال له على ما حدثني به بعض خواصهم : يابركموس ما معى أحد يشفق علىّ مثلك ولا من يحل منى محلك لانك منى بأدنى نسب وسبب وهؤلاء فكما قال الرسول لا يبالون من كان ملكا كنت أنا أو غيرى ويجب ان تحفظ نفسى ونفسك ولا تسمع كلام القربلاط ولا تثق به ولا برأيه لنا فقد علمت ما حدثنا به ابراهيم عنه وعن ابنه [1] من اضمار الغش لملكنا وخبث نياتهما في أمرنا . قلت لمن حدثني : ومن ابراهيم ؟ قال : رسول كان للدمستق اليكم جاء الى الملك ناصحا وعرفه انه (٥٨) أنفذه اليكم يطالب منكم اعانته على العصيان . فقبل البركموس [2] هذا القول من ملك الروم واستدعانى ورأيت من خطابه وانبساطه معي غير الاول الا انه لم تكن تخفى على وجهه كراهية لهذا الامر . ورتب معي هذا الكانكلى رسولا

(١) وفي الاصل : أبيه (٢) وفى الاصل : بركمونس

بعد امتناعه لكن ملك الروم لم يجد أحدا يجري مجراه فى ثقته فالزمه وساعده البركوس عليه فقال له : ليس بحضرة الملك أكبر منى ومنك فاما ان تسير أو أسير . وجدّ في الامر حتى ظننت انه فعل ذلك ايثاراً لإِبعاده وحسدا لما رأى من اختصاصه

فهذه نكت معان من ألفاظ ابن شهرام . وعضد الدولة عليل والناس عنه محجوبون فامر بشرح ماجرى عليه أمره ليعرض (فان علة عضدالدولة التى توفى فيها كانت في هذا الوقت) وحضر رسول ملك الروم المذكور مجلس صمصام الدولة بعد وفاة عضد الدولة وتسلمت الهدايا منه وتمم معه ماورد فيه وكتب شرطان أحدهما الهدنة التي قررها ابن شهرام على اتمام مبانيها والقاء مراسيها والشرط الآخر بما تقرر آنفا مع نقفور (٥٩)

﴿ ذكر ما تقرر فى أمر ورد وأخيه وولده ﴾

جرت مخاطبات تقرر آخرها على ان يقيم نقفور وينفذ صاحباله مع رسول من الحضرة ليأخذ خط ملك الروم وخاتمه لاخى ورد وابنه والامان والتوثقة لهما بضمان الاحسان واعادتهما الى مراتبهما القديمة وأحوالهما المستقيمة فاذا وصل ذلك أقدما حينئذ على ملك الروم مع نقفور ويكون ورد مقيما في هذه البلاد ممنوعا من طروق بلد الروم بافساد فاذا عرف ما يعاملان به من الجميل فى الوفاء بالعهد المبذول لهما اتبعا حينئذ وردا في السنة الثالثة بعد أخذ التوثقة لهما بما يرضيهم حسب ما فعل مع ابنه وأخيه وان يكون ما يحمله الآن ابن حمدان من حمص وحلب الى ملك الروم من مال المفارقة عنهما محمولا على استقبال اطلاق ورد الى بلد الروم الى خزانة صمصام الدولة فان دافع ابن حمدان حينئذ عن حمل ألزمه ملك الروم ذلك لئلا

يتكاف صمصام الدولة (٦٠) تجهيز عسكر اليه وان يجرى أمر بلد باد على ما كان عليه من الملاطفة التى كان يحملها الى ملك الروم على ان لا يعاون باداً ولا يجيره ان التجأ الى الروم . وأنفذ الشرطان جميعا وعاد الجواب عنهما بامضاء ما تقرر ثم تجدد فى أمر ورد واطلاقه من الاعتقال ما سيأتي ذكره من بعده .

وفى الثامن من شوال من هذه السنة توفى عضد الدولة وأخفى خبره . وفى التاسع منه قبض على أبى الريان فلما قبض عليه أخذت من كمه رقاع مشددة ومنها رقعة فيها

أيا واثقا بالدهر غرا بصرفه رويدك انى بالزمان أخو خبر
ويا شامتا مهلا فكم ذى شماتة تكون له العقبى بقاصمة الظهر

فلما وقف أبو عبد الله ابن سعدان عليها قال لحاجبه : امض وسله عنها . ففعل فقال : هذه رقعة أنفذها أبو الوفاء طاهر بن محمد الىّ عند القبض عليه ولست أحسن قول الشعر ولكن أقول انها كانت من أبى الوفاء من قبل.

ونختار الآن طرفا من سيرة عضد الدولة ونورده ههنا عن ذكر خاتمة أيامه فانه أحفظ لترتيب القول ونظامه (٦١)

﴿أخبار من سيرة عضد الدولة﴾

كان ملكا كامل العقل شامل الفضل حسن السياسة كثير الاصابة قليل السقطة شديد الهيبة بعيد الهمة ثاقب الرأي صائب التدبير محبا للفضائل مجتنبا للرذائل باذلا فى مواطن العطاء كأن لا سخاء بعده مانعا في أماكن الحزم حتى كأن لا جود عنده يستصغر الكبير من الامر ويستهون العظيم من الخطب . وكان يقول على ما يحدث عنه : الارض أضيق عرصة من أن

تسع مساكين

﴿ فاما أفعاله فى تدبير نفسه وترتيبه فى قسمة زمانه ﴾

فانه كان يباكر دخول الحمام فاذا خرج منه ولبس ثيابه أدى فرض الصلاة ودخل اليه خواصه وحواشيه فجلس منهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف بحضرته ويضع دواته بين يديه ثم يؤذن لابى القاسم المطهر بن عبدالله وزيره ومن قام مقامه بعده (٦٢) فيسأله عما عمله فيما سبق التقدم به اليه فيخبره بذلك ثم يذكر له ماعرض من الامور ويستأذنه فى كل أمر فيوعز اليه بما يعتمده فيه ويفعل مثل ذلك مع أبى الحسن على بن عمارة وأبى عبد الله ابن سعدان عارضى الجيش ذاك للديلم وهذا للاتراك والاعراب والاكراد. فاذا ترحّل النهار سأل عن ورود النوب المترددة بالكتب ولها وقت معلوم تصل فيه وتُراعى من ساعات النهار فان اتفق ان تتأخر قامت القيامة ووقع البحث عن العارض العائق فان كان بعائق ظاهر فيه عذر قبل أو عن أمر يحتاج الي ازالته أزيل أو من تقصير النوبيين أنزل العذاب بهم. ولقد ذكر بعض الطراد ان أحد المرتبين قالت له امرأته : قد طبخنا أرزا فتوقف لتأكل منه وتمضى. فتوقف بقدر ما أكل وتأخرت النوبة ذلك المدى فضرب الطراد والمرتبون ما بين شيراز الى بغداد أكثر من ثلاثة آلاف عصا. لا جرم ان النوب كانت تصل من شيراز فى سبعة أيام وكان يحمل مع المرتبين بواكير الفواكه والمشموم من نواحى فارس وخوزستان فتصل طرية سليمة وقيل ان بعض أصاغر الحواشى حمل فى النوبة (٦٣) من همذان فى كتابة دنانير يسيرة الى منزله وقد كان عادتهم جارية بذلك فقصرت عن أهلها وعرف عضد الدولة الخبر فلم يزل يكشف عن ذلك الى ان ظهر للخرائطي

آخذ الدنانير فامر بقطع يده .

فاذا وصلت النوبة كان فض ختومها وفتح خرائطها واخراج الكتب منها بحضرته . ويأخذ منها ما كان الى مجلسه ويخرج الباقي الى ديوان البريد فيفرّق على أربابه . ثم يقرأ الكتب اليه كتابا كتابا ويطرحه الى أبي القاسم عبد العزيز فاذا تكامل وقوفه عليها جدّد أبو القاسم قراءتها عليه فيأمره في جواب كل فصل بما يوقع به تحته وأخرج منها ما يأمر باخراجه ليوافق عليه المطهر بن عبد الله أو من يجرى مجراه فى تذكرة وهى أبدا بين يديه يعلق فيها ما يعرض له . ثم يسأل عن الطعام عند فراغه من ذلك فاذا حضر الوقت الذى رسمه بالا كل فيه استدعاه فاصاب منه وطبيب النوبة قائم على رأسه وهو يسئله عن شيء شيء من منافع الاغذية ومضارّها ثم يغسل يده وينام فاذا انتبه جدد الوضوء وصلى الصلاة الوسطى وخرج الى مجالس الشرب فجلس وحضر الندماء والملهون .

ووافى أبو القاسم عبد العزيز فقعد[٦٤] بحضرته على رسمه وعرض عليه ما كتبه الكُتّاب أو كتبه هو بنفسه من أجوبة الكتب الواردة فربما زاد فيها أو نقص منها ثم تصلح وتختم وتجعل فى اسكدارها وتحمل الى ديوان البريد فتصدر في وقتها . ومتى غاب أبو القاسم ابن عبد العزيز لامر يقطعه أو تأخر في داره واحتيج الى كتاب يكتب يستدعي كاتب النوبة فاجلس بين يديه وتقدم بما يريده اليه أو أملاه عليه وهو مع ذلك يشرب ويسمع الغناء ويسأل عما يمضي من أشعاره وما يجب معرفته من اخباره ولا يزال على ذلك الى ان يمضى صدر الليل ثم يأوى الى فراشه .

واذا كان يوم موكب برز الاولياء ولقيهم بالبشر وتأنيس تعلوهما هيبة

ووقار وأجاب كل ذي حاجة بما يجب فى السياسة من بذل ومنع وتفرق الناس عند انتصاف النهار وأقام أصحاب الدواوين وكتابهم الى حين غروب الشمس . فاما عموم الايام فان الامر يجرى على ما تقدم ذكره .

فيقال انه مال فى بعض الايام الى جارية ميلا دعاه الى ان خلا معها خلوة أطالها وانقطع بها عن مراعاة ما كان يراعيه من الاعمال فلما حاول النظر فى ذلك من غد وجده قد (٦٥) تضاعف فشق عليه تلافى ما مضى . ثم دعاه الشغف بالجارية الى ان خلا معها نوبة ثانية كالاولى فى الاطالة فوقف من الامور أكثر مما كان وتامل الصورة فرأى الخلل قد استمر فاحضر شكر الخادم وتقدم اليه بأخذ الجارية وتغريقها فاخذها شكر وراعى ما عرفه من شدة وجده بها فاستبقاها ولم يحدث حدثا فى بابها فلما مضت على ذلك أيام قال له : ياشكر لقد عجلنا على تلك الجارية وكان التثبت أولى . فقال : يامولاى قد والله تثبتُّ فى أمرها خوفا من ندمك على ذهابها فاستبقيتها . قال : فرُدها الي موضعها . فردها وعاود عضد الدولة الخلوة بها والانقطاع اليها وعاد الخلل الى حاله السالفة فاستدعي شكرا وأمره بتغريقها وقال : ما يساوى طاعة النفس في شهوتها ترك الدنيا وافساد سياستها . فغرقت ومضت الى حال سبيلها . هذه الحكاية وجدناها فى كتاب التاريخ كما سطرناها وهى حكاية مستفاضة قدسمعناها مختلفة النسبة الى عدة ملوك والله أعلم بالصحيح (١)

---

(١) وفي ترجمة عضد الدولة في تاريخ الاسلام انه كان من أفراد الملوك لو لا ظلمه كان سفاكا للدماء حتى ان جارية شغل قلبه بميله اليها فامر بتغريقها . والحكاية موجودة في الفخري أيضاً

وكان ضبطه لداره أشد ضبط ونظره فى أمر الصغير من أمر الخزائن والمطابخ والاقامات (٦٦) والوظائف مثل نظره الى الكبير من أمور الممالك فلا يطلق درهما في غير وجهه ولا يمنع أحدا مما يستحقه

فاما ما ذكر فى أمر تدبيره لجنده فقد كانت أموالهم مطلقة فى أوقاتها متتبعة في تصرفاتها وأكثر كتابهم وأصحابهم عونا له عليهم وطبل العطاء يضرب فى كل يوم ويحضر من ينتهي اليه الدعوة من القواد ومعه أصحابه بأحسن رتبة فقبض ماله والزيادات فى الاصول محظورة على العموم الا عند الفتوح وما تدعو السياسة اليه من استمالة القلوب. فقيل ان طغان الحاجب (وكان أكبر الاتراك فى دولته) راسل عضد الدولة وقد جرده الى بعض الثغور وسأله زيادة عشرة أرطال خبزا في خزانته فدفعه عن ذلك وحمل اليه خمسة آلاف درهم صلة وقال له: هذا ثمن ما استزدتناه للسنين الكثيرة ولو أجبناك الى مرادك على ما طلبتنا به لا تفتح علينا باب لا يمكننا سده.

وحدث أبو الحسن ابن عمارة العارض قال: ورد الى عضد الدولة فلان الديلمى (٦٧) (وأسماه) من أرباب البيوتات المذكورة بديلمان فاكرمه وعظمه وخلع عليه وحمله على فرس بمركب ذهب. واتفق ان دعا قائدا من أقاربه بالحضرة كانت له مروءة حسنة فشاهد من آلته ومروءته وزيه وتجمله ما كثر فى عينه فاستقصر حاله عند ما شاهده فاحضر كاتبا كان عضد الدولة قد استخدمه له وقال له: قد دعاني ابن عمي ورأيت من مروءته ما استحسنته وشاهدت عليه فرجية ورداء من حالهما كيت وكيت وأريد ان تبتاع لى مثلها. فقال: نحتاج لثمن ذلك الى ما تقصر عنه أيدينا فى هذا الوقت. فقال: خذ المركب الذهب فارهنه. فصار الكاتب الى عضد

الدولة فعرفه ما جرى فاستدعانى (يعنى أبو الحسن ابن عمارة العارض نفسه) وقال لى [1] : احضر فلانا القائد الذى دعا الديلمى الوارد من ديلمان. فاحضرته وعرفته حضوره فقال : اخرج اليه وقل له : ليس يكفيك بطرك بالنعمة الخالصة لك وتشاغلك بالترف عن الجندية وشروطها حتى تريد ان تفسد عسكرنا علينا وتعمل الدعوات وتظهر الزينة الآن قد ندبناك للخروج الى البلد الفلانى فتأهب واخرج. [68] قال : فلما أوردت عليه هذا القول قبّل الارض وتنصل وكاد يموت وانصرف على عزم الخروج. ثم رسم بعد ذلك احضار الديلمى الوارد من ديلمان فلما حضر أمر ان يفرش له بساط منجرد ويطرح عليه صندر مثله وثلاث مخاد مخلقة ولبس جبة رثة وعمامة شهجانى [2] وجلس وأوصل الديلمي وتشاغل عنه ساعة الى ان علم انه قد شاهد فرشه وثيابه وسأله عن حاله وخاطبه خطاب موانس له : أراك يافلان تتأمل فرشنا وثيابنا ولعلك تقول « كيف يقنع ملك الدنيا بهذا » نعم ان الشرف والجمال بالاصول والافعال والمواقف فى التدبير والحروب. والثياب الحسان والترفه والنعمة للنساء والمخانيث وتالله ان الرجل ليدخل علىّ وهو متصنع متعمل فاتصور انه فارغ عاطل ويدخل وهو مقتصد مسترسل فاراه بصورة من له نفس وهمة. ثم حادثه بعد ذلك ساعة وانصرف (قال) وعاد الكاتب فقال له عضد الدولة : أى شىء جرى بعد انصراف صاحبك ؟ قال : لما عاد من حضرة مولانا سألني عما كان وافقنى على ابتياعه من الرداء والثوب للفرجية فاحضرتهما له فقال : ردهما على

---

(١) وفي الاصل : له　(٢) قال الثعالبي فى لطائف المعارف (١١٩) : قد بقى الى الآن اسم الشاهجاني على الثياب الرقيقة فانها كانت تجلب من مرو شاهجان

صاحبهما [٦٩] وارتجع المركب ورده الى موضعه . فتبسم عضد الدولة .

وحدث أبو نصر خواشاذه قال : كان بالقصر جماعة من الغلمان تحمل اليهم مشاهراتهم من الخزانة بالحضرة فلما كان فى آخر شهر قد بقى منه ثلاثة أيام استدعانى وقال لى : تقدم الى الخازن فى بيت المال بان يزن كذا وكذا الف درهم ويسلمها الى أبى عبد الله ابن سعدان ليحملها الى نقيب الغلمان بالقصر . فقلت : السمع والطاعة . فانسيت ذلك وسألنى عنه بعد أربعة أيام فاعتذرت بالنسيان فخاطبنى بأغلظ خطاب فقلت : أمس كان استهلال الشهر والساعة تحمل المادة وما ههنا ما يوجب شغل القلب بهذا الامر . فقال : المصيبة بما لا تعلم مافى فعلك من الغلط أكثر منها فيما استعملته من التفريط ألا تعلم انا اذا أطلقنا لهؤلاء الغلمان مالهم وقد بقى فى الشهر يوم كان الفضل لنا عليهم واذا انقضى الشهر واستهل الآخر حضروا عند عارضهم فاذكروه فيعدهم ثم يحضرونه فى اليوم الثانى فيعتذر اليهم ثم فى الثالث فتبسط فى اقتضائه ومطالبته ألسنتهم فتضيع المنة وتحصل الجرأة ونكون الى الخسارة أقرب منا الي الربح . ولعل عضد الدولة نظر [٧٠] فى هذا الوقت الى ما وجد فى سيرة المعتصم رضوان الله عليه وهل ينكر لبنى هاشم ان يقتدى باقوالهم أو يهتدى بافعالهم وهم الاصدقون أقوالا والاكرمون أفعالا والاشرفون أنسابا جبال الحلوم وبحار العلوم وأعلام الهدى وسادة الدين والدنيا وفرسان الحروب والمحاضر وأملاك الاسرة والمنابر الى مكارمهم ينتهى الكرم وبمآثرهم تنجلى الظلم المعتصم يبنهم المعتصم

﴿ خبر مأثور فى سياسة جند ﴾

يقال ان جندا كانوا بدمشق فطالبوا عاملها برزق استحقوه وشكوا اليه

ضيقة وحاجة فاحتج بأن المال الحاصل للحمل وانه لايقدم على أخذ شيء منه وسيقيم لهم وجوها من بعد ودعتهم حاجتهم الى ان مدّوا أيديهم وأخذوا بعض ما يستحقون وكتب العامل على البريد الى الحضرة بذلك .

وكان المعتصم بنيّة الغزو وقام يكتب جوابه وقال : انتفيتُ من الرشيد لئن لم يعيدوا المال الذي أخذوه ساعة وصول هذا الامر لاجعلن وجه الغزاة اليهم (٧١) ولاجعلنهم حصائد السيوف . فعاد الجواب أسرع ما يكون إلى العامل فاحضر الجند وقرأ عليهم الكتاب ونظر بعضهم الى بعض وقالوا : هو المعتصم وانه يقول ويفعل . وتبادروا الى رد ما أخذوه فما كان طرفة عين حتى اجتمع المال كانه لم يبرح وسألوا العامل التنصل عنهم الى المعتصم وذكر صورتهم التى أحات فى أمثالها المحرّمات فكتب بذلك الى الحضرة فامر المعتصم بالجواب وذم فعل العامل وتبين خطيئته كيف جنى على السياسة وجرأ الجند بتأخير أعطيتهم عن أوان وجوبها ويحذّره أمثالها وأمره باطلاق ما اجتمع لهم من مال استحقاقهم وإسلافهم عطاء آخر لحسن طاعتهم

﴿ ونعود الى ذكر مانختاره من كتاب التاريخ (١) ﴾

وحدث أبو الحسن ولد عمارة قال : دخل بعض الاتراك الخواص الى ديوان الجيش ومعه صك يريد ان يثبته فقال للكاتب : اثبته . فقال : أنا مشغول بعمل استدعاه الملك وما أنا متفرغ لعمل صكك (٧٢) اليوم. فاخذ الحساب من يده ووضعه فى الارض وقال له : قدم أمرى أولا . فكتب صاحب الخبر بذلك فى وقته فلم يستتم الكاتب اثبات الصك حتى استدعانى عضد الدولة وقال . قد جرى من فلان الديلمى كذا وكذا فاخرج الى

---

(١) والواضح ان هذا تاريخ هلال الصابي

ديوانك واستدع الصك من كاتبك وحرّقه بين يديك وتقدم بأن تجر رجل الديلمى من موضعه الى باب العامة ووكل به من النقباء من يطالبه بالخروج الليلة من البلد الى ديلمان . ففعلت ذلك وتقدم فيما بعد الا تعمل أعمال الجند الا في أيدي المديرين

وقيل انه كان رفع أسفار بن كردويه عن قبول الظلامات فيه ومطالبة كتّابه بحضور مجالس الحكم فيما يتعلق به اجلالا له . وان أحد التناء تظلم منه فى معاملة ورفع قصة الى عضد الدولة فوقّع على ظهرها : أخونا [أبو] زهير يرتفع عن مثل هذا الفعل والدعوي تليه بذلك باطلة . وان التوقيع حُمل الى أسفار فانصف الرجل (١)

وحكى عن بعض التناء انه قال : حصلت ضيعتي فى أيام عضد الدولة في اقطاع أسفار بن كردويه وكان من الظلم على حال معروفة وكان عضد الدولة قد رفع عنه وعن زيار بن شهراكويه المدوي (٧٣) فى كل فصل . وتتابعت عليّ جوائح ولم تحصل لى ما يفى بالخراج فاجتمع لاسفار عليّ ثلاثة آلاف وستمائة درهم اعتقلني بها وأساء اليّ وقيدني وأدخل يده فى

(١) ويشبه هذه الحكاية ماروواه الشابشتى (وترجمته فى ارشاد الاريب ٦ :٤٠٧) في كتاب الديارات عن عبد الله بن خرداذبه انه حضر مجلس المأمون يوما وقد عرض عليه أحمد بن أبي خالد رقاعا فيها رقعة قوم متظلمين من اسحق بن ابراهيم فلما قرأها المأمون أخذ القلم وكتب على ظهرها : ما في هؤلاء الاوباش الا كل طاعن وأش اسحق غرس يدى ومن غرسته انجب ولم يخاف لاعدا عليه أحدا . ثم كتب الى اسحق رقعة فيها : من مؤدب مشنق الى حصيف متأدب يابني من عز تواضع ومن قدر عفى ومن راعي أنصف ومن راقب حذر وعاقبة الدالة غير محمودة والمؤمن كيس فطن والسلام . وليراجع أيضا قصة المأمون مع أحمد بن هشام فى كتاب المحاسن والمساوى للبيهقي في باب محاسن النظر في المظالم ص ٥٢٩

بابتي فاقت في حبسه سبعة أشهر . فأنس بي الموكل وعلم ان لا أتمكن من الهرب مع القيد الذي في ساقي فكان يستخلفني موضعه عند خلو الباب وانتصاف النهار ويمضي الى منزله فيتشاغل بشغله ويعود . وضاق صدري فانتهى بي سوء الحال وشدة القنوط الى أن اخترت الموت على الحياة فحملت نفسي في بعض الايام عند مضى البواب وخلوّ الباب على ان خرجت أمشي بالقيد . وكان أسفار ينزل في دار صاعد بن مخلد بدرب الريحان والزمان صائف والماء ناقص فلزمت شاطىء دجلة حتى وصلت الى الميدان الذي تحت دار عضد الدولة والناس يرونني في طريقي فمن منكر لي يقول « مجنون وقد أفلت » ومن عارف بي قد علم اني هارب . فلما وقفت في الميدان رأيت الستائر ممدودة وعضد الدولة قائم على الروشن وأنا لا أعلم وعلى ابن بشارة الفراش على قرب منه فصحت ودعوت فبادر اليّ علي بن بشارة وأومى اليّ «أن اسكت وصر الى باب(٧٤) البستان» . فصرت اليه وخرج اليّ وقال : من أنت وما قصتك ؟ فشرحت له حالي وظلامتي من أسفار فأجلسني عند البوابين وعاد واذا به قد خرج فأدخلني وقال : ان الملك كان واقفاً وقت مجيئك وهو الذي رآك فاذا رأيته فقبّل الارض بين يديه وأكثر الدعاء له . فمشيت وأنا أحجل في القيد حتى قربت منه في الموضع الذي شاهدته أولا فيه فتداخلني من الهيبة والجزع مالم أملك نفسي معه فقبلت الارض مراراً ودعوت له دعاء كثيرا وبكيت وسكت فقال لعلي بن بشارة : قل له حتى يشرح صورته . فقلت : ما لي لسان يطاوعني على القول لعظم ما قد تداخلني من الرهبة والخوف . فقال : تكلم ولا تخف . فقلت : ان أسفار قبض ضيعتي وطالبني بما لا قدرة لي عليه وحبسني في القيد

منذ سبعة أشهر . فأطرق ساعة ثم قال لي : عد الى دار أبي زهير واعلمه انك جئتنا وشرحت حالك لنا وانا أمرناك بالعود اليه . فقلت : يا مولانا أخافه وجهات في قولى هذا . فقال . لا تخف فانا من ورائك وعد لتعرف ما ينتهى اليه أمرك . فقبلت الارض وخرجت أجرّ نفسى وأحجل فى قيودى حتى وافيت باب أبى زهير فاذا البوّاب [٧٥] قد عاد فلم يجدني وبث الركابية والغلمان في طلبى وعرف أبو زهير خبرى فضرب البواب مائة مقرعة والدنيا قائمة على ساق . فلما رآنى الغلمان صاحوا « ها هوذا » وقالوا : أين مضيت ؟ فقلت : مضيت الى الملك عضد الدولة فاوصلنى وشكوت اليه أمري فامرنى بالعود الى القائد وعدت . فلما سمع الغلمان ذلك ذكروه لاسفار فاحضرنى وقال : أين كنت ؟ قلت : يا صاحب الجيش لما ضاق صدرى وغلب يأسى صبرى قصدت باب الملك فوجدته قائما على الروشن وبين يديه الاستاذ على بن بشارة فدعوت له وشكوت اليه حالى فاوصلنى وحدّثته حديثي فامرنى بالعود اليك فقلت « أخاف ان أعود » فقال « عُد فانّا من ورائك » وقد جئت . فقال اسفار : تؤاخذ اذا . وأحضر من فك القيد وأعطانى عمامة وثوبا ومائة درهم وقال : انصرف مصاحبا . فقلت : ضيعتي . فقال : اخرج اليها وتصرّف فيها ولا تطمع مستأنفا فى كسر خراجها . فدعوت له وخرجت من عنده فمضيت من فورى ذلك الى روشن عضد الدولة وصحت ودعوت له فدنا خادم من الروشن وأومى اليّ ان « تقدم الى الباب » فتقدمت اليه وجاءني الخادم فقال : [٧٦] من أنت ؟ فقلت : المحبوس الذى كان منذ ساعة بحضرة مولانا . وتقدم اليّ بالعود فدخل وخرج اليّ على بن بشارة فادخلني ورأيت الملك جالساً على عتبة البيت الذي

بناه على دجلة وغلمان وقوف بالقرب منه فقبلت الارض ودعوت له فقال : كيف جرى الامر ؟ فشرحت له الحال وأريته الثياب والدراهم التى أعطانيها اسفار فاستدنى على بن بشارة وأسر اليه شيأ لم أسمعه ثم قال لى : كم عليك لابى زهير ؟ فقلت ثلاثة آلاف وستمائة درهم. قال : نحن نؤديها اليه عنك لتبرأ منها فى ديوانه وتكون مقابلة له على الجميل الذى عاملك به. فقبلت الارض ودعوت له وأخذ على بن بشارة بيدى ودخلت الى الخزانة فأخذ ثلاثة آلاف وستمائة درهم فى كيس واستدعى أحد نقباء النوبة وقال له : امض مع هذا الرجل فاحمل هذا الكيس الى أبى زهير أسفار وقل له « هذه الدراهم التي أنفذناها اليك اموض عملك على هذا الرجل فأثبتها فى ديوانك باسمه » فخرجت والنقيب معى والكيس معه وصرنا الى دار أبى زهير ودخلنا اليه فلما وضع النقيب الكيس بين يديه وأدي الرسالة قام قائما وقبل الارض ثلاث (٧٧) دفعات وقال : أنا عبد وخادم وهذا مال مولانا. وهب لى خمسمائة درهم وللنقيب خمسمائة وانصرفنا

الذى مضى في هذين الخبرين هو تدبير لطيف وتوصل جميل الا أن رفع العدوي عن أحد الاتباع وان كان عظيم القدر مضر بالسياسة اى اضرار والقاعدة اذا وضعت على ذلك كانت « على شفا جرف » هار. ولقد رأينا فى زماننا من سياسة ملك الاسلام عضد الدولة البارسلان رحمه الله وكان أقوى جندا ما هو أوفى جدا. وأين كان من الملوك من يصول كصولته ويهاب كهيبته ! ونقتصر هاهنا على ايراد خبر واحد من أخباره التى ينتهى القول بنا (١) الى ذكر أيامه بمشيئة الله سبحانه

(١) لعله : بها

﴿ ذكر خبر فى اقامة سياسة ﴾

حكي ان غلاما خصيصاً بسنكاو أخذ من بعض المزارعين بطيخاً على قارعة الطريق بغير رضاه وانتهى الخبر الى عضد الدولة رحمه الله فطلبه فاخفى شخصه رجاء أن يسكن غضبه ويعفو عنه أو يقتصر من عقوبته على السوط دون السيف. فاستدعى بسنكاو الى بين (٧٨) يديه وأقسم لئن لم يحضر الغلام ليقيمن السياسة فيه بدلا عنه (وسنكاو يومئذ صاحب الجيش ومعه جمرة العسكر وأمره قوي وجانبه منيع وهو أشد الترك بطشا وأخشن الجند جنباً) فملكه الرعب وكان قصاراه البدار باحضار الغلام فلما أحضر وسّطه بالسيف وأجرى الفرس بين شلويه على سنة لهم فى قتالهم .ويوشك أن يكون لهذه السياسة باطن بان تكون قد سبق للغلام جريمة يستحق بها القتل وأتبعها بهذه الصغيرة التى يجري فى مثلها التعزير فقتله عضد الدولة رحمه الله بالجريرة الكبيرة التى أوجبت قتله وأظهر للعامة انه قتله بصغيرته الظاهرة لهم اقتداء بخبر وجدته فى بعض الكتب مرويا عن المعتضد بالله رضى الله عنه وهو أنه كان سائرا في موكبه فتظلم أحد الرعية من بعض الجند فيما يقارب قصة البطيخ فأمر باحضاره وسحبه الى السجن وحبسه الى أن يعود الى مستقر عزه فيأمر فيه. فلما كان في اليوم الثانى وأصبح الناس رأوا رجلا مصلوبا فتحدثوا بقتل الجانى بالامس وصلبه . فدخل أحد خواص[1] المعتضد اليه وقال له (٧٩) عند خلو مجلسه : يا أمير المؤمنين قد كان التعزير

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن حمدون النديم والحكاية موجودة فى ارشاد الاريب ١ : ١٥٩ وفى كتاب الاذكياء لابي الفرج بن الجوزى ص ٤٢ قصة بطيخ أخذه بعض غلمان جلال الدولة رواها من تاريخ هلال الصابي

فيما جرى يقنع من غير صلب . فقال له : أتعرف الرجل . قال : نعم . قال : فامض الى السجن فانظر . فلما دخل رأى الرجل حيا وهو مقيد فعاد وقال : قد وجدته حيا . قال المعتضد : انما أمرت باخراج غيره من المفسدين الذين قطعوا الطريق وأخذوا المال وقتلوا ووجب صلبهم فهو الذى رأيتموه مصلوبا وظهر للعامة أن المصلوب هو الجانى بالامس ايداعا للرهبة فى قلوبهم فما تعديت حدود الله . ولقد وُفّق المعتضد بالله رضى الله عنه وهل يدافع عن حسن سياسة يضرب بها المثل ؟

وبلغنى أن بعض أمراء مصر كثر المفسدون فى أيامه فقتل وتعدّى حدود الله التى أتت بها الشريعة فتضاعف الفساد حتى وقف أمره فأشير عليه باتباع الشرع فأحضر أحد الفقهاء المجتهدين وشاوره واستفتاه وعرض عليه من فى السجون وذكر له أحوالهم فافتاه بما أمر الله تعالى به فأقام الحدود فيهم بالعدل من غير زيادة ولا نقصان وسلك هذه الطريقة الجيدة فيمن ظفر به من المفسدين فما مضى من الزمان الا قليل حتى استقامت له الاحوال فانقطع الفساد فأمنت البلاد (٨٠) وليس للمخلوقين أن يحتاطوا بصلاح الامة بزيادة على أمر الخالق رب العالمين سبحانه وتعالى.

وما أحسن سيرة هذه الدولة التركية فان مندوباً للمظالم قد وسموه « بأمير داذ » معناه أمير العدل يجلس للمظالم والى جانبه حاكم من أهل العلم يرجع ذلك الامير الى رأيه وكلمه وينفذ ما تأمر الشريعة فى الجند والرعية . وكل عبد من عباد الله تعالى فى امداده بحسن التوفيق لم يهذب بسياسة الاقرب فالاقرب ولم يذلل بهيبته الاصعب فالاصعب . نسب (١) الى احدى

(١) في الاصل : ونسب

خطتين اما ظلم فى طبعه واما عجز في نفسه وكلتاهما غير حميدة . ولم يكن مثل ذلك يخاف على عضد الدولة بن بويه مع كمال فضله ولعله سمح لاسفار وزيار بهذا الفعل ان الخبر صحيح [1] لمداراة عاجلة ليتلافاها من بعد بسياسة شاملة فان غوره كان بعيدا وصبره لمداواة كل خطب عتيدا . وهو من الملوك الذين لا يقدح الثلم فى سياستهم بحال ولا يجد العيب في سيرهم أدنى مجال

﴿ ونعود الى سياقة الاخبار ﴾

حدث أبو اسحاق ابراهيم بن هلال [2] الصابى قال : لما ورد عضد الدولة فى (٨١) الدفعة الثانية خرجت لاستقباله الى المدائن وخدمته وخفت أن يتطرق على دارى الشاطئة [3] الترك فى سورة الدخول لاننى من حواشى البختيارية وسألته انفاذ من يحرسها فانفذ معى أحد النقباء الاصاغر وتقدمت عائدا والنقيب معى . فكان يمضى أكثر النهار فى أشغاله فاتفق ان هجم على الدار أحد القواد الاكابر وطرح أصحابه أحمالهم وفرشوا فرشهم وربطوا دوابهم وتقدموا الينا بالانتقال فأيسنا من دورنا ومضى غلمانى يطلبون النقيب فلما حضر سلم على القائد وقبل يده ووقف بين يديه وأخذ يحادثه ثم قال له الديلمى : فيم جئت ؟ قال : أنفذنى الملك لاحفظ هذه الدور ممن يتعرض لها . فقال له : هذا كاتب من أصحاب بختيار فأىُّ شىء بينه وبين الملك ؟ قال : كان يخدمه وله موضع عنده . قال أبو اسحق : فوالله ما استتم النقيب كلامه حتى نهض القائد الديلمى ورمى بكرسى كان جالسا عليه وقال لغلمانه : ارفعوا. وركب فى الحال وخرجوا بعده فما رأيت هيبة أعظم من هيبته

---

(١) يريد ان كان الخبر صحيحاً (٢) وفي الاصل هليل (٣) وأما هنو الدار فليراجع ما قال فيها حفيده هلال في كتاب الوزراء ص ٢٨٨

﴿ وأما ذكر ما فعله فى أمر الحماية (٨٢) ﴾

فانه حمى البلاد من كل مفسد وحفظ الطرق من كل عائث وهابه الحواضر والبوادي

وكان منه فى قتل داود بن مصعب العقيلى آمر بني عقيل وسيدها بأبى القاسم ابن الباهلي ما شاع ذكره

﴿ ذكر مكيدة فى قتل دواود بن مصعب ﴾

وكان من خبره أن عضد الدولة أنفذ أبا القاسم ابن الباهلي الى داود برسالة يدعوه فيها الى الطاعة والدخول الى بغداد وضم اليه عشرين رجلا من الحمدانية وواقفه على الفتك ان وجد غرة منه . فلما حصل عنده وكان نازلا بالقرب من سنجار أورد عليه ما تحمله ورغبه فى الخدمة فقال له داود: أما الطاعة فأنا ألزمها وأما الدخول الى الباب فما جرت لى عادة به . فلم يزل يراوضه وهو مقيم على أمره فيما بذله وامتنع عنه . وعول ابن الباهلى على اغتياله وواقف فراشاً كان معه على ذلك وطلب الغرة فوجدها عند رواح الجمال والبقر والغنم فان الصياح يكثر والرجال والنساء مشغولون بابلهم ومواشيهم وضمها الى (٨٣) بيوتهم وحلب ألبانها فعمل على فعل ما يريد فعله فى هذا الوقت واستأذن على داود في بعض العشايا وحضر عنده وأخذ فراشه معه (وقد خرج اليه بسره) ورسم له أن يمسك داود اذا خلا مجلسه وغمزه بعينه واستصحب سكينا ماضية في كمه . وراحت الابل والمواشى فارتجت الحلة باصواتها وضوضاء الناس وحادثه ساعة ثم غمز الفراش فوثب وأخذ يدي داود وبمسكهما وضربه ابن الباهلى بالسكين فى صدره وكرر ذلك حتى أصاب مقتله وخرج غير عجل ولا مضطرب والفراش خلفه طالبا

للصحراء والبعد عن البيوت كانه قاضي حاجة وقد أعد له وللفراش فرسين فركباهما وسارا سيرا رفيقا حتى أوغلا فى الصحراء ثم حثا وعدلا عن طريق الموصل وتعسفا الطريق الي برقعيد ونزلا منها الى دجلة وانحدرا في سفينة. ودخل أصحاب داود عليه بعد ساعة فوجدوه طريحا قتيلا ولم يجدوا ابن الباهلى فعلموا ان الفعل له ومضى قوم من الفرسان يتبعون أثره فى الطريق المؤدية الي الموصل فلم يجدوه فاخذ من كان معه من الحمدانية فقتلوا صبرا (٨٤) ومضت على ذلك السنون وقتل ابن الباهلى بالكوفة قتله بنو عقيل. وقد قيل « كل قاتل مقتول » وهو أسهل الامرين لان ما جاء من الوعيد فى القرآن وفى الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل نفسا بغير حق مع مايلقاه فى الدار الآخرة أشد نكالا وأعظم عقابا وأدوم عذابا نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة

وذكر أبو الحسن محمد بن عيسى الهيتى قال: أخرجت الى هيت لتقرير ارتفاعها وارتفاع الانبار على أبي العلاء الحسن بن محمد الاسكافى فورد علينا فى بعض الايام كتاب من عضد الدولة يرسم فيه المسئلة عن اعرابي من بني عقيل تناول شيأ من بعض زواريق المعادن والمطالبة باسمه وحاله. فاحضرت الملاحين وسألتهم عن هذه الحال فلم يعرفوها فكتبت بذلك وورد الجواب بان نزيد فى البحث فلم أزل أتعرف وأسأل كل واحد حتى ذكر لى بعض الملاحين ان فلانا العقيلى اعترض سفينة من سفن المعادن وهي مصعدة والتمس من بعض المدادين قطعة من شاروفة فأخذها قهرا من صدره وانه لم يجر سوى ذلك فأحضرنا المسيّب بن رافع وطالبناه بالاعرابي فقال: ما تريدان منه. فأعلمناه ان الملك طلبه. قال أبو الحسن

الميتي : وكان بيني وبين (٨٥) المسيب أنسة ومودة فاقسم على ان اطالعه على الصورة فذكرتها له فانصرف واجما وغاب عنا يومين ورجع ومعه جماعة من أهل المطلوب وبني عمه وسألونا الامساك عنه وانتهى الامر فيما بيننا وبينهم الى أن تصححوا ذنبه . قال أبو الحسن : فلم أتجاسر على مكاتبة عضد الدولة بذلك وكتب به أبو العلاء وعنده انه قد أثر أثرا منه فعاد الجواب اليه بانكار ما كان منه في قبول ما قبله من المال واطماع القوم في الرضاء عنهم وان الغرض حسم مواد الفساد في الطرق وقيل له فيما خوطب به : لولا أنها أول جناية لك لانفذنا من يحسن تقويمك وتأديبك . وكوتبت أنا بالتماس الاعرابي وأخذ المسيب بتسليمه واطماعه واطماع بني عمه في الصفح عنه اذا سلموه فاعدت خطاب المسيب والقوم في احضار الرجل فأحضروه وسلموه فاعتقلته وكتبت بحصوله فورد الكتاب بأن أطالبه بالشاروفة التي أخذها فاذا أحضرها خنق بها في الموضع الذي أخذها منه وصلب ففعلت ذلك . ثم راسل عضد الدولة المسيب ووجوه بني عقيل بانه : متى لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا الطرق (٨٦) ويحموا مواد الفساد صرفناكم من ممالكنا . فحملهم الخوف على العبور الى الجانب الشامي وأوغلوا في البرية .

ومن العجب من حسن سياسة عضد الدولة اطماع المطلوب في الصفح عنه اذا حضر واطماع بني عمه في مثل ذلك اذا أحضروه ثم الغدر به بعد تسليمه . قال الله تعالى : الاّ الذينَ تابوا منْ قبلِ أنْ تقدرُوا عليهمْ فاعلموا أنّ الله غفورٌ رَحيمٌ . واستجابة الرجل الى الحضور طمعاً في الامان قبل القدرة عليه هو توبة فالغدر به بعد بذل الاطماع في العفو قبيح ان كان

ماذكر في هذه القصة صحيحاً

ومن بعض توصله ما وجدنا فى عين التاريخ وهو ان عضد الدولة أنفذ أحمالا من الامتعة الى مكة مع تجار أوحاج فلما انتهوا الى بعض الطريق عند بعض أحياء العرب خرج عليهم قوم منهم فقطعوا عليهم فقال المأخوذ: هذه الاحمال لعضد الدولة الملك . فسبوه عند ذكره وعاد المأخوذ الى حضرة عضد الدولة وحكى ذلك . فتقدم بعمل شيء كثير من الحلاوات المسمومة وأعاد المأخوذين وأصحبهم أمتعة وجعل تلك الحلاوة المسمومة فى جملتها وقال : تعمدوا لقاء القوم فاذا وقعوا (٨٧) عليكم فقولوا « ان هذه الامتعة والحلاوات أنفذها عضد الدولة لفقراء مكة » فاذا أخذوا الاحمال فعودوا لوقتكم . ففعلوا ذلك وصادفوا القوم فاخذوا ما صحبهم وأكلوا من تلك الحلاوات فهلكوا [١]

فان كان هذا الخبر صحيحا فانه كيد يأباه كل ذى دين ويأنف منه كل سلطان مكين فذو الدين يراه من أعظم الآثام وذو السلطان يراه عجزا وضعفا فى الانتقام . وفيه تغرير نفوس من لا ذنب له فهل كان يأمن ان يأكل من ذلك النساء والولدان ومن عسى ان ينزل بالحي من ضيف برىء الساحة قال الله تعالى : ولا تزر وازرة وزر أخرى . واستفتى رجل ابن عباس رضوان الله عليه فى قتل أولاد المشركين فقال : ان علمت منهم ما علمه الخضر عليه السلام من الغلام الذى قتله فاقتلهم ايجابا للحجة عليه بانه لا يجوز له قتل من لم يبلغ الحلم منهم .

---

(١) وردت هذه الحكاية فى كتاب الاذكياء ص ٤١ رواية عن تاريخ محمد بن عبد الملك الهمذانى

ومن غريب مكايده التي تتداولها الألسن ما كاد به طائفة من القفص والبلوص حين أوغل في بلاد كرمان لتنظيفها منهم [(١)] فانه انتهى اليه ان قوما منهم بيوتهم من وراء جبل بحيث لا يمكن الوصول اليهم الا بعد سلوك مضيق اذا وقف فيه عدد قليل [(٨٨)] منع عسكرا كثيرا فلما أيس من الوصول اليها بالقوة أعمل الفكر في الحيلة وراسلهم :باني لا أنصرف عنكم الا باتاوة. فقالوا : مالنا مال نؤديه اليك. فقال : أنتم أصحاب صيد وأريد من كل بيت كلبا. فهان عليهم ذلك فانفذ من عدّ بيوتهم فأخذ منهم كلابا بعددها. ومن شأن الكلب ان يلوذ بصاحبه ويبصبص له وحوله ويحتك به ويألف بيته حتى انه اذا أفلت من فراسخ كثيرة عاد الى مربضه. فأمر بأن يشد في أعناقها حلق النفط الابيض وتجتمع عند مضيق الجبل ثم تضرب النار في النفط ويخلى سبيلها ويتبعها العسكر ففعلوا ذلك وأسرعت الكلاب عدواً وأحس القوم بركوب العسكر فلقوهم في المضيق وطلب كل كلب صاحبه لائذا به من حرق النار فكلما احتك بالرجل أضرمت النار اليه وأفرجوا عن الطريق والكلاب تتبعهم وتعدّت النار اليهم فاحترق عدد كثير منهم. وهجمت الكلاب على البيوت فخلا أهلها وأسرع العسكر وراءهم ووضعوا السيف فيهم واستأصلوا شأفتهم.

فأما ما أقامه من الهيبة وأودعه [(٨٩)] صدور الرعية من الرهبة فانه كان قد منع كل واحد من حمل السلاح بالحضرة الا من كان مستخدما في المعونة أو مرتبطا في جملة الرجالة المرتزقة فان وجد مع غيرهم سلاح أخذ وحبس وألزم جناية وحظر أيضا ان يضرب واحدا واحدا أو يمد اليه يده فمن فعل ذلك

(١) وذلك في سنة ٣٦٤ كما تقدم ذكره (٢ : ٣٥٩)

أخذ وعوقب وحبس واغرم فكانت أيدي الناس مقبوضة . قال صاحب التاريخ : وانني لاذكر في درب ابان من الجانب الشرقي وأبو اسحق جدي [١] اذ ذاك في الاعتقال وكان في هذا الدرب رجل شيرازي رث البزة يذهب في أمره مذهب التطايب ويضحكنا اذا جلس معنا فبينما هو في بعض الايام قاعد مع والدي على باب دارنا ومعنا رجل يعرف بابن مواتة من أولاد الشهود والجيران اذ اجتاز بائع رمان فدعاه ابن مواتة وساومه وجرى بينهما ما رفع له ابن مواتة يده فلطمه . فقبض الرجل الشيرازي يده على كم ابن مواتة وقال : قم الى دار الملك . قال له : أصنع ماذا ؟ قال : أطالع بما فعلته من لطم الطواف ويؤخذ بحقه منك ثم يجري [٩٠] حكم السياسة فيك . لقد مات ابن مواتة خوفا وجزعا وعطف والدي على الشيرازي يسأله الامساك والطواف يقول عند ما شاهده من الحال : قد وهبت وسامحت . وهو يقول له : اذا وهبت حقك وهب السلطان حقه . ويقول لوالدي : لا أتمكن من الامساك لان خبرنا قد رفع الساعة الى الحضرة واذا أمسكت صار لي ذنب أهلك به وتنقطع معيشتي وأنا أرتزق رزقا سلطانيا على نقل هذه الاشياء . وانتهت الحال الى ان قبل والدي وابن مواتة يده فخلى عنه وقال : قد دخلت معكم في خطر أسأل الله تعالى السلامة منه . وصرنا بعد ذلك نخافه ونرهبه . وكان معلمو الصبيان موافقين على ان يسألوا أولاد الجند الذين في مكاتبهم عن أمور آبائهم ومتصرفات أحوالهم في منازلهم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دارٌّ

---

(١) أبو اسحاق هو ابراهيم بن هلال الصابي وحفيده هو هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي وهو « صاحب التاريخ »

﴿ ذكر حيلة لطيفة عادت باقامة هيبة عظيمة بين رعية بعيدة ﴾

﴿ خبر الحلاوى (٩١) ﴾

كان أحد جواسيس عضد الدولة العائدين من مصر ذكر لعضد الدوله فى جملة ماأخبر به انه تقدم الى شيخ حلاوي فى زقاق القناديل بمصر فدفع اليه درهما تاجيا ليبتاع به شيأ مما بين يديه فردّه عليه وتنازعا فيه فشتمه وشتم الآمر بضرب الدرهم وانه سأل عن اسم الحلاوى حتى عرفه وسماه. قال أبو عبد الله ابن الحسين بن محمد الحلاوى الموصلى : بينما أنا فى منزلى في بعض الليالى اذ طرق بابى نقيب ومعه نفّاط فجزعت منه وخرجت اليه فقال لى : ابن محمان يستدعيك . فمضيت معه اليه فلما حضرت بين يديه وجدت عنده فراشاً من دار عضد الدولة فقال لى : ان مولانا سأل عن صانع حاذق فوصفت له ورسم انفاذك الى الدار فصر مع هذا الفراش اليها . فقلت : السمع والطاعة . فنزلنا سمارية من سماريات النوبة كانت مقدمة فى المشرعة وانحدرنا وصعدنا الى الدار فوقفني فى الصحن ودخل ثم خرج فادخلنى الى الحجرة التي فى ظهر القبة الخضراء واذا عضد الدولة جالس وشُكر قائم فلما رأيته قبلت الارض مراراً فقال الملك : قد أزعجت فلا بأس عليك وما دعوناك الا لخير . (٩٢) فقبلت الارض ثم قال : قد احتجنا الى استخدامك فى أمر تنفذ فيه الى الموصل وتقدمنا باطلاق نفقة لك تخلفها لعيالك تخذها من أبى الثناء (يعنى شكرا) فقلت : السمع والطاعة . فقال : انصرف وانظر فى أمرك وادفع النفقة الى أهلك ولا تعرض أنت لاخذ شىء منها فما بك فى طريقك حاجة اليها . فخرج شكر وأعطانى عشرين دينارا وانصرفت بها الى أهلى وذكرت لهم الصورة ووصيتهم بما أريد . فلما كان

من غد آخر النهار وحضر من يستدعيني فصرت معه الى الدار ووصلت الى حضرة عضد الدولة بين العشاء والعتمة فقال لى : اخرج فى هذه الساعة مع من نسلمك اليه الى مصر فاذا حصلت بها فاقصد باب الجامع وسل عن منير الخادم الابيض فانه يكون هناك يبيع الفراخ المسمنة وهو معروف فاذا رأيته فقل له « صديقك يقرئك السلام » فسيقوم من موضعه ويمشى فاتبعه الى منزله فاذا دخلت فانزع ثياب سفرك التى عليك والبس الثياب التى يسلمها اليك وخذ منه ماتريده لنفسك واقصد بعد ذلك زقاق القناديل فانك سترى شيخا حلاويا اسمه كذا ويعرف بكذا فاسئل عنه لتتحقق انه هو ثم اجلس عنده فاذكر له صنعتك [٩٣] ومعرفتك بأمر الحلواء وتوصل الى أن تعمل عنده من يومك والزمه وخفف مؤنتك عليه وان دعاك الى منزله فامض معه فاذا عملت معه خمسة عشر يوما أو أكثر وعرفك الناس واشتهر عنك جودة الصنعة فاستأجر بازاء دكانه دكانا وابتع ما تريده من آلة ومتاع واستدع ثمن ذلك من منير الخادم فان زبون الحلاوى سيعدل اليك ويقف أمره ويسئلك الشركة فاذا سألكها فأجبه اليها وشاركه وأقم فيها معه شهرا . ثم أظهر له شوقك الى بغداد والى عيالك الذين بها وصفها عنده وعظم الكسب بها في عينه وابعثه على الخروج اليها وعده المواعيد الكثيرة فان احتج عليك بأهله وولده فقل له « معى دنانير وأنا أدفعها اليك لتجعلها نفقة لهم مدة غيبتك عنهم » واعلمه انك تفعل ذلك ايثاراً لصحبته وأنه اذا حصل ببغداد أنزلته دارك وجعلته في دكانك وأعطيته قسما وافراً من الربح مما تتجر فيه من مالك فان أحب بعد ما يشاهده المقام أقام وان آثر العود الى مصر زودته من طريق العراق ما يعود به الى أهله واجهد

فى حمله معك الى حضرتنا واخدم في ذلك خدمة تحظ[٩٤] بحسن العاقبة فيها وتناول من منير ما تحتاج اليه لنفسك وله واحفظ السر واحترس من حيلة تتم عليك واجتز على طريق الموصل في عودك . فلما سمعت ذلك كله قلت: السمع والطاعة وأرجو أن يوفقني الله لما أهّلت له . فاخذ شكر بيدى وعدل بي الى موضع ونزعت ثيابي والبست مبطنة ودفعت الىّ عشرون دينارا وقال: هذه نفقة طريقك . ثم استدعى اعرابيا اسمه حسان جالسا فى الصحن وسلمنى اليه وقال له : هذا الرجل فاحفظه واوصله[١] الى حيث وقفت عليه . فأخذ الاعرابى بيدى ونزلنا فجلسنا فى سمارية من سماريات النوبة وصعدنا باب خراسان ومشينا الى وجه الجامع فاذا هناك أربعة أجمال ورجلان من العرب وركبا وركب الاعرابى وركبت وسرنا ومازلنا من موضع الى موضع آخر حتى وصلنا الى مصر فى سبع وعشرين ليلة فخطى القوم وقال لى صاحبي منهم : امض فى حفظ الله وهات علامة بوصلك . فقلت : العلامة ان مولانا قال لى « اذا عدت نخذ على طريق الموصل » ولا والله ماسألوني من أنا ولا فى أى شيء توجهت

وقصدت باب الجامع فاذا الخادم الابيض فسلمت عليه وقلت له[٩٥] ما وصيت به فرحب بى ونهض معى فى الحال الى منزله ونزع ثيابى وأعطانى ثيابا نظافا من عنده . وجرى الامر مع عضد الدولة[٢] مدة مقامى بمصر على ما كان مثله عضد الدولة حتى كانه حاضر معنا ومازلت أرفق بالحلاوى وأعده وأمنّيه حتى أجاب الى الخروج . فعدت الى الخادم وودّعته ونزعت الثياب التى أعطانيها ولبست المبطنة التى وصلت بها وأخذت نفقة وتوجهت

(١) فى الاصل : وواصله (٢) لعله : وجرى الامر مع من وصفهم عضد الدولة

أنا والشيخ الحلاوى معى وما زلنا ننتقل من مكان الى مكان حتى وصلنا الموصل وأقاربي بها فنزلنا عند بعضهم . واستأجرنا فى كورة [1] البريد وما زلنا ننتقل الى أن وصلنا الى بغداد وانحدرنا الى منزلي والشيخ معي انجدد الوضوء ونصلي ونعبر . فما استقررت حتى حضر نقيب من الدار يستدعيني ومن معى فعجبت من ذلك وكان صاحب الخبر قد كتب بخبرنا فبادرت ومعى الشيخ وعبرنا الى الدار وجلسنا في موضع منها الى ان خلا وجه عضد الدولة . ثم أدخلت والشيخ معى وقد طار لبه وعظم رعبه وهو يحتسب الله عليّ وأنا أسكن منه وقد تداخلني له الرحمة الشديدة وعدل بي الى موضع فيه شكر فنزعت ما كان عليّ من الثياب وأنا أراها قد أخذت (٩٦) وحملت الى حضرة الملك فأعطيت ثيابي التي نزعتها عند خروجي ومثلت بين يديه أنا والشيخ فقال . كيف جرى الامر ؟ قلت : كما مثله مولانا . قال للشيخ : أأنت فلان بن فلان الحلاوي ؟ قال : نعم . قال : لا تخف وان كنت قد أسأت الى نفسك وجشمتها السفر عن منزلك بالفضول من قولك وفعلك . فبكى الشيخ بكاء شديداً فتركه قليلا ثم قال : ياهذا هبك رددت الدرهم الذى من ضربنا ولم تحب اخذه من الرجل الغريب الذى وقف بك فما بالك شتمته وشتمت الذى أمر بضربه ؟ ولولا أن في تأديبك والفتك بك وأنت شيخ غريب ولعل وراءك من يتوقعك ومادته منك بعض الاثم واللوم لامرنا بتقويمك لكنا نهب جنايتك لمن خلفك من عيالك وقد تقدمنا باطلاق نفقة لك تردك الى بلدك فلا تعاود مثل ما كان منك وتحدث فى بلدك بصفحنا عنك وعن جرمك ومنتنا

---

(١) لعله : ركوبة

عليك. فبكى الشيخ حتى كاد يموت ولم يكن له لسان يجيب به وخرجنا وأعطانى شكر عشرين دينارا وقال: اصرفها فى نفقتك. واعطى الشيخ دنانير وحملته الى منزلى وأكرمته واستأجرت له ما ركبه في بعض القوافل الى الموصل (٩٧). فذكر ان الشيخ لما عاد الى مصر تحدث بحديثه وشاع ذلك هناك فكان الغريب اذا جلس الى بعض أهل البلد صاحوا: الحذر الحذر. فتمسك الناس عن ذكر عضد الدولة وقال الحسين الحلاوى: كانت فى المبطنة التى لبستها ملطفات وما علمت بها الا بعد عودى

وأما ذكر مراعاته للقوانين وحفظها فى الاحوال جميعا فانه كان لا يعول فى الامور الا على ذوى الكفايات ولا يقضى فيمن لا غناء عنده حقوق ذوي الشفاعات ولا يجعل لمن حوله من ذوى المناصب ولا لاحد من الاقارب والاباعد مساغا فى الجنس المفوض الى كل فرقة منهم ويجرى الامر فى ذلك على أحسن نظام ويزمه بأحسن زمام. قال أبو محمد الحسن ابن أبي الفرج ابن مسلمة [1] الشاهد قال: أحب أبو العباس محمد بن نصر بن أحمد بن مكرم الشاهد أن تقبل شهادة أبي يعلى محمد ابنه وكان أبو عمر محمد ابن عبد الله بن أيوب القطان صهره على ابنته ومسامرا لابي زهير أسفار (٩٨) ابن كردويه ومختصا به. وقال أبو العباس لابي عمر: أنا أعلم نبوك عن [2] أبي يعلى ابنى لما تنكره من أخلاقه وقد أحببت أن تقبل شهادته وشرعت في أخذ الخطوط بتزكيته وهذا أمر هو فى يدك فان ساعدتني عليه مشى وان وقف فما يقف الا بك. فقال له: والله لا تركت ممكنا. فقال أبو العباس: القائد [أبو] زهير كثير القبول منك قليل الخلاف عليك وان خاطب عضد

(١) في الاصل: المسلمة (٢) وفي الاصل: علي

الدولة على ذلك مع حصول التزكية لم يقع امتناع عليه فيه وأريد أن تجعل هذه الحاجة أكبر حوائجك اليه . فقال : افعل . قال أبو عمر : فدخلت الى أسفار وقلت له : ياصاحب الجيش قد خدمتك الخدمة التي وجب بها الحق لى عليك ولى حاجة فيها قيام جاهى في البلد قد جعلتها ثمرة أملى فيك : فقال لى : ما هى ؟ فقلت : أبو العباس يريد أن تقبل شهادة أبي يعلى ابنه واستشفع بي اليك فى خطاب عضد الدولة . فقال : افعل وقد جرت العادة فيما بيني وبين الملك بان أراسله فيما أريدهُ على لسان ثقة . وأحضر الرجل الذى أشار اليه نحمله في ذلك رسالة استوفاها فمضى وعاد وقال : يقول لك الملك : مالك وللخطاب فى مثل هذا الامر ؟ (٩٩) قال أبو عمر : فاستدعاني أسفار حتى سمعت الجواب فقلت : ياصاحب الجيش والله ما يقبل منى أبو العباس ذلك ولا يقدّر الا انى قد قصرت فى مسألتك مع علمه بموضعى منك وموضعك من الملك وانك لا ترد في الكبير فضلا عن الصغير . فقال : ما جرت لى عادة بمعاودته ولكني أعاوده بعد أيام . ومضت على ذلك مديدة فاعاد الرجل الرسالة وجدد السؤال فعاد مثل الجواب الاول . فأظهرتُ الوجوم والانكسار ومضت أيام وهو يرانى كاسف البال فقال لى : يا باعمر قد عملت على الركوب الى الدار فى غد . ووصل الى حضرة عضد الدولة ووقف ساعة ثم قال : قد راسلت مولانا فى أمر أبى يعلى ابن مكرم دفعتين وعاد الجواب برسم فيه الامساك ولى فى تمام هذا الامر جاه والقوم الذين سألونى في ذلك فى اختلاط وأمل قوى ومتى وقف انكسر جاهى عندهم وعند الناس . فضحك وقال : يا با زهير مالك والخطاب فى مثل هذا وفى الشهادة والشهود ؟ انما يتعلق بك الخطاب على زيادة قائد أو تقويد خاصة

نقل رتبة الى رتبة فاما قبول الشهادة فليس لنا ولك قول فيه وهو متعلق بالقضاة ومتى عرفوا من انسان مايرون معه قبول[١٠٠] شهادته فعلوا ذلك بغير أمر ولا شفاعة شافع اليهم والينا واذا أقمت عذر نفسك عند من سألك بمثل ما قلنا لك عرف صحة ذلك . وانصرف أسفار بهذا الجواب وحدث أبا عمر به ووقف الامر فى قبول شهادة أبى يعلى الي أن توفى عضد الدولة

وأما ما ذكر من صدقاته ومبرّاته وما تأدى[١] ذلك من فضل احتياطه ومراعاته فانه كان يخرج عند افتتاح مال كل سنة شيئا كثيرا فى البر والصدقة ويكتب الى العمال فى النواحي بتسليمه الى قضاتها ووجوه أهلها ليصرفوه الى ذوى الحاجة والمسكنة قال أبو نصر خواشاذه : أعطانى عضد الدولة فى بعض الايام توقيعا على انه بثلاثين الف درهم للصدقة ورسم وزن ذلك وتفرقته بحسب ما جرت به العادة وكان قد غلط وكتب « يخرج من الخزانة ثلاثون بدرة للصدقة » فرددته وقلت : يا مولانا المال ثلاثون الف درهم والتوقيع ثلاثون بدرة[١٠١] فقال أرنيه . فقال : لن أعود فيها فاخرجها . فاخرجتها فاطلقت فى الصدقات .

وقد شوهد فى كثير من تذاكيره وما كان يوقعه في تقاويمه « نذرنا للامر الفلانى كيت وكيت وكذا وكذا الف درهم للصدقة » فى مواضع كثيرة فكان لا يهم بعزم ولا يكون فى سرور أو همّ الا وهو يقدم نذرا اما في السرور فلكماله واما في الهم فلزواله وذلك مبنىّ على جميل اعتقاد وحسن يقين وصحة ايمان واقرار بالمعاد

وكان يطلق للكتاب والعمال المتعطلين اذا شكوا أحوالهم وقصورهم أو اطلع

---

(١) لعله : تعدى

على ذلك منها ما ينسب الى الاسلاف التى لا يحاسبون بها عند استعمالهم واستخدامهم . وكان المستخدمون يستسلفون من أبي يعلى سليمن بن الحسن الناظر في التمور والامتعة البصرية على ما يسبب به أرزاقهم ما يأخذون به منه التمر وما يجرى مجراه بفضل فى ثمنه فيرغب الطالب فى الاخذ للحاجة والاتساع بالسلف ويرغب المعطي فى الاسلاف للزيادة في الاثمان والفائدة مردودة للسلطان . وتوفى عضد الدولة وعلى المتصرفين والمتعطلين من هذه الاسلاف مال جزيل كثير. وبازاء ذلك من احتياطه ما (١٠٣) ذكره أبو نصر خواشاذه قال : حضر نيروز وأراد أن يقطع عضد الدولة فيه قباء سقلاطون بجلس فيه للتهنئة فقال لى : احضر من الخزانة ثوباً يصلح للقباء . فمضيت فاخترت منها ثوبا حسنا مستعملا بجئته به فلما وضعته بين يديه تأمله وأخذه ورمانى به وقال : ليس من هذا طلبت . فظننت انه قد استرذله وأراد ما هو أرفع منه فعدت وأخرجت من بابة أخرى ما هو أجود منه فاحضرته فلما ملا عينه منه قال لي : يا أعمى القلب ليس من هذا . فبقيت متحيرا لا أدري ما أصنع ورجعت الى الخزانة فقال لى أبو نصر بندار : مالى أراك ضيق الصدر وقد أخذت ثوبين ورددتهما . فعرفته الصورة فضحك وقال : لو أعلمتنى لكفيتك ما اشتغل قلبك به . وقام وفتح سفطا فيه ثياب سقلاطونيات متقاربات يسوى الثوب منها خمسة دنانير وأخذ ثوبا واحدا منها فتركه(١) بين يدىّ وقال : أحمله اليه فانه يرضيه . فاخذته وحملته فلما وضعته بحضرته وشاهده وأدخل يده فيه وقلّبه قال : هذا جيد . نتقدم بقطعه واعداده ولبسه فى يوم ذلك الفصل ووهبه لبعض الديلم (١٠٣)

---

(١) لعله : فطرحه

فاما محبته للعلوم وتقريب أهلها فانه كان يكرم العلماء أوفي اكرام وينعم عليهم أهنأ انعام ويقربهم من حضرته ويدنيهم من خدمته ويعارضهم فى أجناس المسائل ويفاوضهم فى أنواع الفضائل فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها وجنى له من كل ثمرة أحلاها . وصنفت فى أيامه المصنفات الرائقة فى أجناس العلوم المتفرقة فمنها كتاب الحجة فى القراآت السبع وهو كتاب ليس له نظير فى جلالة قدر واشتهار ذكر ومنها كتاب الايضاح فى النحو وهو مع قلة حجمه يوفى على الكتب الكبار التى من جنسه في قوة عبارة وجودة صنعة (١) وحكي أبو طالب أحمد بن بكر العبدى (٢) صاحب كتاب شرح الايضاح ان عضد الدولة كان ضنينا بهذا الكتاب محبا للاختصاص بقراءته دون كل أحد وان رجلا توصل الى كتبه بخطه بحيلة فامر عضد الدولة بقطع يده لنفاسة الكتاب فى نفسه وحلاوته في قلبه حتي سئل فى أمره فعفى عنه . ومنها الكناس العضدى فى الطب المؤلف في أيامه (٣) الموفي على غيره بيانا وحسن ترتيب وكمالا وغير ذلك من المقالات الرياضية والرسائل الهندسية (١٠٤)

وأما ما عمله من الآثار الجميلة فانه جدد بفارس وخوزستان منها ما هو باق

---

(١) ومؤلفه أبو على الحسن بن احمد الفارسي وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ٩ وفيه ان عضد الدولة كان يقول : أنا غلام أبي على النحوى في النحو وغلام أبي الحسين الرازى الصوفى فى النجوم . وأبو الحسين هو عبد الرحمن بن عمر كذا في كشف الظنون ٧٨٠٨ وفى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٤٤٠ انه عمل كرة للملك عضد الدولة وزنها ثلاثة آلاف درهم (٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ١ : ٣٨١ (٣) ومؤلفه على بن العباس المجوسى يعرف بابن المجوسي وليراجع ترجمته فى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٢٣٢

الاثر عند الناظر شائع الخبر عند السامع. وعمد الى مصالح بغداد فاوجدها بعد العدم وأعادها الى ريعانها بعد الهرم واستدر أفاويق الاعمال بعد ان كانت متصرمة واستمد ينابيع الاموال بعد ان كانت مستهدمة [1] وفعل في تجديد العمران وبناء البيمارستان ووقف الوقوف الكثيرة عليه ونقل أنواع الآلات والادوية من كل ناحية اليه [2] ما يدرك العيان بعضه الى الآن. وعمل السكور وأنفق فيها الاموال وأعد عليها الآلات ووكل بها الرجال وألزمهم حفظها بالليل والنهار وراعى ذلك منهم أتم مراعاة فى آونة المدود الجوارف وأزمنة الغيوث الهواطل وأوقات الرياح العواصف. فقيل انه لما سد المطهر بن عبد الله بثق السهلية رتب عليه ابراهيم المعروف بالاغر وأمره بالمقام عليه (١٠٥) ومواصلة تعليته الى حين انقضاء المدود. قال ابراهيم: فاقمت على هذا السكر زمانا طويلا والرجال معى وشقيت شقاء طويلا وكان لى منزل بجسر النهروان وبينى وبينه مدى قريب فكنت لا أتجانبه على الالمام به ولا على دخول الحمام اشفاقا من ان يكتب صاحب الخبر بجسر النهروان بخبرى. فلما مضت المدة الطويلة على هذه الجملة من حالى عصفت ريح فى بعض الليالى وورد معها مطر شديد فدخلت القبة المبنية على السكر أستتر بها من الريح والمطر واجتهدنا فى أن نشعل سراجا فلم يدعنا عصوف الريح وضجرت وضاق صدرى ونازعتنى نفسى أن أقوم فأمضى فى الظلمة الى جسر النهروان وأبيت فى منزلى وأعاود بكرة موضعى. فبينما أنا فى ذلك وقد حققت عزمى عليه اذ سمعت كلاما على باب القبة فقلت لغلامى: انظر ما هو. فخرج وعاد وقال: انسان على جمل قد أناخ عندنا. ودخل

(١) لعله: مستهدمة (٢) فى الاصل: مما

الرجل وسلم فرددت عليه وقلت للغلام : اشعل سراجا . فقدح وأشعل وجاء بالنار فى نفاطة فاذا الرجل من خواص عضد الدولة عربي قد ورد من بغداد فقلت له : ما تشاء . فقال : استدعاني الساعة الاستاذ شكر وقد خرج من حضرة (١٠٦) الملك فقال : أمر مولانا ان تمضي على جمازة وتقصد سكر السهلية وتدخل الى القبة التي على ظهر المروحة فان وجدت ابراهيم الاغر هناك فاعلمه اننا نجازيه على خدمته وطول ملازمته وادفع اليه هذا الكيس ففيه الف درهم ليصرفه فى نفقته وان لم تجده وكان قد دخل الى داره بجسر النهروان فاقصده واهجم عليه فى منزله وخذ رأسه واحمله . واترك الكيس بين يديّ وقال : احمد الله على ما كفاك اياه . وعاد من وقته فبقيت حيران وعزمت على نفسى الا ادخل جسر النهروان

﴿ وأما ذكر ما رتبه فى تربية أولاده ودبر به دار مملكته ﴾
﴿ بفارس عند غيبته عنها ﴾

فان له من محاسن التدبير فى أمثلته التى مثلها لاصحابه في تذاكير وُجدت له ما يدل على علو همته وحسن سياسته في تربية أولاده وقسمة أيامهم بين آداب البراعة والشجاعة وأوقات الجد واللعب والاقتصاد فيما يجري بينهم من الترافه والتهاجر وتهذيب من يلوذ بهم (١٠٧) ويكون في جملتهم فان الاخلاق بالممازحة تعدى وبالمجاورة تسري . وترتبت الامور بدار مملكته بفارس فى حال غيبته بالعراق وغيرها لتجرى على السداد وتستمر على الاستقامة والاطّراد فكان اذا بعد عنها بجثمانه لم يبعد عنها بسلطانه كالشمس التى يبعد جرمها عن العالم وضياؤها فيه موجود . والقليل من ذكر سيرته ينبىء عن الكثير فنجتنب الاطالة والاكثار اذ قد شرطنا الاقتصار والاختصار .

ونذكر الآن طرفا مما رواه صاحب التاريخ من أخبار أضافها الى جملة محاسنه وهي بضدها أشبه فافردناها عنها اذ لاتستوي الحسنة ولا السيئة ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور

﴿ ذكر الرسوم التى أحدثها عضد الدولة ﴾

زاد فى المساحة واحدا في عشرة بالقلم وأضافه الى الاصول وجعله رسما جاريا واستمر الى هذه الغاية فى جميع السواد. وأحدث جنايات لم تكن ورسوم معاملات لم تعهد وأدخل يده فى جميع الارجاء وجبي (١٠٨) ارتفاعها وجعل لاهلها شيأ منه وكثرت الظلامة من ذلك فى آخر أيامه . . . ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . فأزاله صمصام الدولة بعده وأطلق الارتفاع للملاك . وجعل للمراعى وفرائض الصدقات دوانا وأفرد له عمالا وكتابا وجابذة فارتفع من أعمال السواد ما زاد على الف الف درهم فى السنة . وأدخل يده فى وقوف السواد ورتب لها ناظرين متصرفين وقرر لاربابها اجارة تطلق لهم عنها فتحصل منها جملة كثيرة وصارت في المقبوض وخرجت فى الاقطاعات من بعد ذلك . وقرّر على أسواق الدواب والحمير والجمال عما يباع فيها من جميع ذلك وفعل في ضرائب الامتعة الصادرة والواردة ما زاد فيه على الرسوم القديمة وحظر عمل الثلج والقزّ وجعلهما متجرا للخاص وكانا من قبل مطلقين لمن يريد عملهما والمتجر فيهما

ولعل صاحب التاريخ قصد بايراد هذه الاخبار فى محاسنه الفضيلة فى اقامة وجوه المال واستنباط ينابيعه . ولا خير في مال يسيء ذكرا ويحبط أجرا وكلما يجمع من أشباه تلك الوجوه فانه جمعُ تبديد وما يشرب من

أمثال هذه المناهل فانه شرب تصديد [١] (١٠٩) والخبر المشهور المروى [٢] عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: من سن سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة.

﴿ذكر أخبار ضبط مسرف لايليق بملك﴾

حدّث أبو على ابن مكيخا صاحب ديوان الخزائن قال: سألت عضد الدولة فى بعض الايام وقد صادفت منه طيب نفس واقبالا على زيادة فى عادته وذكرت له تضاعف مؤنتى وقصور مالى عن كفايتى فقال لى: أليس الموجب لك فى كل شهر كذا وكذا ولك من رسم الكسوة كذا وكذا في الفصلين؟ قلت: نعم. قال: فأنت تحتاج لراتبك ومؤنك وغلمانك ودوابك الى كذا وكذا فما وجه الاستزادة هذا فأنت تأكل فى كل أيامك مع أبي منصور نصر بن هرون. فقبلت الارض وتأخرت فاذا هو يحاسبنى ويعتد علىّ بما آكله على مائدة أبى منصور

وحكى أبو على أيضا ان عضد الدولة (١١٠) رأى له يوما بغلة بمركب حديد ثقيل فتركه مدة وقبض عليه وألزمه مالا فعرض في جملة ما يبيعه من رحله دست ديباج كان له وبلغ عضد الدولة خبره فاستدعاه ليشاهده ويحتسب له بما يقوّم به قال أبو على: وقد كنت أعطيت فيه ألفا وخمسمائة درهم فقال: احتسبوا له بالف ومائتى درهم. فقلت: قد دفع به الف وخمسمائة درهم وثمنه علىّ أكثر من ذلك. فغاظته هذه المراجعة وتقدم الى الخادم بان يسلم الىّ دستا دونه بكثير الا انه شبيه به فاخذته ولم يمكنى أن أقول شيأ

(١) لعله: صديد (٢) ايراجع كتاب الاعتصام ١: ٢٣١

فى أمره فاجتهدت ان يحتسب لى بالف ومائتى درهم المبذولة فقال : لاحاجة بنا الى دسته . وكان قصاراى ان بعتُ هذا المسلَّم بتسعمائة درهم

وحدث أبو الحسن رستم بن أحمد قال : أستكتبنى عضد الدولة لابي جعفر الحجاج بن هرمز عند وروده من ديلمان ورسم لى أن أعمل تذكرة عما يحتاج اليه راتبهُ في كل يوم ونفقاته فى كل شهر فعملت وأحضرت التذكرة وكان فيها رطلية شمع فى كل ليلة فوقف عليها ونقص كثيرا منها وزاد فى أبواب وقال : رطل شمع فى كل ليلة سرف (١١١) وينبغى ان يكون في كل أسبوع رطلية وان يوافق الفراش على ان يتركها فى تورها وتُقدم بين يديه المنارة عليها سراج بفتيلتين فان حضر من يحتشم رُفعت وأحضر التور والشمعة فاوقدت فاذا انصرف شيلت وأعيدت المنارة فقلت : السمع والطاعة . وجرى الامر على ذلك

وحدث أبو الحسن على بن أبى على الحاجب قال : كان لعضد الدولة فرجية سقلاطون مبطنة بقماقم فكان يلبسها كثيراً في الطريق بين بغداد وهمذان . وكان أحد الديلم قد أغرى بطلبتها وواصل المسألة فى بابها وعضد الدولة يعده ويدفعه حتى زاد لجاجه فعارضه يوما فى موكبه وقال : يامولانا قد طال الوعد بهذه الفرجية وأسئل انجازه اليوم . فاغتاظ وقال : نعم . وكان يمشي فى ركابه أصحاب الركاب ومن جانبه الايمن أحمد بن أبى حفص وفى جانبه الايسر ابن فارس فقال لهما سراً وأرسل كمى الفرجية : اقربا منى وأفتقا البطانة من الظهارة واجذباها وسلماها الى الركبدار . ففعلا ذلك ونزل عضد الدولة وحضر الديلمي مذكرا فاخرجت اليه في الحال طاقا بغير بطانة (١١٢) فبقى متعجبا وأخذها وأمسك

فلما خلا الملك استدعاهما وقال لهما : أنا أعلم انكما فضوليان وكانى بكما وقد قلتما « ما أشح هذا السلطان ! طلب منه بعض خواصه فروة منذ أمد ودافعه بها فلما أراد عطاءها له أمره بكذا بخلا بالبطانة » فقبلا الارض وقالا : لا اله الا الله يامولانا ان تتصورنا بهذه الصورة . فقال : بلى أنتما كذلك فاعلما ان فى جوانبنا من الثياب السقلاطون ما يمكننا ان نعم به عسكرنا لو أردنا ان نعطى جميعها وهذه البطائن الوبر قليلة وانما تحمل الينا منها فى السنة من البلاد البعيدة الخارجة عن ممالكنا المدة اليسيرة ولو وهبنا لهذا الديلمى بطانة الفرجية لرفعناه الى منزلة لا يستحقها لانه أقل من أن يدفع اليه مبطنا ثم طلب منا غدا من هو أجل منه جبة مبطنة بوبر فخرج ما فى خزائننا من هذا الجنس الى نفر قليل

وقد ذكر ارسطاطاليس فى رسالته المشهورة : ان الملوك ملك سخى على نفسه سخى على رعيته وملك شحيح على نفسه شحيح على رعيته وملك سخى على نفسه شحيح على رعيته وملك شحيح على نفسه سخى على رعيته فسابقهم الى الفضل (١١٣) من كان سخيا على نفسه سخيا على رعيته وتاليه من كان شحيحا على نفسه سخيا على رعيته وعضد الدولة كان كذلك الا ان طلب الدرجة العليا أعبق بذوى الكرم وسبب الغاية القصوى أولى باولى الهمم . ولعل بعض من يقرأ كتابنا يقول « اما كان يسع طى هذا البساط وقطع هذا الرباط فكم قد طوى من خبر ومحا من أثر » بلى ولكنا أردنا الخير وقصدنا النفع حتى اذا تأمل المتأمل ذلك وتلك الاحاديث الجميلة والافاعيل الشريفة استلذ من طيبها واستروح من نسيمها الى كل ما يهز أريحيته لفعل الخير وبناء المجد واطابة الذكر واقتناء الحمد . فاذا انتهى الى ما قد ذكر

أخيرا وجد من الـكدر فى المنهل والشرق بالزلال الذي شربه ما يحذّره اهمال اليسير من رياضـة أخلاقه فيصفيها تصفية الذهب الخالص . والسعيد من تأدب بغيره والـكمال عزيز فى كل حال وقد قيل

لا سلم من قول الوشاة وتسلمى * «سلمت» وهل حيٌّ من الناس يسلم [(١١٤)]

﴿ ذكر وفاة عضد الدولة سامحه الله ﴾

توفي عن سبع وأربعين سنة وأشهر وعلته التى توفى بها مشهورة . ولم تـكن أمثال هذا العمر عمله ولا في أضعافه أمله ولـكن في خفاء مواقيت الاجال مشغلة باكاذيب الامال . وما أحسن قول عدى بن زيد

ليس شيء على المنون بباق * غير وجه المهيمن الخلاق [(١)]

ذاك عضد الدولة سامحه الله أعجب بصحة عقله وفيه دهاء وهذا عضد الدولة البارسلان رحمه الله أعجب بقوة باسه ومنه ليعلم ان البشر لا يملك شيأ وان الملك لله الواحد القهار .

ونورد ههنا كلمات قيلت عند وفاة عضـد الدولة فيها حكمة بالغة وموعظة نافعة

ذكر أبو حيان التوحيدي فى كتاب الزلفة [(٢)] انه لما صحت وفاة عضـد الدولة كنا عند أبى سليمان السجستانى [(٣)] وكان [(١١٥)] القومسى حاضرا والنوشجانى وأبو القسم غلام زحل [(٤)] [و] ابن المقداد والعروضى والاندلسى والصيمرى فتذاكروا الـكلمات العشرة المشهورة التى قالها

---

(١) الاغاني ٢ : ٢٦ والمهيمن المسبح (٢) وردت ترجمته فى ارشاد الاريب ٥ : ٣٨٠ وذكر فيه من تصنيفه : كتاب الزلفة جزء (٣) هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقى وردت ترجمته في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطى ص ٢٨٢ وهو مصنف كتاب صوان الحكمة وصحب أبا جعفر ابن كاكويه ملك سجستان (٤) هو أبو القاسم ابن الحسن المنجم وترجمته في تاريخ الحكماء ص ٢٢٤

الحكماء العشرة عند وفاة الاسكندر فقال الاندلسى : لو قد تقوّض مجلسكم هذا بمثل هذه الكلمات لكان يؤثر عنكم ذلك . فقال أبو سليمان: ما أحسن مابعثت عليك [(١)] أما أنا فأقول : لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها وأعطاها فوق قيمتها وحسبك انه طلب الربح فيها فخسر روحه فى الدنيا . وقال الصيمرى : من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم بها فهذا انتباهه . وقال النوشجاني : ما رأيت غافلا فى غفلته ولا عاقلا فى عقله مثله . لقد كان ينقض جانبا وهو يظن انه مبرم ويغرم وهو يرى انه غانم . وقال العروضى : اما انه لو كان معتبرا في حياته لما صار عبرة [فى] مماته . قال الاندلسى : الصاعد في درجاتها الى سفال والنازل من درجاتها الى معال . وقال القومسى : من جد للدنيا هزلت به ومن هزل راغبا عنها جدت له . انظر الى هذا كيف انتهى أمره والى أى حظ [(٢)] وقع شأنه واني لاظن ان الرجل [(١١٦)] الزاهد الذى مات في هذه الايام ودفن بالشونيزية أحفظهما [(٣)] وأعز ظهيراً من هذا الذى ترك الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة . وقال غلام زحل : ما ترك هذا الشخص استظهارا بحسن نظره وقوته ولكن غلبه ما منه كان وبمعونته بان . وقال ابن المقداد : ان ماء أطفأ هذه النار لعظيم وان ريحا زعزعت هذا الركن لعصوف . فقال أبو سليمان : ما عندى [(٤)] في هذا الحديث أحسن مما سمعت أبا أسمعيل الخطيب الهاشمي لما نعاه على المنبر يوم الجمعة يقول في خطبته : كيف غفلت عن كيد هذا الامر حتى نفذ فيك وهلا اتخذت دونه جنة تقيك . ماذا صنعت باموالك والعبيد ورجالك

---

(١) لعله : عليه (٢) لعله : حضيض (٣) لعله أخف ظهرا (٤) في الاصل : عندك

والجنود وبخولك العتيد وبدهرك [١] الشديد هلاّ صانعت من عجل [٢] على السرير وبذلت له من القنطار الى القطمير من أين أتيت وكنت شهما حازما وكيف مكنت من نفسك وكنت قويا صارما من الذى وطأ [٣] علي مكروهك وأناخ بكلكله على ملكك لقد استضعفك من طمع فيك ولقد جهلك من سلم العز لك ! كلا ولكن ملكك من أخسرك بالتمليك وسلبك من قدر عليك بالتهليك [٤] ان فيك لعبرة للمعتبرين [٥] وانك لآية للمستبصرين جافى [١١٧] الله جنبك عن الثرى وتجاوز عنك بالحسنى ونقل روحك الى الدرجات العلى وعرفنا من خلفك خيرا وعدلا يكثر من أجلهما الدعاء وثناؤنا عليك انه على ذلك قدير وهو عليه بصير [٦]

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في قيام صمصام الدولة بالملك ﴾

كانت سعادة عضد الدولة قوية فى أحواله حتى فى موته فانه انكتم أمره مع عظم قدره للسياسة التى قدمها في الامور والهيبة التى أودعها بنات الصدور واختياره من الاصحاب كل من كان بحسن التدبير خبيرا وبخدمة الملوك جديراً [٧] فلما توفى أخفي خبره فأحضر الامير أبو كاليجار المرزبان الى دار

---

(١) لعله : وبدهائك (٢) لعله جعلك (٣) لعله واطأ (٤) في الاصل بالقهر لك (٥) فى الاصل ان فيك لمعتبرين (٦) وفيه قال سبط ابن الجوزى في كتابه مرآة الزمان . بين كلام هؤلاء وأولئك المتقدمين المتكلمين على تابوت الاسكندر كما بين الملكين في المساواة (٧) قال يحيي بن سعيد الانطاكى فى تاريخه : وفوض عضد الدولة تدبير الامور بعده الي أبى الريان حمد بن محمد منتسبا الى خلافة أبى منصور نصر ابن هرون النصراني لضرورات كانت بين المطهر وبينه فلما مضي المطهر لسبيله أفرد أبو منصور فاعتل عضدالدولة ودعى في علته ابنه الاكبر أبا الفوارس شرف الدولة وزين الملة من شيراز الي بغداد .وكان لعضد الدولة غلام خصي اسود يسمى شكر مستوليا على جميع أموره فلم يمكن أحد من أولاده الدخول عليه في علته مع تطاولها واستشعر شرف

المملكة كانه مستدعي من قبل عضد الدولة فلما حضر أخرج الامر اليه بولاية العهد والنيابة فى الملك واستخلاف أخيه أبي الحسين أحمد بن عضد الدولة بفارس على أعمالها . وكتبت عن عضد الدولة كتب بذلك الى كل صقع حسب العادة وضمنت ذكر القبض على أبى الريان حمد بن محمد وذم أفعاله واستدعاء (١١،١) أبي منصور نصر بن هرون الى الحضرة ليقوم مقامه في أعماله وأنفذ مع كل كتاب نسخة يمين بالبيعة لتؤخذ على الامراء والقواد وأتباعهم من الاصحاب والاجناد . وروسل الطائع لله فى ذلك وسئل كتب عهد له مقرون بالخلع والالقاب واللواء وامضاء ما قلده عضد الدولة من النيابة عنه فانعم بالاجابة ولقبه صمصام الدولة وشرّفه بالعهد واللواء والخلع السلطانية وجلس صمصام الدولة جلوساً عاماً حتى قرئ العهد بين يديه وهناه بما تجدد لديه . ونظر أبو عبد الله ابن سعدان فيما كان أبو الريان ينظر فيه من أمور الاعمال واستمرت الحال فى اخفاء وفاة عضد الدولة الى أن تمهد الامر لصمصام الدولة

وفى هذا الوقت أزيل ما كان قرر على الارحاء والطحون وأجرى الناس على رسومهم القديمة .

وفيه خلع على ابى الحسين أحمد وأبى طاهر فيروزشاه ابنى عضد الدولة المتوجه الى شيراز وأعمالها وخرج معهما أبو الفتح نصر أخو أبي العلاء عبيد الله بن الفضل برسم النيابة عن أخيه فى مراعاة أمرهما

الدولة ان أباه قد مات وان شكرا يكتم موته فهجم ودخل الى الموضع الذى عضد الدوله متضجعا فيه فرآه في حال الحياة وخرج ولم يعد يدخل اليه فاستوحش أبوه منه ونفاه الى كرمان ومات عضد الدولة وأجلس في الامارة المرزبان صمصام الدولة وشمس الملة

ذكر ما جرى عليه أمرهما [١١٩]

لما أفضى الامر الى صمصام الدولة قبض على الامير أبى الحسين في الدار ببغداد ووكل به . وكانت والدته ابنة ملك الديلم [١] وشوكة الديلم قوية فعزمت على قصد الدار متنكرة عند اجتماع الديلم فيها فاذا حصلت فيها استغاثت بهم وهجمت على صمصام الدولة وانتزعت ابنها منه . فعرف صمصام الدولة ذلك فخاف وراسلها رسالة جميلة ووعدها بالافراج عنه وتقليده أعمال فارس وفعل ذلك ووافقه على المبادرة ليصل الى شيراز قبل ورود شرف الدولة أبي الفوارس اليها وأزاح علته فى جميع ما يحتاج اليه . فسار الي الاهواز وعليها اذ ذاك أبو الفرج منصور بن خسره فلما وصل اليها طالبه بمال والتمس منه ثيابا وأشياء أخر فمنعه اياها ظاهرا وحملها اليه باطنا مراقبة لصمصام الدولة وانتسجت بينهما حالة جميلة واستقر أن يستوزره عند تمهد أموره فأشار عليه أبو الفرج بالتعجيل الى أرجان فان وصلها وقد سبق شرف الدولة الى شيراز أسرع الكرة الى الاهواز . فلما وصل الى أرجان ورد الخبر بحصول شرف الدولة بشيراز وكر راجعا ودخل الاهواز وعول على أبي الفرج في مراعاة [١٢٠] الامور وتدبير الاعمال وأظهر المباينة وارتسم بالملك وتلقب بتاج الدولة وأقام الخطبة لنفسه وعرف صمصام الدولة ذلك فجرد اليه أبا الحسن على بن دبعش الحاجب فى عسكر كثير . وندب الامير أبو الحسين أبا الاعز دبيس بن عفيف الاسدي للقائه فالتقيا [٢] بظاهر قرقوب ووقعت بينهما وقعة أجلت عن هزيمة ابن دبعش فأسر وحمل الى

(١) هو أبو الفوارس مانادر بن جستان بن المرزبان السلار بن احمد بن مسافر كذا في مرآة الزمان في ترجمة سنة ٣٧١ (٢) وفي الاصل بالتقياء

الاهواز وشهره بها . فاستولى الامير أبو الحسين على ما كان معداً بالاهواز وبقلعة رامهرمز من الاموال وفرقها فى الرجال وصرف همته الى جمع العساكر وأرغبهم فمالوا اليه وانثالوا عليه فاشتد أمره وسار [الى] البصرة فملكها ورتب أخاه أبا طاهر فيروز شاه بها ولقبه ضياء الدولة . وجري أمره على السداد ثلاث سنين الى ان انصرف الى اصبهان وقبض عليه شرف الدولة وحمله الى قلعة في بعض نواحى شيراز

وفي هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل من كرمان الي شيراز واستولى على الامر

﴿ شرح الحال فى ذلك [١٢١] ﴾

لما توفي عضد الدولة كتب بعض الخواص بالخبر الي كرمان فسار شرف الدولة عند وقوفه على ذلك الى فارس كاتما أمره

﴿ ذكر رأى سديد في كتمان أمر حتي تم ﴾

فلما وصل الى اصطخر قدم ابراهيم ديلمسفار أمامه وأمره بالاسراع الى شيراز واخفاء خبره والقبض على أبى منصور نصر بن هرون ففعل ابراهيم ذلك ودخل دار أبى منصور على غفلة من أهلها ووجده فى مجلس نظره فقبض عليه ووكل به وقال للديلم : هذا أبو الفوارس فاخرجوا لخدمته. فتلقاه العسكر ودخل البلد واستقر . ثم اظهر وفاة عضدالدولة وجلس للعزاء وأخذ البيعة على أوليائه وأطلق لهم ما جرت به العادة من العطاء

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد [١]

(١) البيت للمتنبي.

[و] أزال التوكيل عن كورتسكين بن جستان وقلده اصفهسلارية عسكره (١٢٢)
وأفرج عن الاشراف أبي الحسن محمد بن عمر (١) وأبي أحمد الموسوى
(٢) واخيه ابى عبد الله وعن القاضى ابى محمد [ابن] معروف (٣) وعن ابي
نصر خواشاذه بعد ان طال بهم الاعتقال وضعفت في خلاصهم الآمال وكما
تطرق النوائب من حيث لا يحتسب فقد يأتى الفرج من حيث لا يرتقب .
فأما أبو منصور ابن هرون فانه وكل امر مطالبته الي المعروف بالشابشتى
الحاجب فعسفه حتي انه انتهى به الى أن ملا طستاً بالجمر ووضعه على صدره
فمات

{ ذكر اتفاق عجيب }

كان ابو منصور ابن هرون يبغض هذا الشابشتى في ايام نظره ويبعده
من بين يديه ويقول : اني أكره هذا الرجل كرها لا أعرف سببه . حتى
كان هلاكه على يده وبان ان تلك الكراهية لعلة خافية

---

(١) وفيه قال الحافظ الذهبي في ترجمته سنة ٣٦٠ : محمد بن عمر بن يحيي بن الحسين بن احمد بن يحيي بن الحسين بن الشهيد زيد بن علي الزيدى العلوى أبو الحسن الكوفي نزيل بغداد كان رئيس الطالبيين مع كثرة المال والضياع واليسار . . وكان وافر الجاه والحدمة ناب عن بني بويه ولما دخل عضد الدولة بغداد قال له :امنع الناس من الدعاء والضجة وقت دخولي . ففعل فتعجب من طاعة العامة له . ثم فيما بعد قبض عليه وأخذ أمواله فبقى في السجن مدة حتي أطلقه شرف الدولة فأقام معه وأشار عليه بطلب المال فتم له ذلك ودخل معه بغداد وعظم شأنه . فقيل انه أخذت منه لما صودر الف الف دينار عينا (٢) وفى تاريخ الاسلام أنه الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم ابن موسى الكاظم الشريف الطاهر ذو المناقب ويلقب أيضاً بالاوحد والد الرضى والمرتضي ولد سنة ٣٠٤ وقد ولاه بهاء الدولة قضاء القضاة فلم يمكنه القادر بالله وولى النقابة خمس مرات وتوفى سنه ٤٠٠ (٣) هو عبيد الله بن احمد المعتزلي قاضي القضاة ولى بعد عمر بن أكثم وتوفى سنة ٣٨٨

﴿ ذكر اغترار بسلامة عاجلة آلت بصاحبها الي هلاك ﴾

كان سبب سوء رأى شرف الدولة في نصر بن هرون اغترار نصر بيومه وترك النظر لغده وانه كان يضايقه في أيام عضد الدولة (١٢٣) فى آرابه ويستقصى عليه في أسبابه ثم لعداوة كانت بينه وبين أصحابه فهم لا يزالون يوغرون صدره عليه ويقبحون أثره لديه . ومن سوء التدبير التقصير بأهل بيت الملك فكم قد جرّ ذلك من وبال ! ولم يكن سبب هلاك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير على يد المتوكل على الله الا ما سبق من تقصيره في ايام أخيه الواثق بالله والخبر مشهور (١)

وفى هذه السنة اغتال أبو الفرج ابن عمران أبا محمد أخاه (٢) وانتصب في موضعه وكتب الي الحضرة يظهر الطاعة ويسئل التقليد والولاية

﴿ ذكر حسد حمل صاحبه على قطيعة رحم ﴾

كان أبو الفرج جاهلا متهورا فحسد أبا محمد على موضعه فأعمل الحيلة فى الفتك به . واتفق ان أختهما اعتلت فقال أبو الفرج لابى محمد : ان أختنا مشفية فلو عدتها . ففعل وركب اليها ورتب أبو الفرج في دارها قوما ووافقهم على مساعدته فلما دخل أبو محمد وقف أصحابه لانها دار حرم . وحمل أبو الفرج سيفه على عادته ومشى من ورائه فلما تمكن منه (١٢٤) جرد السيف وضربه وخرج القوم الذين رتبهم فساعدوه على الاجهاز عليه ووقعت الصيحة فصعد أبو الفرج اليهم مطلعا عليهم من سطح الدار وقال : قد فات

---

(١) ليراجع تاريخ الطبرى ٣ : ١٣٧٠ (٢) هو الحسن بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قد تقدم ذكره وفى الاصل بن عمر بن أبان والصواب فى الكامل لابن الاثير ٩ : ١٧

الامر ولكم عندي الاحسان . فسكتوا ثم وضع فيهم العطايا فاطاعوه وأمّروه .

وفي هذه السنة قتل أبو علي الحسن بن بشر الراعي بنصيبين وكان واليها وعاملها

﴿ ذكر سيرة عادت بخسران دنيا وآخرة ﴾

كان هذا ابن الراعي ظالماً شريرا وخبره في سمل عينه قد تقدم في كتاب تجارب الامم (١) ثم ولي نصيبين فأساء الى أهل البلد واستحل محارمهم فلما شاعت الاراجيف بعلة عضد الدولة وبعد ذلك بموته ثار العامة وقصدوا داره للفتك به فخرج في لباس امرأة وغمز عليه فأخذ وقتل ومثل به ثم أحرق . واستولى أحد الاكراد على البلد وورد الخبر بذلك فاخرج أبو سعد بهرام بن أردشير لتلافي الامر فلما وصل الى الموصل تقاعد به أبو المطرّف عاملها وانزاح المستولي عليها منها ولحق بباد . وكان أمر باد قد قوي بميافارقين فعجل بهرام الى قصده واستهان بامره وواقعه فأجلت الوقعة عن هزيمة بهرام (١٢٥) وأسر جماعة من الديلم الذين معه . وشمت أبو المطرّف به وكتب الي أبي القاسم سعد الحاجب يطعن على بهرام ويقول : انه قد جني على الدولة وأطمع باداً وانني قد عملت على مكاتبة باد واعلامه موقع الخطأ في المكاشفة . فأجابه سعد بجواب يقول فيه : أنا وارد « والسيف أصدق أنباء من الكتب » . فلما وصل الى أبي المطرف الجواب قال

سيوف لعمري يا لوي بن غالب حداد ولكن أين بالسيف ضارب

فبلغ ذلك سعداً فاحفظه وأسرّ في نفسه عليه

(١) ليراجع ما تقدم ٢ : ٣٧٧

﴿ ذكر خبر باد ومبدأ أمره ﴾

باد لقب وهو أبو عبد الله الحسين بن دوشنك من الاكراد الحميدية وكان يتصعلك كثيراً ويمضي الى الثغور ويغزو بها دائما وكان فظيع المنظر عظيم الهيكل . فلما حصل عضد الدولة بالموصل حضر على الباب بوساطة زيار بن شهراكويه (١) ثم هرب

﴿ ذكر فراسة دلت على دهاء (١٢٦) ﴾

يقال انه لما خرج من بين يدى عضد الدولة مضى على وجهه هاربا فسأله أصحابه عن سبب هربه فقال : شاهدت رجلا ظننت ان لا يبقى علىّ بعد حصولى فى يده . وطلبه عضد الدولة فى أثر خروجه آمرا بالقبض عليه وقال : هذا رجل ذو باس وبطش وشرّ وغدر ولايجوز الابقاء عليه . فأخبر بهربه وحصل بثغور ديار بكر وأقام بها الى ان استفحل أمره . ثم خرج اليه أبو القاسم سعد الحاجب فكان من أمره معه ما سيأتى ذكره فى موضعه

﴿ ودخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ﴾

وفيها ركب صمصام الدولة الى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمة السوداء وسوّر وطوّق وتوّج وعُقد له لواآن وحمل على فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه مثله وقرئ عهده بتقليده الامور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك وعاد الى داره . وجددت له البيعة وأطلق رسومها وأقيمت الدعوة وغيّرت السكة

---

(١) هو أبو الحرب ذكره ابراهيم الصابى فى رسالة كتبها عن صمصام الدولة فى سنة ٣٧٥ الى ابى القاسم سعد الحاجب وهو مقيم بنصيبين على محاربة باد الكردى يأمره فيه ان ينفذ الى الحضرة الوثيقة المكتتبة على باد

وفيها خلع على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة وكان رجلا باذلا لعطائه مانعا للقائه فلا يراه أكثر من يقصده الا ما بين نزوله من درجة داره الى زبزبه ومع ذلك فلا يخيب طالب احسان (١٢٧) منه في أكثر مطالبه لكن يسير البشر أملك للقلوب من كثير البر. فبسط يده فى الاطلاقات والصلات وتقرير المعايش والتسويفات وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الاولياء والكتّاب والحواشي من أموالهم وارزاقهم والتوقيع في آخر الصكاك الى العمال بمقاصة أربابها به وجمعه عليهم وأخذه منهم وصرفه فى مشاهرات غلمان الخيول ونفقاتهم. وانضاف الى ضيق خلقه ما اتفق فى وقت نظره من غلاء سعر فتطيرت العامة ورجموا زبزبه وشغبوا الديلم عليه لاجله وهجموا على نهب داره وانتهت الحال الى ركوب صمصام الدولة الى مجتمعهم حتى تلافاهم وردّهم.

وفيها ورد زيار بن شهراكويه وأبو القاسم سعد بن محمد الحاجب عائدين من جرجان فندب أبو القاسم الى الموصل لقصد باد وتلافى خطئه وجدد معه عسكرا اجتهد في عدته وعُدّته.

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر سعد بن محمد مع باد (١٢٨) ﴾

سار سعد فلما حصل بالموصل قبض على أبي المطرّف عاملها وفي نفسه عليه تمثله بالبيت الذي تقدم ذكره واعتقله بالموصل. ويمم سعد الى لقاء باد وهو واثق باقتناصه وربّ واثق خجل فتواقعا على خابور الحسينية فانهزم سعد واستولى باد على جميع الديلم فاسر بعضا وقتل بعضا ثم ضرب رقاب الاسرى صبرا وسار الى الموصل. وقد كان سعد سبقه اليها عند الهزيمة فثار العامة به وخرج ناجيا بنفسه حتى بلغ تكريت وكتب الى الحضرة بخبره فأجيب

بان يقيم في موضعه

﴿ ذكر حصول باد بالموصل وافراجه عن أبي المطرّف ﴾

لما حصل باد بالموصل أفرج عن أبي المطرف واستوزره . وقويت شوكته بما تم له من كسر عساكر السلطان دفعة بعد أخرى واستولى على الاعمال وجبي وجوه الاموال وخرج عن حكم البوادي والمتطرفين وصار في اعداد الخوارج المتجوفين وأرجف بانه محدّث نفسه باخذ سرير الملك وقامت له هيبة في النفوس وعظم ذلك على صمصام الدولة وابن (١٢٩) سعدان وزيره وقطعهما الهم به عن سائر الامور . ولم يبق في الحضرة من يندب لهذا الامر مع استفحاله الا زيار بن شهراكويه فووقف على المسير اليه وخلع عليه واستظهر له في العدد والعُدد وأخرج معه عسكرا في الغلمان الاتراك وسار الى الموصل وانضم اليهما أبو القاسم الحاجب من تكريت وواقعوا باداً في صفر سنة أربع وأجلت الوقعة عن انهزام باد وأسر كثير من أقاربه وأصحابه وورد الخبر بذلك فسكن ما عليه الناس من الاراجيف به . ثم وصل الاسارى الى بغداد فشهروا

﴿ ذكر ما جرى عليه أمرُهُ بعد الهزيمة ﴾

لما انهزم باد وخيّم زيار بظاهر الموصل خرج سعد الحاجب الى الجزيرة من الجانب الشرقي في عدد وافر وحصل باد في أطراف بلاده يجمع الرجال الى نفسه ليقصد ديار بكر . فرأى ابن سعدان ان كتب الى سعد الدولة ابن حمدان وبذل له تسليم ديار بكر اليه على ما كانت مع أبيه واستدعى منه تجريد أصحابه اليها قبل استيلاء باد عليها فانفذ ابن حمدان أصحابه الى ميافارقين فاقاموا مديدة ثم انصرفوا ولم يكن لهم (١٣٠) طاقة بمقاومة باد وملك باد

ميافارقين وسار الى تل فافان مرهبا وراسل في الصلح وتثاقل العسكر الذي مع سعد عن المسير معه الى لقائه فعمل على العدول الى الحيلة ودس رجلا لقتل باد غيلة (١)

﴿ ذكر حيلة جيدة لو وافقت قضاء ﴾

يقال ان الرجل الذى دسّه دخل على باد في خيمته ليلا ووصل الى موضع منامه وضربه بالسيف ضربة على رجله ظن انها على رأسه وصاح باد وهرب الرجل فلم يُلحق ومرض باد لتلك الضربة حتى أشفي واجتهد سعد في انتهاز الفرصة منه عند مرضه فلم يطاوعه من معه . وكان شُكر قد توجه مع الاتراك الى نصيبين على ان يكون مسيرهم ومسير سعد من الجانبين فاضطرب من كان معه من الاتراك عليه . وراسل باد زيارا وألقى عليه نفسه وردّ أمره اليه فمال زيار للصلح غير مظهر للميل مراقبة لابي القاسم سعد وأشار على باد بسلوك سبيل الاستصلاح معه أيضا . فلما أعيت سعدا الحيل وكثرت عليه الاسباب والعلل وعلم ان كثير الاجتهاد مع معاندة الايام ضائع وقليله مع مساعدتها نافعٌ صالح بادا على (١٣١) ان تكون له ديار بكر والنصف من طور عبدين من غربيها وعاد سعد الى الموصل وزيار بها وانحدر زيار الى الحضرة وأقام سعد بمكانه . وكان أمر هذه الوقعة والصلح في سنة أربع ولكن سياقة الحديث اقتضت ايراده هونا فى اخبار سنة ثلاث

وفي هذه السنة قتل المظفر بن على الحاجبُ أبا الفرج محمد بن عمران وأجلس أبا المعالى ابن أبى محمد الحسن بن عمران فى الامارة ثم استولي المظفر على الامر بعد .

---

(١) وفي الاصل : لغيلة

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك ﴾

قد تقدم ذكر ما كان من أبي الفرج في قتل أخيه أبي محمد فلما جلس في الامارة قدم القوم الذين ساعدوه وجفا مشايخ القواد فاحفظ الاكابر تقدم الاصاغر . وكان المظفر أحد قواد عمران الذين أبلوا معه في حروبه فاتفق هو والمعروف بابن الشعراني اصفهسلار الجند وقالا لشيوخ القواد : قد فعل هذا الرجل ما فعل من استحلال محرّم أخيه وصبرنا عليه مع وجوب حقه وحق أبيه ولم يقنعه سوء فعله حتى استأنف حط منازلنا وتقديم أراذلنا ولا نأمن ان يتعدى الامر من (١٣٢) بعد الى ازالة نعمتنا واطّراح حرمتنا. فاتفقت كلمة الجماعة على كراهيته ثم تكفل المظفر لابن الشعراني بامر قتله وتكفل ابن الشعراني بامر جنده وتواعدا على ذلك

﴿ ذكر تهوّر سلم صاحبهُ بالاتفاق ﴾

ثم ان أبا الفرج ركب من دار الامارة الى بناء استحدثه وعرف المظفر خبره فقصده الى الموضع ودخل عليه فلما رآه أبو الفرج قال له : فيم حضرت؟ قال : علمتُ ركوب الامير فاحببت خدمته . وحضر من أعطاه كتابا فلما أخذه وتشاغل بقراءته جرد المظفر سيفه وثار اليه فضربه . وبادر[1] من كان بين يديه من خواصه الى المظفر بسيوفهم وهو كالجمل الهائج يدافعهم عن نفسه وأكبّ على أبي الفرج ضربا حتى فرغ منه وقد أصابته جراحة في يده وضربات في ذباب سيفه . ونزل في ورجيته[2] الى المنصورة التي بها دار الامارة وأخرج أبا المعالي ابن أبي محمد ابن عمران وهو صغير السن فاقامه أميرا وأطلق المال وأرضى الجند . ومضى أبو الفرج بعد أخيه سريعا صرع

(١) وفي الاصل : وباد (٢) كانه مشتق من ورج كلمة فارسية معناها المرتبة

أخاه فاصبح بعده صريعا وباع دينه بدنياه نخسرهما جميعا وكذلك كل قاتل مقتول وكل خاذل (١٣٣) مخذول وكن كيف شئت فكما تدين تُدان .

﴿ ونعود الى ذكر ما جرت عليه الحال بعد ذلك ﴾

لما فعل المظفر ما فعله أظهر الصرامة وقيل له في التوثقة من العسكر بالايمان فقال : التوثقة سيفى من استقام غمدتهُ عنه ومن اعوجّ سللتهُ عليه . وكتب الى الحضرة بما فعله من أخذ ثار أبي محمد واعادة الامر الى ولده (١) وسأل فى تقليده وأنفذ من استحلف صمصام الدولة له ولنفسه فأجيب الى ذلك جميعه وأخذ المظفر أمره بالرهبة وقتل الشعرانى مع بضعة عشر نفسا من القواد الذين ساعدوه في يوم واحد . ومضت أيام والمظفر يتولى الامور وأبو المعالي صبي لا فضل فيه ولا تدبير ثم نازعت المظفر نفسه الى التردى برداء الامارة والتفرُّد بها لفظا ومعنى

﴿ ذكر منصوبة عملها المظفر في اظهار أمارته ﴾

أمر كاتبه أن يكتب كتابا عن السلطان اليه بالتعويل في تدبير الامور (١٣٤) عليه ثم أمره باحضار ركابي غريب وتسليم الكتاب اليه وموافقته على الدخول بالكتاب عند احتفال المجلس بالناس مغبّر الثياب والوجه كانه بشعت الطريق ففعل ذلك . فلما كان في غد ذلك اليوم واجتمع الناس دخل الركّابى على تلك الصورة وأوصل الكتاب اليه فلما أخذه المظفر قبّله ودفعه الى الكاتب فقرأه وأظهر الاستبشار وقال لابيْ المعالى فى الوقت : قمُ الى أمك . وتظاهر بالامارة ثم أحضر الجند وتوثّق منهم (وقد كان أبادَ من خاف جانبه ولم يبق الا من أمن بوائقهُ) ثم تلقب بالموفّق واستمال القلوب

---

(١) وفي الاصل : والده

وعدل عن الطريق الاول

﴿ ذكر ما اعتمده من حسن السيرة ﴾

لما استتب له الامر على ما أراد حمل الناس على محجة العدل وخفض لهم جناح اللين وكف يده عن القتل واستعمل الرأفة بعد تلك الفظاظة والرحمة بعد تلك القساوة . ورد على أرباب الضياع ما كان قبضه عمران وولده منهم وأجرى على أبي المعالي وأمه جراية واسعة وأقرهما فى دارهما مدة طويلة ثم أمرهما بالانصراف فانصرفا الى واسط وكانت جرايته (١٣٥) دارّة عليهما مع بعدهما عنه . ومضت مدة فعهد فى الامر الى أبى الحسن على بن نصر الملقب أخيرا بمهذب الدولة ولقبه اذ ذاك بالامير المختار والى أبي الحسن على بن جعفر من بعده وهما ابنا أختيه

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة مؤيد الدولة بجرجان وجلس صمصام الدولة للعزاء به وجاءه الطائع لله معزيا

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في وفاة مؤيد الدولة والى ان ﴾
﴿ استقرت الامارة لفخر الدولة من بعده ﴾

لما انصرفت عساكر خراسان الواردة مع فخر الدولة وقابوس الانصراف الذي تقدم ذكره استقر مؤيد الدولة بجرجان وجعلها داره وأقام أبو الحسن على بن كامة عنده . واتصلت الاخبار باشتداد علة عضد الدولة والعهد على صمصام الدوله في الملك من بعده وأخذ البيعة له على جنده وتفرقة الاموال بالحضرة على الرجال فشغب الجيش بجرجان وأفردوا خيمهم الى ظاهر البلد والتمسوا الزيادة والاحسان (١٣٦) وتوسط زيار بن شهرا كويه والحسن بن ابراهيم الامر معهم حتى سكنوا وعادوا . فاستأذن بعد ذلك زيار

ومن كان معه في المسير الى بغداد فرفق مؤيد الدولة بهم ايثارا لمقامهم فلم يفعلوا نزاعا الى أوطانهم مع ما تجدد لهم من أمر صمصام الدولة على ما قد ذكر فقضى عند ذلك حقوقهم وأذن لهم في الانصراف فانصرفوا شاكرين

﴿ ذكر ما دبره مؤيد الدولة في الاستيلاء على الملك ﴾
﴿ وحالت المقادير دونه ﴾

لما علم مؤيد الدولة بوفاة عضد الدولة سمت نفسه للاستيلاء على الممالك والقيام مقامه فيها وكان قد أنفذ أبا على القاسم الي فارس متحملا لرسالة الى الامير أبى الفوارس ابن عضد الدولة فورد كتاب أبي على هذا عليه بوقوع الخطبة له في بلاد فارس وثبوت اسمه على الدينار والدرهم . وقدم أبو نصر خواشاذه ورسول من الامير أبى الفوارس اليه فلبث عنده أياما وعاد بالجواب ثم راسل أخاه فخر الدولة بالوعود الجميلة (١٣٧) وبذل له ولاية جرجان وتقويته بما يحتاج اليه من الاموال فلم يسكن فخر الدولة الى قوله وأقام بموضعه . وبينما الحال على ذلك اذ جاءه الامر الذي لا يغلب والنداء الذى لا يحجب فخضع لامر الآمر مطيعا ولبّي دعوة الداعى سريعا قضية الله سبحانه في الاولين والآخرين ومشيئته في الذاهبين والغابرين قال الله تعالى : لقد أحصاهم وعدّهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً

﴿ ذكر كلام سديد للصاحب ابن عبّاد ﴾

ولما عرضت لمؤيد الدولة علة الخوانيق واشتدت به قال له الصاحب : لو عهد أمير الامراء عهداً الى من يراه يسكن اليه الجند الى ان يتفضل الله تعالى بعافيته وقيامه الى تدبير مملكته لكان ذلك من الاستظهار الذي لاضرر فيه . فقال له : أنا فى شغل عن هذا وما للملك قدرمع انتهاء الانسان

الى مثل ما أنا فيه فافعلوا ما بدا لكم . ثم أشفي فقال له الصاحب : تُب يامولانا من كل ما دخلت فيه وتبرأ من هذه الاموال التى لست على ثقة من طيبها وحصولها من حلها واعتقد متى أقامك الله وعافاك صرفها في وجوهها وردّ كل ظُلامة تعرفها و تقدر على ردها . ففعل[١٣٨] ذلك وتلطف به وقضى نحبه ولعل الصاحب اقتدى في هذا القول بقصة ابن أبى دؤاد مع الواثق بالله رضى الله عنه الا ان تلك قول وفعل

﴿ خبر حسن فيه تنبيه على فعل خير [١] ﴾

يقال انه لما اشتدت علة الواثق التى توفى فيها وكان في حبسه جماعة من الكتاب والعمال وهم في ضنك شديد من المطالبة دخل ابن ابى دؤاد عليه وسأله عما يجد فشكا الواثق بالله شدة ما به اليه فقال : يا أمير المؤمنين ان في حبسك جماعة وراءهم عدد كثير من العيال وهم في ضر وبوس ولو أمرت بالافراج عنهم لرجوت لك الفرج من هذه الشدة . فقال له : أصبت . وأمر بذلك فأفرج عنهم فلما أصبح حضر ابن أبى دؤاد عنده على رسمه فقال له الواثق : انى وجدت البارحة بعض الخف . فقال ابن أبى دؤاد : وفق الله لامير المؤمنين فلقد رفعت البارحة ألوف من الايدى بالدعاء له كانت ترفع من قبل بالدعاء عليه هذا وقد عاد من أفرج عنهم الى دور شعثة وعيال جياع وأحوال مختلّة ولو قد أطلقت ضياعهم[١٣٩] المقبوضة وأعيدت اليهم أموالهم المأخوذة لكان الدعاء أكثر والاجر أعظم . فأمر الواثق عند ذلك بتسليم ضياعهم اليهم واعادة ما أخذ من أموالهم وخرج الامر بذلك على يد ابن أبى

---

(١) وردت هذه الحكاية رواية عن على بن هشام فى كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ٩٩ ـ ٩٨

دؤاد فقام بتمامه في يومه وأحيا الله أقواما على يده . ولم يكن قد بقي للواثق أجل فمضي لسبيله واستصحب أجر ذلك الفعل معه وفاز ابن أبي دؤاد بهذه المنقبة بقية الدهر . ونعود الي سياقة الحديث

﴿ ذكر ما دبره ابن عباد بعد وفاة مؤيد الدولة ﴾

كتب في الوقت الى فخر الدولة بالاسراع وأرسل أخاه وبعض ثقاته ليستوثق منه باليمين على الحفظ والوفاء بالعهد . وتجرد الصاحب لضبط الامر ووضع العطاء فى الجند ونصب أبا العباس خسرفيروز بن ركن الدولة في الامارة تسكينا للفتنة وازالة للخلف في عاجل الحال وكتب الناس مثني [١] وفرادى الى فخر الدولة بالطاعة وهو يومئذ بنواحي نيسابور على حالة مختلفة [٢] واضاقة شديدة

وقد أنفذ نصر بن الحسن بن فيروزان [٣] الى الصاحب ببخارا مع من نفذ من جهة قابوس من [١٤٠] وجوه قواده حين استدعاهما صاحب بخارا للخلف الواقع بينه وبين ابن عمه عبد الملك بعقب انهزام عساكره بباب جرجان فاعتذر اليه في تاخرهما عنه بنفوسهما وأنفذ اليه أصحابهما المذكورين فلما ورد الى فخر الدولة كتاب ابن عباد وتلاه كتب وجوه العساكر أولا فأولا سار على الفور وعرف قابوس الخبر فارسل اليه : أن بيننا ما أريد مفاوضتك فيه . فأجابه : بأني قد توجهت ولا قدرة لى على العود بعد التوجه ومهما أردت فاكتب به . وبادر يطوى المنازل نحو جرجان

(١) وفي الاصل : مثنى الامارة (٢) لعله : مختلة (٣) هو خال فخر الدولة وله قصة مع الصاحب ابن عباد : ارشاد الاريب ٢ : ٣٠٦

﴿ ذكر وصول فخر الدولة الى جرجان ﴾
﴿ واستقراره في دار الامارة ﴾

لما ورد الخبر بقرب وصول فخر الدولة الي جرجان قال الصاحب ابن عباد للجند : انما أخذت البيعة عليكم لابى العباس خسر فيروز على انه خليفة أخيه فخر الدولة فبادروا الى تلقيه وخدمته . فندبوا عند ذلك أبا الحسين محمد بن على بن القاسم العارض للاستيثاق بجماعتهم فسار اليه ولقيه بالتعزية باخيه والتهنئة بالملك والتوثق (١٤١) للاولياء فأكرمه فخر الدولة وتقبل منه ما أورده . وبادر الناس بعد أبي الحسين الى خدمته فوجاً فوجاً وهو يقربهم ويدنيهم ثم تلقاه الصاحب أبو القاسم ابن عباد مع الامير أبي العباس خسر فيروز وأكابر القواد فرحب به فخر الدولة وبالغ في اكرامه وتناهى فى اعظامه ونزل بظاهر المدينة فى الموضع الذى كان مؤيد الدولة معسكراً فيه عند قتال عسكر خراسان ثم دخل البلد من غده وأخذت البيعة له بالطاعة والمخالصة واستقرت الامارة عليه .

وكذلك الدهر يتقلب من حال الى حال وينتقل باهله بين أسفل وعال والبؤس والنعيم فيه الي زوال

﴿ ذكر كلام اختبر به مافي نفس فخر الدولة ﴾

لما انتظم الامر لفخر الدولة قال له الصاحب : قد بلغك الله يا مولاى وبلغنى فيك ما أملته لنفسك وأملته لك ومن حقوق خدمتي عليك اجابتى الى ما اوثره من ملازمة دارى واعتزال الجندية والتوفر على أمر المعاد . وقال له: لا تقل أيها الصاحب هذا فاني ما أريد الملك (١٤٢) الا لك ولا يجوز أن يستقيم أمرى الا بك واذا كرهت ملابسة الامور كرهت ذاك بكراهيتك

وانصرفت . فقبل الارض شكرا وقال : الامر أمرك . وتلا ذلك انه خلع
عليه خلع الوزارة وأكرمه منها بما لم يكرم وزير بمثله
ثم عمل فخر الدولة والصاحب جميعاً على أخذ علي بن كامة والاستيلاء على
ماله وأعماله وعلما أنهما لا يقدران عليه لجلالة قدره فعدلا الي أعمال الحيلة في أمره

﴿ ذكر حيلة تمت في قتل على بن كامة ﴾

اجتمع رأيهما على مواقفة شرابي كان له على سمه فتوصلا اليه وقررا أمور
ذلك واتفق ان علي بن كامة عمل دعوة واحتفل فيها واحتشد وسأل فخر
الدولة والصاحب الحضور عنده فواعداه بذلك وراسلا الشرابى بفعل ما تقرر
معه فى هذا اليوم وأعطياه سما موجبا . ودخل علي بن كامة خزانة الشراب
يتخير الاشربة ويذوقها فطرح الشرابي السم في بعض ما ذاقه فأحس فى
الحال باضطراب جسمه فدخل بيتا وطرح نفسه فيه وألقى عليه كساء وعلم
فخر الدولة (١٤٣) خبره فتأخر عن الحضور . وأطعم الناس وسقوا وتركه
أصحابه فى موضعه وعندهم انه نائم ولم يقدموا على انباهه فلما كان من غد رأوه
على حملته فدخلوا اليه فوجدوه ميتاً . فأنفذ فخر الدولة الي داره من توكل بها
والي خزانته من استظهر عليها والى قلاعه من أخذها والى أعماله من تولاها
وكان لعلي بن كامة أولاد فلم يتم لهم الامر مع فخر الدولة .
وليس العجب من فخر الدولة فى سم الرجل كالعجب من الصاحب الذى
سال بالامس في الخبر الذي تقدم هذا الخبر في الاذن له في ملازمة داره
والتوفر على أمر المعاد
ووصل أبو نصر شهر يسلار بن مؤيد الدولة الي حضرة فخر الدولة في هذا
الوقت فاكرمه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو نصر باصبهان مقيما نائبا عن أبيه مؤيد الدولة في ولده وحرمه فلما عرف خبر وفاته بادر بمن خفّ معه يريد جرجان فبلغه في بعض الطريق خبر استقرار فخر الدولة في الامارة فأقام بموضعه وكاتبه يستأذنه في الاتمام الى حضرته فاجابه بالجميل وصلة (١٤٤) الرحم وأمره بالاتمام والمسير فسار ووصل الي جرجان فاكرم غاية الاكرام

وقدم أبو علي القاسم بن علي بن القاسم عائدا من فارس مع المال المحمول وقد كان مؤيد الدولة أنفذه اليها حسب ما تقدم ذكره . وأنفذ فخر الدولة أبا القاسم القاضي العلوي رسولا الى الامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة وأقام بجرجان يجمع الاموال ويملأ بها القلاع الي أن ورد اليه تاشى هاربا من خراسان فانزله بجرجان وقرر عليه ارتفاعها وانصرف هو الى الري وأقام تاشى بها الي ان توفى وقيل مات مسموما

وفي هذه السنة شغب الاتراك ببغداد وبرزوا متوجهين الي شيراز بعد ان كانت طائفة منهم قد سارت قبلهم ولحقت بفارس . فركب زيار بن شهراكويه في أثر هؤلاء وردّ أكثرهم وأخذ أبا منصور ابن أبي الحسن الناظر وكان قد خرج هاربا وولده مع شرف الدولة لم يقبض عليه فرد بعد ان جرح لانه مانع عن نفسه واعتقل . وكان خال ولد أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف فلما عرف عبد العزيز هربه من الليل خاف أن يسعي أبو عبد الله ابن سعدان به الى صمصام الدولة ويوغر صدره عليه وينسب هربه اليه فرأى أن يسبق باظهار ابراء الساحة قبل أن (١٤٥) ينتهز عدوه الفرصة

﴿ ذكر رأي سديد وقع لعبد العزيز بن يوسف ﴾
﴿ أمن به ما خاف وقوعه ﴾

وذلك انه غلس في صبيحة تلك الليلة الى الدار وجلس في الدهليز وراعي قيام صمصام الدولة من منامه وانتظر حضور علي ابن أبي علي الحاجب وكان له صديقا فلما حضر الحاجب خرج اليه عبد العزيز بما في نفسه وسأله الاستئذان له على خلوة قبل كل أحد فدخل الحاجب وأعلم صمصام الدولة بحضوره فاذن له فلما حضر قبل الارض وبكا بكاء شديدا وقال: قد خدمت عضد الدولة وخدمتك ولم تعهد مني الا الصدق والمناصحة. وحلف بطلاق صاحبته أخت أبي منصور وبالايمان المغلظة ان كان عرف خبر أبي منصور فيما عمل عليه من الهرب أو شاوره فيه. فسكن منه صمصام الدولة وخاطبه بما طابت نفسه به وانصرف من بين يديه وقد زال اشفاقه وخوفه. وحضر من الغد ابن سعدان وأشار الي أبي القاسم عبد العزيز في هرب (١٤٦) أبي منصور في أثناء كلامه اشارة لم يتقبلها منه صمصام الدولة وقال: أبو القاسم بريء من هذا الامر ولا علقة له فيه. فامسك حينئذ ابن سعدان وزادت العداوة بينهما وجدّ أبو القاسم في افساد حال ابن سعدان حتى تم له القبض عليه والانتصاب في مكانه حتي ياتي شرح ذلك من بعد باذن الله تعالى

﴿ ودخلت سنة اربع وسبعين وثلثمائة ﴾

وفيها شرف فخر الدولة من حضرة الطائع لله بالخلع السلطانية والعهد واللواء وزيادة اللقب وسلم جميع ذلك الي أبي العلاء الحسن بن محمد بن سهلويه رسول فخر الدولة

﴿شرح ما جرى عليه الامر فى ذلك﴾

لما توفى مؤيد الدولة وانتصب فخر الدولة فى موضعه شرع أبو عبد الله ابن سعدان في اصلاح ما بين صمصام الدولة وبينه وكاتب الصاحب أبا القاسم ابن عباد فى ذلك وتردّد بينهما ما انتهى الى ورود أبي العلاء ابن سهلويه للسفارة فى التقرر وتنجز الخلع السلطانية لفخر الدولة (١٤٧) فاكرمه أبو عبد الله ابن سعدان اكراما بالغ فيه وأقام له من الانزال وحمل اليه من الاموال ما جاوز به حدّ مثله . واتصلت مدة مقامه من المكاتبات ما دل على اظهار المشاركة بين الجندين فى كل تدبير وتقرير وتجديد السنّة التى كانت بين الاخوة عماد الدولة وركنها ومعزّها من الاتفاق والالفة . وسدّى الصاحب فى ذلك قوله وألحم وأسرج فيه عزمه وألجم حتى انه كان لا يجرى أمر ولا بال بحضرة فخر الدولة الا كتب به مساهما ولا يعرف حالا يتعلق بمصلحة صمصام الدولة الا أشار بها مناصحا

﴿فمن جملة ما كتب الصاحب بشرحه الى الحضرة﴾

ذكر وصول أبي سعيد أحمد بن شبيب صاحب جيش خوارزم رسولا من أمير خراسان متحملا من الرسالة ألطف الاقوال، وورود كتب أبي [العباس] تاش (١) مشتملة من القرب والاخلاص على أجمل الاقوال وان الخطاب دارٌ مع الرسول الوارد فى الصلح على قواعد أولها طاعة الخلافة (فهى التى لا دين الا بها ولا دنيا الا معها) ثم ان لا يفرج لهم عن شيء من هذه (١٤٨) البلاد ولا يكون منهم في باب قابوس قول أو فعل في معونة واسعاد وان يُردّ الى بخارا ويستخدم فى أبعد الاطراف وان يقتصر على المال المبذول الذي يجري

---

(١) ليراجع التاريخ اليميني ١ : ١٣٤

مجرى المعونة من أمير المؤمنين لهم على ما سدّ [1] اليهم من الثغور. وانه قد أخرج مع الرسول العائد أبو سعد صالح بن عبد الله فاذا استتب التقرير واستحصف العقد أنفذت نسخته على شروطه الى بغداد حسب ما يقتضيه التمازج بين الحضرتين .

﴿ ومما نطقت به الكتب من المشورة والرأى ﴾

الحث على استمالة الامير أبى الحسين واستخلاص طاعته وان فخر الدولة قد راسله وخاطبه فى ذلك بما يجري مجرى التقدمة والتوطية ومتى أريد التكفل بالتمام فهو على غاية الطاعة . وقد أثبت على الدينار والدرهم اسم فخر الدولة وكتب من البصرة باقامة الدعوة كما أقامها بالاهواز وليس يتجاوز ماينهج له ولا يتعدّى مايحكم به والصواب طلب التوازر والتعاطف وترك التباين والتخالف . ولا يقال هذا الامن طريق ابتغاء المصالح لصمصام الدولة وجمعْ الاهواء (١٤٩) المتفرقة اليه ورد القلوب النافرة عليه .

ثم لما طال مقام ابنى سهلويه وتمادت به الايام ساء ظن فخر الدولة والصاحب ووردت كتب على ابن سعدان بالمعاتبة . وكان السبب في تأخر ذلك خطبُ باد واتساع الخرق فيه وشغل ابن سعدان به عن كل أمر ينجزه وارب يقتضيه فلما ورد الخبر بهزيمة باد واستقر الامر فى ذلك وأسفر الخطب عن المراد كما قد تقدم ذكره خلا درع ابن سعدان وخوطب الطائع لله على ما يجدده لفخر الدولة من الخلع السلطانية فاجاب . وجلس على العادة فى أمثالها وحضر أبو العلاء الرسول وأحضرت الخلع السبع والعمة السوداء والسيف والطوق والسواد واللواء والدابتان بمركبي الذهب وقرىء العهد

(١) لعله : أسند

بتولية الاعمال التي في يده وأضيف الى لقبه الاول فلك الامة وسُلّم جميعه الى أبي العلاء. وضُم اليه أبو عبد الله محمد بن موسى الخازن وخرجا الى جرجان وساما ذلك وعادا وأقام أبو العلاء برسم النيابة عن فخر الدولة بالحضرة الى آخر أيام صمصام الدولة.

وفي هذه السنة ورد كتاب أبي بكر محمد بن شاهويه مبشراً باقامة الدعوة لصمصام الدولة بعمان (١٥٠)

﴿ ذكر ماجرى عليه الامر بعُمان الى ان عادت الى شرف الدولة ﴾

كان المتولى بها في الوقت أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن (١) من قبل شرف الدولة فما زال ابن شاهويه يفتل له في الذروة والغارب حتى أماله الى الجملة وازاله عما كان عليه من الانحياز الى شرف الدولة وكان صغوه مع من ببغداد لسكون أبي على الحسن ولده بها فجمع الاولياء والرعية بعمان على طاعة صمصام الدولة وخطب له على منابر تلك الاعمال. ووصل الخبر الى بغداد فاظهرت المسرة وجلس صمصام الدولة للتهنئة وكتب كُتب البشائر الى أصحاب الاطراف على العادة وأنفذ الى أستاذ هرمز العهد بالتقليد مع الخلع والحملان. وأحضر ابنه أبو على الحسن وخلع عليه ونقله من رتبة النقابة الى رتبة الحجبة. ولما عرف شرف الدولة عصيان أستاذ هرمز أخرج اليه أبا نصر خواشاذه في عسكر استظهر فيه ووقعت بينهما وقعة أجلت عن ظفر أبي نصر وحصول أستاذ هرمز أسيرا تحت اعتقاله واستيلائه على رجاله وأمواله. وعند بلوغ أبي نصر ما أراده من ذلك (١٥١) رتّب بعمان

(١) وفي الاصل « الحسين » وهو غلط

من يراعيها ويشحنها بمن يحميها وعاد الى فارس ومعه أستاذ هرمز فشهر بها ثم قرّر عليه مالا ثقيلا وحمل الى بعض القلاع مطالبا بتصحيحه

وفى هذه السنة أفرج شرف الدولة أبو الفوارس عن أبى منصور محمد ابن الحسن بن صالحان وعن أبى القاسم العلاء بن الحسن وعن أبي الحسن الناظر أخيه واستوزر أبا منصور من بينهم وردّ الامور الى نظره

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر فى اعتقالهم والافراج عنهم ﴾
﴿ والتعويل على أبي منصور في الوزارة ﴾

ولما وصل شرف الدولة أبو الفوارس الى شيراز قبض على نصر بن هرون كما تقدم ذكره واستوزر أبا القاسم العلاء بن الحسن فقصر أبو القاسم فى أمور الحواشي والخواص وهم أفسدوا رأى شرف الدولة فيه وأغروه به وبأخيه أبى الحسن الناظر على سخيمة كانت فى نفس فخر [1] الدولة على أبى الحسن فقبض بعد مدة يسيرة عليهما وعلى أبي منصور محمد بن الحسن ابن صالحان معهما وأمر بحملهم الى بعض القلاع . ورد النظر الى أبى محمد (١٥٢) على بن العباس بن فسانجس والى [2] أبى الحسن محمد بن عمر العلوي فانه أشار به للمودة البغدادية التى جمعتهما وبقى أشهرا ثم قبض عليه . وأفرج فى هذا الوقت عن هؤلاء المعتقلين وعول على أبي منصور في الوزارة من بينهم فاتفق له بالعرض ما صار سببا لثباته فيها

﴿ ذكر اتفاق حميد صار سببا لثبات قدم ﴾

حكى أبو محمد [3] ابن عمر ان شرف الدولة أنفذ رسولا الى القرامطة فلما

---

(١) لعله يريد شرف الدولة (٢) وفى الاصل : ابن (٣) لعله : أبو الحسن محمد

عاد الرسول من وجهه سأله عن مجارى الاحوال فقال له فى جملة الاقوال : ان القرامطة سألونى عن الملك فوصفت لهم حسن سياسته وجميل سيرته فقالوا : من حسن سيرة الملك انه استوزر فى سنة واحدة ثلاثة لغير ما سبب. فحصل هذا القول فى نفس شرف الدولة ولم يغيّر على أبي منصور أمرا وبقى فى خدمته الى ان توفى

وأما أبو الحسن الناظر فانه أنفذ الى جرجان برسالة وتوفى بها .

وأما أبو القاسم العلاء فانه أقام فى داره الى ان خرج شرف الدولة الى الاهواز فخرج معه على ما (١٥٣) سيأتى ذكره فى موضعه

وفى هذه السنة قبض على أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ومن يليه وعلى أبي سعد بهرام وأبى بكر بن شاهويه وسائر أصحابهم ونظر أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف فى الامور ودبّرها مديدة

﴿ ودخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها شورك بين أبى القاسم وبين أبي الحسن أحمد بن محمد بن برمويه فى الوزارة وتنفيذ الامور وخلع عليهما جميعا

﴿ شرح الحال فيما جرى عليه أمر هذه الوزارة المشتركة ﴾

كانت الحال فيما بين أبى القاسم وبين أبى الحسن بن برمويه ثابتة على الاخاء جائزة على الصفاء وكانا يتجاوران فى منازلهما ويتزاوران فى مجالسهما فهما أبدا عاكفان اما على معاشرة وأمّا على مشاورة فلما توفى أبو الحسن على بن أحمد العمانى كاتب والدة صمصام الدولة سعى أبو عبد الله ابن سعدان لابى نصر والده فى كتابتها فعمل أبو القاسم عبد العزيز فى (١٥٤) عكس ذلك للعداوة التى بينهما

﴿ ذكر كلام سديد لعبد العزيز بن يوسف فى تحذير

(صمصام الدولة من الحجر عليه)

قال له : ان أبا عبد الله قد استولى على أمورك وملك عليك خزائنك وأموالك واذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه وهذا أبو الحسن ابن برمويه رجل قد خدم عضد الدولة وهو أسلم خبيئة وأطهر أمانة وألبق خدمة الحرم لانه كان خصيا خصاه [ابن] الياس (١) واشتراه عضد الدولة من البلوص عند حصوله فى أسرهم. فوقر هذا القول فى سمع صمصام الدولة وقبله وقلد أبا الحسن كتابة والدته. فلما نظر أبو القاسم بعد أبى عبد الله ابن سعدان استخلف أبا سعد الفيروزاباذى وأبا عبد الله ابن الحسين بن الهيثم فاستوحش أبو الحسن ابن برمويه بعدوله عنه بعد ان قدر ان الامور تكون مفوضة اليه للحال التى بينهما فواصله أياما على رسمه ثم انقطع عنه وصار يجتاز ببابه ولا يدخل اليه. وشرع مع والدة صمصام الدولة فى طلب الامر لنفسه فتغير أبو القاسم (١٥٥) عليه واعتقد كل واحد منهما عداوة صاحبه

﴿ ذكر رأى ضعيف أشارت به والدة

(صمصام الدولة عليه فعمل به)

خاطبته على أن يجمع بين أبى القاسم وبين أبى الحسن فى الوزارة فاجابها اليه وخوطب أبو القاسم فى ذلك فامتنع وجدت السيدة في الامر وتردد من الخطاب ما انتهى آخره الى الزامه الرضاء به فخلع عليهما وسوى في الرتبة والخطاب بينهما وجلسا جميعا فى دست واحد فى دست الوزارة المنصوب،

---

(١) هو اليسع بن محمد بن الياس وكان انهزم الى خراسان بعد استيلاء عضد الدولة على قلعة بردسير في سنة ٣٥٧ كما تقدم ذكره

وتقرر أن يكون اسم أبي القاسم متقدما فى عنوانات الـكتب عنهما . فلم يتم ذلك واستعلى ابو الحسن بقوة سره واستظهاره بعناية السيدة به وخوف الناس منه وصار الامر سخيفا بهذا الرأى الضعيف . والدولة اذا كفلها النساء فسدت أحوالها ووهنت أسبابها وبدأ اختلالها وولّى اقبالها والامر اذا ملكنه انتقضت قواه وانهدم بناه ولم تحمد عقباه والرأى اذا شاركن فيه قل سداده وضل رشاده وعند ذلك يكون الفساد الى الامور أسرع من السيل الى الحدور . لا جرم أن أبا القاسم احفظه ذلك وما عاملته السيدة(١٥٦) من نصرة أبى الحسن عليه و [لما] رأى ان أبا الحسن أشد بطشا فى عداوته من ابن شهرا كويه [1] شرع فى اخراج الملك من يدى صمصام الدولة واستغوى أسفار بن كردويه ووافقه على ذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر فى عصيان أسفار ﴾

كان قد تردد بين صمصام الدولة وبين زيار بن شهرا كويه أسرار اطلع عليها أبو القاسم بحكم امتزاجه بالخدمة وخرج بها الى أسفار وخاض فيها الغمرات وأشعر قلبه وحشةً أخرجته من أنس الطاعة . وتقرر بينهما فى ذلك ما أحكما عقده ودخل معهما فى هذا الرأى المظفر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وأبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى كاتب الطائع يومئذ وقد كان صمصام الدولة اعتل علة أشفى فيها فواقف أسفار أكابر العسكر وأصاغرهم على خلع صمصام الدولة واقامة الامير أبى نصر (وسنه فى الوقت خمس عشرة سنة) خليفة لاخيه شرف الدولة ووعدهم بمواعيد الاحسان واستظهر عليهم بمواثيق الايمان وابتدأ الفتنة بالتأخر عن الدار واستمال

(١) وفي الاصل : ابن شهران

التخبي وترددت [١٥٧] اليه من صمصام الدولة مراسلات التأنيس والتسكين فما زادته الا اغراء وتغميراً . فصار اليه أبو القاسم عبد العزيز وأبو الحسن ابن برمويه وأبو الحسن ابن عمارة العارض برسالة من صمصام الدولة هي ألطف مما تقدم فلما حصلوا عنده امتنع من لقائهم وقبض عليهم وجمع العسكر وأحضر الامير أبا نصر ونادي بشعار شرف الدولة وأفرج عن أبي القاسم لان القبض عليه كان بموافقة منه واجتمعوا على تدبير الامور وترتيبها وتولى المظفر بن الحسن بن حمدويه وأبو منصور الشيرازى أخذ البيعة على الجند . وبلغ صمصام الدولة الخبر وقد أبلّ من مرضه فتحير فى أمره وجمع غلمان داره وراسل الطائع لله فى الركوب فاستعفى وامتنع منه

﴿ ذكر رأى سديد واتفاق حميد اتفقا لصمصام الدولة ﴾

﴿ أسفر بهما الامر عن الظفر ﴾

لما رأى الخطب معطلا استنصر فولاذ بن ماناذر [١] مستصرخا وبذل له المواعيد الكثيرة على ذلك وكان فولاذ مع القوم فيما عقدوه لكنه أنف من بعد رتبة الانحطاط لاسفار عن رتبة المتابعة . وكان من [١٥٨] حميد الاتفاق اطلال المساء وحجاز الليل ولو سار أسفار فى الوقت الذى اظهر فيه ما اظهره الى صمصام الدولة لاخذه ولم يكن له دافع عنه لكنه ظن ان لن يفوته الامر وكان قدرا مقدورا . فاصبحوا وقد خالفهم فولاذ وانحاز الى صمصام الدولة فحضر لديه واكّد العهد والعقد عليه وتنجز منه توقيعا بجميع ما التمسه من جهته وتكفل له بالذب عن دولته والقيام بخدمته . وانضاف الى صمصام الدولة

---

(١) وفى الاصل : ماناذار . هو ملك الديلم وابنه فولاذ مذكور مع الصاحب ابن عباد بارشاد الاريب ٢ : ٣٠٥

فولاذ ورجاله والجيل وهم اقاربه واخواله وغلمان داره وعدتهم كثيرة وشوكتهم قوية ففتح خزانتي السلاح والمال وعجّل لهم واعطاهم ووعدهم من بعد ومنّاهم وسار بهم فولاذ مصعدا للقاء القوم .

﴿ ذكر تدبير جيد دبره فولاذ في أمر الحرب ﴾

نزل الى زبزب صمصام الدولة وجلس على كرسيه في دسته وعلى رأسه علامته ومن ورائه وامامه الزبازب والطيارات حتى ظن الناس ان صمصام الدوله قد خرج بنفسه . وسير العسكر بازائه على الظهر فلما انتهى الى الجزيرة بسوق يحيي وجد الجيل وعدتهم قليلة يقاتلون ديلم أسفار وقد (١٥٩) ثابتوهم وصابروهم . فصعد من الزبزب وعبى المصاف وسار قليلا قليلا حتى صدم عسكر أولئك (وعندهم ان تحت العلامة صمصام الدولة) فانكسروا . ورآهم اسفار من روشنه موليّن فايقن بالهزيمة فركب وولى هاربا وتبعه طائفة من أقاربه وشيعته وأبو القاسم عبد العزيز وأفلت أبو الحسن ابن عمارة العارضي جريحا وأخذ الامير أبو نصر وحمل الى صمصام الدولة . فرقّ له لما شاهده وعلم انه كان لا ذنب له فلم يؤاخذه وتقدم باعتقاله وترفيهه فكان في الخزانة محروسا مراعى . ونهبت دور الديلم والاتراك العاصين ودور أتباعهم وأشياعهم

وقتل في الليلة التي وقعت في صبيحتها الهزيمة أبو عبد الله ابن سعدان

﴿ ذكر مكيدة لعبد العزيز في أمر ابن سعدان ﴾

﴿ صارت سببا لقتله ﴾

لما قبض اسفار على أبي القاسم وأبي الحسن ابن برمويه وأبي الحسن ابن عمارة

انتهز أبو القاسم الفرصة وأرسل فى الحال الى صمصام الدولة يغريه بابن سعدان ويوهمه ان الذى جرى كان من فعله وتدبيره وانه لا يؤمن ما يتجدد منه في مجبسه فسبق فى هذا القول الى ظنه . وكان أحمد بن حفص (١٦٠)
الهجرى عدوا له فزاد بالاغراء به فامر حينئذ بقتله وقُتل معه أبو سعد بهرام على سبيل الجرف وقد كان خليفته وقت نظره وقُتل أبو منصور غيظا لابى القاسم . قال الله تعالى : واتقوا فتنة لا تُصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .

وكان أبو بكر ابن شاهويه معتقلا فسلم لحسن اتفاق

﴿ ذكر اتفاق عجيب سلم به ابن شاهويه من القتل ﴾

كان محبوسا في حجرة تتصل بالحجرة التى فيها هؤلاء لكن بابها خلف الاخري فاذا فتح ذلك غطّى هذا فلا يُوبَهُ له فانستر لهذه العلة وسكنت سورة الفتنة فافرج عنه من بعد . وأطلق أبو الريان حمد بن محمد من الاعتقال وعول عليه في الوزارة وعلى أبي الحسن على بن طاهر في كتابة السيدة وكتب الكتب بذكر البشارة الى فخر الدولة وسائر الاطراف وقبض على أخوي أبي القاسم وكتّابه وأصحابه . وكان المظفر أبو الحسن ابن حمدويه وأبو منصور الشيرازى هربا من دار اسفار يوم الهزيمة فظفر بهما وقرر أمرهما على مال صودرا عليه . (١٦١)

وخلع الطائع لله على صمصام الدولة وجدد له تشريفا واكراما وخلع على أبى نصر فولاذ بن مانادر الخلع الجميلة وخوطب بالاصفهسلارية بعد ان استحلف على الوفاء والمناصحة .

ومضى اسفار بن كردويه وأبو القاسم ومن معهما الي الاهواز مغلولين.

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر اسفار وعبد العزيز بن يوسف ﴾
﴿ والاتراك الخارجين من بغداد ﴾

خرجوا من بغداد الى جسر النهروان وساروا الى الاهواز فلما حصلوا بها تلقاهم الامير أبو الحسين وأرغبهم فى المقام فاما الاتراك فانهم أظهروا الموافقة وأسرّوا غيرها ثم ركبوا فى بعض الايام غفلة وساروا. فتقدّم الامير أبو الحسين الى سابور بن كردويه بتتبعهم وردّهم فركب وراءهم ولحقهم بقنطرة اربق فلم يكن له بهم طاقة وجرت بينهم مناوشة ورموه فاصابوا بعض أصحابه ومضوا هم وعاد هو. وأما اسفار بن كردويه فانه أقام بالاهواز مكرما وكان أخوه سابور زعيم (١٦٢) الجيش فقدم عليه اسفار لكبر سنه وجلالة قدره وأقام على ذلك الى ان أقبل شرف الدولة من فارس فانفذه الامير أبو الحسين الى عسكر مكرم لضبطها في خمسمائة رجل من الديلم فلما حصل شرف الدولة بالاهواز صار اسفار اليه فامر بالقبض عليه وحمل الى بعض القلاع بفارس وكان بها الى ان توفى شرف الدولة وأفرج عنه عند الافراج عن صمصام الدولة وأقام بفارس مديدة ومضى الى الري. وأما أبو القاسم عبد العزيز فان أبا الفرج منصور بن خسره تكفل بامره وأعظم منزلته وعرف له حق تقدمه فجازى أبو القاسم احسانه بسوء النية فيه وحدّث نفسه بطلب مكانه وألقى ذلك الى بعض من عوّل عليه فيه فاحس أبو الفرج واستظهر لنفسه بالتوثيق من الامير أبي الحسين ومن والدته باليمين على اقراره في نظره وترك الاستبدال به. ولم يزل يتوصل حتى غيّر نية الامير أبي الحسين في أبي القاسم ونقصه في المنزلة التي كان أنزله اياها في ابتداء وروده واطرح الرجوع في شيء من الامور الى رأيه. وجزاء سيئة

سيئة مثلها والبادئ أظلم . وبقي على هذه الحال الي ان ورد شرف الدولة فقبض عليه مع اسفار وأنفذ الي القلعة وأفرج عنه بعد وفاته .

وفي هذه (١٦٣) السنة ورد اسحق وجعفر الهجريان فى جمع كثير وهما من القرامطة الستة الذين يلقبون بالسادة فملكا الكوفة وأقاما بها الخطبة لشرف الدولة . فوقع الانزعاج الشديد من ذلك بمدينة السلام لما كان قد تمكن فى قلوب الناس من هيبة هؤلاء القوم وقوة باسهم ومسالمة الملوك لهم لشدة مراسهم حتى ان عضد الدولة وعز الدولة قبله أقطعاهم اقطاعات بواسط وسقي الفرات فكانت مآربهم تقضى ومطالبهم تُمضى وأبو بكر ابن شاهويه صاحبهم يجري بالحضرة مجرى الوزراء في حاله والاصغاء من الملوك راجع الي أقواله وأكابر الناس يخشونَهُ محتملين لكبره منقادين لامره ولا سبب الا اعتزاؤه الي هؤلاء القوم

﴿ ذكر ماجرى عليه امر اسحق وجعفر القرمطيين ﴾

لما ورد الخبر باستيلائهما على الكوفة بداهما أبو الريان بالمكاتبة وسلك معهما طريق الملاطفة والمعاتبة ودعاهما الي الموادعة والمقاربة وبذل لهما ما يحاولانه . وعول على أبي بكر ابن شاهويه في (١٦٤) الوساطة معهما وكان قد أطلقه من الاعتقال وتلافى بالاحسان اليه والاجمال . فعدلا في الجواب الي التعليل والتدفيع وجعلا ما كان من القبض على ابن شاهويه حجة في اللوم والتقريع وزاد الخطب معهما فى بث أصحابهما في الاعمال ومد أيديهما الي استخراج الاموال حتي لم يبق للصبر موضع ولا فى القوس منزع .

وحصل المعروف بابى قيس الحسن بن المنذر وهو وجه من وجوه قوادهم بالجامعين في عدد كثير فجرد اليهم من بغداد أبو الفضل المظفر بن محمود

الحاجب في عدة من الديلم والاتراك والعرب وأخرج أبو القاسم ابن زعفران الي ابراهيم بن مرح العقيلى لتسييره في طائفة من قومه . وحصل أبو الفضل الحاجب بجسر بابل والقوم بازائه فعقدوا جسرا على الفرات فالى ان فرغ منه وصل ابراهيم وابن زعفران وحصلا مع القرامطة على أرض واحدة وتناوشوا وتطاردوا وفرغ الجسر وعبر سرعان الخيل من الاتراك وفرسان الديلم وحملوا مع ابراهيم بن مرح وأصحابه على القوم حملة واحدة انكشفت عن هزيمتهم وأسر أبو قيس زعيمهم مع جماعة من قوادهم وأسرع اليه ابراهيم بن مرح فضرب عنقه لثار له عنده وعاد الفل الى الكوفة . وجاء البشير الى بغداد فاظهرت البشارة بها (١٦٥)

﴿ ذكر ما كان من القرمطيين بعد قتل أبى قيس صاحبهما ﴾

لما عاد الفل اليهما هزتهما الحمية (وللقرامطة نفس أبية) فجهزا جيشاً جعلا عليه قائدا من خواصهما يعرف بابن الجحيش واستكثروا معه من العُدد والعِدة : ووصل الخبر بذلك الى بغداد فاخرج أبو مزاحم بجكم الحاجب فى طوائف من العسكر وعبر الى القوم وهم بغربي الجامعين وواقعهم وقعة أجلت عن قتل ابن الجحيش وأسر عدد من قوادهم وانتهاب معسكرهم وسوادهم ونجا من نجا منهم هاربا الي الكوفة فرحل القرمطيان فيمن تخلّف عندهما وولوا ادبارهم . ودخل أبو مزاحم الكوفة وقص آثارهم حتى بلغ القادسية فلم يدركهم وعاد الي الكوفة وزالت الفتنة وبطل ناموس القرامطة عند ذلك وذهبت الهيبة التى اشرأبّت النفوس منها . ولكل قوم سعادة تجري الي أجل معدود وتنتهى الي أمل محدود ثم تعود الي نقصان وزوال وتغير من حال الى حال الا سعادة الدين فانها الى نماء فاذا انفصلت من

دار الفناء (١٦٦) اتصلت بدار البقاء

وفى هذه السنة أفرج عن ورد الرومي ومن معه من الاسرى بسفارة زيار بن شهراكويه

﴿ شرح ما جري عليه أمر ورد فى الافراج عنه واصعاده الي بلد الروم ﴾

قد تقدم ذكر القبض عليه فى أيام عضد الدولة وبقى فى الاعتقال الى هذا الوقت فسفر زيار في اطلاقه وخاطب صمصام الدولة على اصطناعه (١) فاشترطت عليه وله شروط وتوثق منه فيها ووثق له على الوفاء بها . وأما ما اشترط عليه فهو ان يعترف لصمصام الدولة بالصنيعة ويكون حربا لمن حاربه سلما لمن سالمه من المخالفين فى الدين والموافقين عليه وان يفرج عن جماعة المسلمين بين من أحاطت ربقة الاسر بارقابهم أو طالت يد الحصر في أعناقهم ويعينهم على النهوض الى بلادهم وحراستهم على طبقاتهم في نفوسهم وأموالهم وحرمهم وأولادهم وان لا يجهز جيشاً الى ثغر ولا يغضي العين لاحد من أصحابه في مثل ذلك على غدر وان يسلم سبعة من حصون الروم برساتيقها ومزارعها آهلة عامرة (١٦٧) وان يفي بقية ما عاش بجميع ما قرر معه واشترط عليه . وأما ما شرط له فالتخلية عن سبيله وحمايته من الايدى الخاطفة حتي يخرج هو ومن فى صحبته موفورين من البلاد التى

---

(١) قال فيه يحيي بن سعيد الانطاكى : واتصل بالسقلاروس هزيمة البلغربسيل الملك فراسل صمصام الدولة يسأله اطلاق سبيله لينتهز الفرصة والتمس منه ان ينجده بالرجال والعدد وبذل له القيام بما كان شرطه لوالده عضد الدولة فجنح الى ذلك وأخذ على السقلاروس وعلى أخيه قسطنطين وعلى رومانوس بن السقلاروس العهود والمواثيق بالوفاء بذلك وأفرج عن سائر أصحابه وكانوا زهاء ثلاثمائة رجل وأطلق لهم دواب وصلاحا ما كان أخذه منهم

تضمنها مملكة صمصام الدولة وان يكون أمر الحصون اذا سلمها مجرى العادة المستمرة في حراسة أهلها واقرارهم على أملاكهم وحقوقهم واجرائهم فى المعاملات والجبايات [1] على رسومهم وطسوقهم . واستوثق من أخيه قسطنطين ومن ابنه ارمانوس بمثل ما استوثق منه وكتب بذلك كتب وسجلات استؤذن الخليفة الطائع لله فى امضائها فاذن فيها وأمر باحكام قواعدها ومبانيها . فلما استقرت القاعدة أفرج عنه وحمل اليه مال وثياب وجلس صمصام الدولة للقائه

﴿ ذكر ترتيب جلوس صمصام الدولة بحضور ورد ﴾

قال صاحب التاريخ : عهدى بصمصام الدولة وجلس حتى يلقاه ورد ويشاهده ويخدمه ويشكره وقال : كان الوقت شتاء والدار ومجالسها مملوءة بالفرش الجليلة وستور الديباج النسيجة معلقة على (١٦٨) أبوابها وغلمان الخيل بالبزّة الحسنة والاقبية الملونة ووقوف سماطين بين يدى سدّته وكانت قد نصبت فى السّدليّ الذهب الذى تفتح أبوابه الى البستان والى بعض الصحن والديلم من بعدهم على مثل ترتيبهم وزيهم الى دجلة . وعبر ورد وأخوه وابنه في زبزب أنفذ اليهم يمشون بين السماطين الى حضرة صمصام الدولة وبحضرته كوانين من ذهب موضوعة فيها قطع العود توقد فلما قرب منه ورد طاطا رأسه قليلا وقبل يده ووضع له كرسى ومخدّة فجلس عليهما . وسأله صمصام الدولة عن خبره فدعا له وشكره بالروصية والترجمان يفسّر عنه وله وقال قولا معناه : قد تفضلت أيها الملك مالا أستحقه وأودعت جميلا عند من لا يجهله وأرجو أن يعين الله على طاعتك وتأدية حقوق فعلك . وقام

(١) وفي الاصل : والجنايات

ومشى الحجاب والاصحاب بين يديه كنفعلهم عند مدخله وعبر في الزبزب الى داره .

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر ورد بعد اصعاده من بغداد ﴾ (١٦٩)

لما توجه تلقاء بلده استمال كثيرا من البوادي وأطمعهم في العطاء والاحسان (١) وأخذ في المسير حتى نزل على ملطية وبها كليب عاملا لملكى الروم عليها وكليب من أصحاب ورد (كما قد تقدم ذكره في المشروح الذى وجد بخط ابن شهرام) فاطاعه وحفظ عهده وسلم اليه ما كان معدا عنده فلمّ

---

(١) قال يحيي بن سعيد الانطاكى ان صمصام الدولة أحضر بنى المسيب ورؤساء بنى عقيل ليسيروا معه وبرز به الى ظاهر مدينة السلام فثقل على كثير من المسلمين اطلاقه وأكثروا الكلام في معناه وانتهى الكلام الى السقلاروس فتخوف ان يتعقب الامر في بابه فسأل العرب ان يهربوا به سرعة فساروا به وبسائر أصحابه الى حللهم واستدعوا أيضا قوما من بنى عير وسلكوا به في البرية الى ان وصلوا به الى الجزيرة وعبروا الفرات وحصل في ملطية في شوال سنة ٣٧٦ وكان كليب البطريق الذي سلم حصن برزويه حينئذ بملطية باسليقا عليها وناظرا فيها فقبض عليه السقلاروس وأخذ ما عنده من المال والكراع والكسوة وقوى به ودعا لنفسه بالملك . وتحيل أيضا نقفور الاورانوس الذى رسل به الملك الى عضد الدولة في باب السقلاروس واستدعى رجلا من البادية وأخذه وأوصله الى بلد الروم وعاد الى باسيل الملك . وتفاقم أمر السقلاروس واجتمع اليه من العرب العقيليين والنميريين الواردين معه عدد كثير من الارمن واستنجد أيضا باد الكردى صاحب ديار بكر وأنفذ اليه أخاه أبا على فى عسكر قوى واضطر باسيل الملك الى ان أعاد برديس الفوقاس الى الدومستيقية في ذي الحجة من السنة وسير اليه الجيوش ورسم اليه لقاء السقلاروس بعد ان أنفذ اليه من استحلفه بجميع الآثار المقدسة وأخذ عليه العهود والمواثيق بمناصحته وموالاته والمحافظة على طاعته . فكتب الفوقاس الى السقلاروس يلتمس منه ان ينفذ اليه أخاه قسطنطين وهو زوج أخت برديس الفوقاس فانفذه اليه ورسل به برديس الفوقاس الي أخيه السقلاروس ليقرر معه ان يتفقا جميعا على منازعة باسيل الملك وحربه ويحوزان ملكه ويقتسماه بينهما ويكون الفوقاس في مدينة

به شعثه وقوي به حزبه وعمل على المسير الى ورديس بن لاون مظهرا حربه فترددت بينهما رسائل انتهت الى تقرير قاعدة فى الصلح على ان يكون قسطنطينية وما والاها من جانبها لورديس بن لاون وما كان فى الجانب الآخر من البحر لورد واتفقا بعد توكيد الايمان بينهما على الاجتماع وسار كل واحد منهما للقاء صاحبه فاجتمعا على ميعاد فلما تمكن منه ابن لاون قبض عليه .

القسطنطينية والسقلاروس خارجا عنها فاجابه السقلاروس الى ما أراد وتحالفا وتعاهدا عليه ولما استقر بينهما ما عقداه على ان يجتمع العسكران أنكر ذلك رومانوس بن السقلاروس ولم يوافق أباه على رأيه وأعلمه انها مكيدة من الفوقاس عليه ولم يقبل منه أبوه فتخلى رومانوس ابنه عنه وقصد باسيل الملك وكشف له ما شرع القوم فيه وما تقرر بين أبيه وبين برديس الفوقاس . وسار الفوقاس الى جيحان واجتمع مع السقلاروس وتفاوضا فيه ما يحتاجان اليه وانفصلا على وعد ان يجتمعا أيضا وعاد السقلاروس أيضا اليه وعند اجتماعهما قبض الفوقاس على السقلاروس وحمله الى حصن كانت حرمته مقيمة فيه فاعتقله هناك وقال له : تكن مقيما على حالك في هذا الحصن حيث حرمتى فاذا أنا بلغت ما أقصد واستوليت على الملك أوفيت لك ما وافقتك ولم أغدر بك

وكاشف برديس الفوقاس بالعصيان ودعى له بالملك يوم عيد الصليب الموافق لثلاث عشر ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٧٧ وملك بلد الروم الى درولية والى شاطيء البحر وبلغت عساكره الى خريصوبولى واستفحل أمره . وجزع باسيل الملك منه لقوة جيوشه واستظهاره عليه ننفدت أمواله فدعته الضرورة الى ان أرسل الى ملك الروس وهم أعداؤه يلتمس منهم المعاضدة على ما هو بصدده فاجابه الى ذلك وعقد بينهما مصاهرة وتزوج ملك الروس أخت باسيل الملك بعد ان أشرط عليه ان يعتمد هو وسائر أهل بلاده وهي أمة عظيمة (وكان الروس يومئذ لاينتمون الى شريعة ولايعتقدون ديانة) وأنفذ اليه باسيل الملك فيما بعد مطارنة وأساقفة وعمدوا الملك وجميع من تحويه أعماله وسير اليه أخته وبنيت كنائس كثيرة فى بلد الروس . ولما استقر بينهما أمر التزويج وردت جيوش الروس أيضا وانضافت الى عساكر الروم التى لباسيل الملك فتوجهت باجمعهم للقاء

﴿ ذكر غدر ورديس بن لاون بورد وقبضه عليه ﴾
﴿ ثم مراجعته الحسنى بالافراج عنه ﴾

كان ورد قد وثق بما أكده من العهود التي اطمأن اليها واعتقد ورديس بالبديهة انه فرصة قد قدر عليها فغدر به وقبض عليه وحمله الى بعض (١٧٠) القلاع . فلما راجع رويته علم انه أقدم على خطة شنعاء تبقى عليه سمة الغدر وتجلب اليه وصمة في الذكر وأجرى الى فعله نكرا ينفر كل قلب عن معاهدته ويحمل كل قريب على مباعدته فاستدرك الامر بتعجيل الافراج عنه والاعتذار اليه وتجديد المواثيق معه فعادا الى ما كانا عليه من الالفة والاتفاق ودفعا أسباب الفرقة والشقاق . وانصرف ورديس فنزل بازاء

برديس الفوقاس براً وبحراً الى خريصبولى فاستظهروا على الفوقاس واستولى باسيل على ناحية البحر وملك سائر المراكب التي في بد الفوقاس . وكان باسيل الملك بعد نزول الفوقاس على ظاهر مدينة القسطنطينية واحتوائه على ناحية المشرق قد سير الطاروني الماجسطرس في البحر الى طرابزندة وجمع خلقا وتوجه الى شاطيء الفرات فانفذ برديس الفوقاس ولده نقفور المعوج الى داود ملك الخزر يستنجده على الطاروني فسير معه غلاما له في الف فارس وسار معه أيضا ابنا بقراط البطريقان صاحبا الخالديات (وهي مذكورة في تاريخ المقدسي ص ١٥٠) في الف فارس فلقوا الطاروني وهزموه فاتصل بهم في الحال استظهار عساكر باسيل الملك على الفوقاس في البحر في خريصوبولي فعاد غلام داود الخزري برجاله وكذلك ابنا بقراط الي مواضعهم واحتجوا عليه بانهم قد فعلوا ما أراده منهم من هزيمة الطاروني . وتفرق العسكر الذى مع نقفور بن الفوقاس فسار الى والدته وهي مقيمة بالحصن الذى فيه السقلاروس معتقلا

وخرج باسيل الملك وأخوه قسطنطين في عساكرهما وفي جيوش الروس ولقوا برديس الفوقاس في ابدو وهو بالقرب من عبر القسطنطينية وظفروا بالفوقاس وقتل يوم السبت ثالث المحرم سنة ٣٧٩ وحمل رأسه الي القسطنطينية وأشهر بها وكانت مدة عصيانه سنة واحدة وسبعة أشهر

قسطنطينية منازلا لباسيل وقسطنطين ملك [1] الروم وقد اجتمعت الكلمة عليه وانضوى العساكر وأهل البلاد اليه وبقى الملكان فى قل من الناس متحصنين بالمدينة وبحصينها

﴿ ذكر تدبير لملكي الروم عاد به أمرهما ﴾
﴿ الى الاستقامة بعد الاضطراب ﴾

لما انتهت الحال منهما الى الضعف راسلا ملك الروسية واستنجداه فاقترح عليهما الوصلة باختهما فاجاباه الى ذلك وامتنعت المرأة من تسليم نفسها الى من يخالفها فى دينها وتردد من الخطاب في ذلك ما انتهى الى [دخول] ملك الروسية فى النصرانية وتمت الوصلة معه وهديت المراة (١٧١) اليه فانجدهما من أصحابه بعدد عديد وهم أولو قوة وأولو بأس شديد . فلما حصلت النجدة بقسطنطينية عبروا البحر في السفن للقاء ورديس وهو يستقلهم فى النظر ويهزأ بهم كيف أقدموا على ركوب الغرر فما هو الا ان وصلوا الى الساحل وحصلوا مع القوم على أرض واحدة حتى نشبت الحرب بينهم واستظهر فيها الروسية وقتلوا ورديس وتفرقت جموع عساكره [2] وثاب

---

(١) الصواب : ملكي (٢) وقال فيه يحيي بن سعيد الانطاكى : ولما سمعت امرأة الفوقاس خبر قتله أطلقت السقلاروس من الاعتقال فاجتمع اليه سائر من كان مع الفوقاس من المخالفين على باسيل الملك وعادلبس الخف الاحمر وانضوى اليه نقفور المعوج بن برديس الفوقاس وراسل السقلاروس الى قسطنطين الملك أخي باسيل الملك فى ان يتوسط حاله مع أخيه باسيل في رجوعه الى طاعته ويصفح له عن سائر ما سلف منه والعفو عما بدأ منه من المصاوة وضمن له عنه الاحسان التام فاجابه الى ذلك ونزع الخف الاحمر عن رجله يوم الجمعة حادى عشر تشرين الاول سنة ١٣٠١ وهو مستهل رجب سنة ٣٧٩ فاحضره قسطنطين الملك الى أخيه باسيل ووطيء بساطه وقبل الارض بين يديه واستقرت الحال

أمر المملكين الى الاستقامة والاعتدال واشتد ملكهما بعد التضعضع والانحلال ورسلا وردا واستمالاه وأقراه على ولايته فاقام على جملته مديدة ثم توفى وقيل انه سُم . وتقدم بسيل في الملك وظهر منه حسن سياسة وأمضاء له رأي وقوة عزم وثبات قلب حتى انه صبر على قتال بلغر خمسا وثلاثين سنة يواقعهم ويواقعونه والحرب [لم تزل] بينهم حتى ظفر بهم وملك ديارهم وأجلى عنها الجم الغفير منهم وأسكنها الروم بدلا عنهم . وشاع ذكره في عدله ومحبته للمسلمين وطال أعده فى بلادهم وملكه بالكف عن بلادهم واحسان معاملته مع من يحصل في ممالكه منهم

وفي هذه السنة هم صمصام الدولة بان يجعل على الثياب الابريسميات والقطنيات (١٧٢) التى تنسج ببغداد ونواحيها ضريبة العشر في اثمانها

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو الفتح الرازي كثّر مايحصل من هذا الوجه وبذل تحصيل الف

على ان جعل باسيل الملك ابرديس السقلاروس قربلاط ورتب أخاه وجميع أصحابه وأقطعه بلد الامينافوين (الارميناقوين) ورعبان جزيا وخراجا مضافا الى نعمته القديمة وصفح عن نقفور بن برديس الفوقاس وأقطعه نعمة حسنة . . . . . . وفي مدة عصيان الفوقاس واشتغال الملك باسيل بحربه انتهز البلغر الفرصة وغزوا بلد الروم دفعات وأتوا الى بلد صالونيكي وتطرقوا أعمال الروم التى في المغرب فتأهب باسيل الملك لغزوهم وخرج الى ديوطمة في سنة ٣٨٠ وفيها بيت السقلاروس وجمع العساكر فيها واستدعى السقلاروس ليسير معه فى غزواته وكان هو وأخوه جميعا مريضين مدنفين وحمل السقلاروس الى حضرته في سرير وألقى نفسه على رجلى الملك ولما شاهد الملك حاله رسم له المقام في بيته ووصله بقنطار دنانير ليصدق به وتوجه الملك الى البلغرية . وبعد أيام يسيرة مات السقلاروس ومات أخوه قسطنطين بعده بخمسة ايام وكان بين قتل برديس الفوقاس وبين موت السقلاروس دون سنتين

الف درهم منه في كل سنة . فاجتمع الناس بجامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكان المدن تفتتن فاعفوا من احداث هذا الرسم

وفيها مات أبو العباس ابن سابور المستخرج تحت المطالبة بالتعذيب والمعاقبة . فقيل انه عرضت فتوى على أبي بكر الخوارزمي الفقيه مضمونها : ما يقول الشيخ في رجل مطالب معاقب قد ترددت عليه مكاره هونت عليه الموت هل له فسحة في قتل نفسه واراحتها مما تلاقيه . فكتب في الجواب : انه لا يجوز ولا يحل فعله والصبر على ما هو فيه أدعى الي تضاعف ثوابه وتمحيص ذنوبه . فلما انصرف حاملها قال بعض الحاضرين لزهير بن أبي بكر : هذه فتوى ابن سابور المستخرج . قال أبو بكر : رُدوا حاملها . فردوه فسأله عنها فاخبر انها لابن سابور فقال أبو بكر : قل له : ان قتلت نفسك أو أبقيت عليها (١٧٣) فعاقبتك الى الخسارة ومصيرك الى النار

وفيها اتصلت الاخبار بحركة شرف الدولة (١) من فارس طالبا للعراق فاخرج اليه أبو عبد الله محمد بن على بن خلف رسولا وسفيرا في تقرير الصلح . فورد كتابه من الاهواز يذكر فيه انه صادف شرف الدولة بها فبلغ ما تحمله من الرسالة فقوبل بالجميل الدالّ على حسن النية ووعد باحسان السراح وضم رسول اليه ليقرر أمر الصلح والصلاح .

وبعد ذلك قبض على أبي الريان حمد بن محمد وعلى أصحابه وأسبابه

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو الحسن على بن طاهر قد استولى على أمور والدة صمصام الدولة بحكم كتابتها وعظمت حاله ومنزلته عندها وعند صمصام الدولة لاجل

(١) وفى الاصل : سيف الدولة

خدمتها. وقد تقدم القول بان تملك النساء لامور الدولة عائد عليها بعظيم الخلل فلا يزال بين النقض والابرام حتى تزيغ القلوب وتزل الاقدام. وكان ابن طاهر هذا وأبو عبد الله ابن عمه قد استوحشا من أبي الريان فافسدا حاله عند صمصام الدولة واستعانا بالسيدة عليه وقرفاه بالميل الى شرف الدولة وان نفوذ [1] ابن خاف لاصلاح [١٧٤] أمره معه وما زالا يعملان الحيلة حتى تم القبض عليه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي الريان ﴾

حضر الدار على رسمه وجلس ينظر فيما جرت عادته بالنظر فيه. ومن غريب الاتفاق انه فقد خاتمه فى تلك الحال ولم يعلم كيف سقط من يده وطلب فلم يوجد ثم استدعى الى حضرة صمصام الدولة وعدل به الى الخزانة ووقع القبض عليه فكانت مدة وزارته هذه سبعة أشهر وأياما. واستولى أبو الحسن وأبو عبد الله ابن عمه على الامور وكان اليهما مصادر الاوامر فى الاصول ونصبا أبا الفتح ابن فارس وأبا عبد الله ابن الهيثم لمراعاة الفروع وكانا يحضران في حجرة لطيفة فى دار المملكة ويوقعان باخراج الاحوال واطلاق الصكاك واستيفاء الاموال وجرت الحال على ذلك الى ان زال صمصام الدولة. وورد فى أثر القبض على أبي الريان أبو نصر خواشاذه رسولا عن شرف الدولة ومعه أبو عبد الله ابن خلف فتلقاه صمصام الدولة فى خواصه وقواده وأكرمه [١٧٥]

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر فى وروده ﴾

قد كان أبو نصر هذا وأبو القاسم العلاء بن الحسن وأكثر الحواشي الذين

(١) وفى الاصل: نفود

مع شرف الدولة يحبون المقام بفارس لانها وطنهم وبها أهلهم ونعمهم وفى جبلّة البشر حب الاوطان واختيار الثواء بين الاهل والاخوان . وكان أبو الحسن محمد بن عمر يشير على شرف الدولة بقصد العراق وهم لا يتابعونه فى الرأى على هذا الاتفاق ويقولون : غرضه العود الى مستقر قدمه والرجوع الى بلده وأملاكه ونعمه وان عضد الدولة منذ أعرض عن فارس وأقبل على العراق لم يكن له بال رخىّ ولا عيش هنى . وكان شرف الدولة يوعيهم لهذا الامر سمعا ويحب المقام بشيراز طبعا لان فيها مولده وبها منشاه ولما قيل

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى وأول أرض مس جلدى ترابها

فلذلك كانت كلمة هذه الجماعة عنده قوية ومشورتها لديه مقبولة مرضية . فلما ورد عليه ما ورد من كتب صمصام الدولة ووالدته وأبى الريان ببذل الطاعة والخنوع بالتباعة والاذعان باقامة الدعوة (١٧٦) والتظاهر بشعار النيابة وجد هذا القول من قلبه قبولا وأنفذ أبو نصر خواشاذه لاتمام هذه القاعدة رسولا وأصحبته تذكرة تشتمل على التماس الخلع السلطانية واللقب واقامة الخطبة وانفاذ الامير أبى نصر مكرّما واستدعاء آلات وفرش وخدم وجوار عازما على القناعة بذلك فلما حصل بالاهواز وأتته الدنيا طوعا باقبالها وألقت البلاد مفاتيح أقفالها بدا له من ذلك الرأى فعزم على قصد العراق مصمما وسار نحو بغداد متمما . وسيأتي ذكر ذلك فى موضعه باذن الله تعالى

﴿ شرح الحال فى مسير شرف الدولة من فارس واستيلائه ﴾
﴿ على الاهواز وانصراف الامير أبى الحسين عنها ﴾

لما عزم شرف الدولة على المسير من فارس كتب الى الامير أبى

الحسين بالجميل والاحسان وبذل له اقراره على ما فى يديه من الاعمال والبلدان وأعلمه ان مقصده بغداد لاستخلاص الامير أبى نصر أخيه وانه لايحدث فى الاجتياز فى بلاده أمرا يضره أو يؤذيه. فلم يقع هذا القول من الامير أبي الحسين موقع التصديق وعرض له من سوء الظن (١٧٧) مايعرض للشقيق. واتفق ان والدته توفيت وهى بنت ملك ماناذر ملك الديلم ولها الحسب الصميم والخطر العظيم وكانت تكاتب شرف الدولة وتجامله وشرف الدولة يجلها لبيتها الجليل ويراقبها لاذعان طوائف الديلم لها بالتبجيل فلما مضت لسبيلها خلا سابور بن كردويه بالامير أبى الحسين فثناه عن هذه الطريقة

﴿ذكر رأى أشار به سابور على الامير﴾
(أبى الحسين فى هذه الحال)

قال له: ان هذه الكتب الواردة هى على وجه الخديعة والمكر واذا اغتررت لم تأمن ان تحصل معه فى حبائل الاسر فما سار من فارس الا لطلب الممالك جميعها والاحتواء على عاصيها ومطيعها ولا يبدأ الا بك وما لنا لانحاربه ونقاتله ولنا من العسكر والعدة ما نقاومه ونماثله؟ فاصغى الى قوله وعمل لامر المحاربة معدًّا وشمر عن ساق المباينة مُجداً. فبينما هو فى ذلك اذ ورد الخبر بنزول قراتكين الجهشيارى ارجان على مقدمة شرف الدولة ونزل شرف الدولة ارجان وسار قراتكين الى رامهرمز. (١٧٨) وتبرّز الامير أبو الحسين الى قنطرة اربق وأنفذ اسفار بن كردويه الى عسكر مكرم لضبطها وبدأ الديلم يتسللون الى شرف الدولة لواذاً وتقطعت الكلمة المجتمعة جذاذا وتحيَّز الغلمان الاتراك الى جانب من العسكر ونادوا بشعار شرف الدولة

فاشرف الامير أبو الحسين وسابور بن كردويه وأبو الفرج ابن خسره على ان يوخذوا ويسلموا ففرّج الامير أبو الحسين الى فورة الاختلاط على الجبل وسار من ورائه طالبا صوب المأمونية وراسل سابور بن كردويه بالالحاق به فالحقه بعد هنات جرت له حتى خاص اليه وثلثهما أبو الفرج ابن خسره وتبعهما غلام من غلمان داره فسار هو ومن معه طالبين حضرة فخر الدولة حتى وردوا أصفهان . فكتب منها الى فخر الدولة وهو يومئذ بجرجان يشكو اليه أمره ويرجو منه نصره وكتب فى جوابه وعدا لم يعقبه وفاء وأظهر له ودا لم يتبعه صفاء . ووقع له على الناظر باصفهان بما قدرهُ فى الشهر مائة الف درهم فاجتمع عنده بتطاول مقامه فل من الديلم الذين كانوا فى جملته . وتبين له سوء رأى فخر الدولة فالبس عليه أمره وضل طريق الصواب عنه

﴿ ذكر تدبير سيء (١٧٩) التى به نفسه الى الهلاك ﴾

لما يئس من صلاح حاله أظهر لمن كان باصفهان من الاولياء ما لا حقيقة له وأعلمهم ان بينه وبين شرف الدولة مراسلة استقر معها النداء بشعاره والانضواء الى انصاره واستمال قوما من الجند المقيمين بها وعمل على التغلب على البلد . وكان المتولى لتلك الاعمال أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى (١) وندّ الخبر اليه فعاجل الامر وقصد دار الامير أبي الحسين فى عدة قوية وأوقع به وانهزم من كان حوله من لفيفه وأسر هو وأبو الفرج ابن خسره واعتقلا فى دار الامارة . وأما أبو الفرج فانه قتل من يومه وأما الامير أبو الحسين فانه صفد وحمل الى الري واعتقل بها مدة يسيرة ثم نقل الى قلعة ببلاد

(١) وترجمته فى ارشاد الاريب ١ : ٦٥ وليراجع فيه أيضا ٢ : ٣١١ ـ ٣١٠

الديلم ولبث فيها عدة سنين فلما اشتدت بفخر الدولة العلة التى قضى فيها نحبه أنفذ اليه من قتله . ويروى له بيتان قالهما فى الحبس وكان يقول الشعر وهما

هب الدهر أرضانى وأعتب صرفه
وأعقب بالحسنى وفك من الاسر
فمن لى بأيام الشباب التى مضت
ومن لى بما قد فات فى الحبس من عمرى (١٨٠)

وسار شرف الدولة من ارجان ودخل الاهواز وقد تمهّدت الامور فاطلق من كان اعتقله الامير أبو الحسين من أصحابه وقبض على اسفار وعبد العزيز ابن يوسف وعلي أصفهان بن على بن كامة الوارد معه وأخرج العلاء بن الحسن الى البصرة للقبض على الامير أبى طاهر ابن عضد الدولة وعلى من كان في جملته من الخواص فقبض عليه وعاد العلاء بن الحسن بعد تقرير أمر البصرة وأعيد الى شيراز للمقام بها . واستدعي أبو منصور محمد بن الحسن ابن صالحان وعُول على أبي نصر سابور (١) بن اردشير فى مراعاة الامور الى ان يصل أبو منصور وأزمع شرف الدولة على المسير الى العراق .

وفى هذه السنة ورد الخبر بوفاة ابن مؤيد الدولة فجلس صمصام الدولة للعزاء وبرز الطائع لله لتعزيته

قال صاحب التاريخ : عهدى بالطائع لله وهو فى دسته منصوب علي ظهر حديدى وهو لابس السواد والعممة الرصافية السوداء وعلى رأسه شمسة وبين يديه الحجاب والمسودّة وحول الحديدي الانصار والقراء والاولياء في الزبازب . وقد قدم الى مشرعة دار المملكة من باب الميدان فنزل صمصام

(١) وفي الاصل : ابن سابور

الدولة اليه وقبل الارض بين يديه ورده [١٨١] بعد خطاب جرى بينهما فى العزاء والشكر .

﴿ ودخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها وقع الخوض مع أبى نصر خواشاذه فى انجاز ما وعد به واحكام قواعده ومبانيه فاجيب الى جميع ما تضمنته التذكرة الا انفاذ الامير أبى نصر فانه أرجى أمره الى ان يستبين أمر الصلح

﴿ ذكر ما تقرر الامر عليه مع أبى نصر ﴾
(خواشاذه فى ذلك)

قررت أقسام الصلح على أقسام ثلاثة قسم منها يعم الفريقين وقسمان يخص كل فريق قسم منها . فاما الامر الذى يعم فهو : تألف ذات البين حتى لايدرك طالب نبوة مقصدا فى تنفير وتصافى العقائد حتى لا يجد جالب وحشة مطمعا فى تكدير فان ظهر عدو مباين لاحدهما ناضلاه جميعا عن قوس الموافقة والمساعدة ودافعاه بمنكب المظاهرة والمعاضدة . وان يمنع كل واحد من تعرض بلاد الآخر ولا يطمع فيها جندا ولا [١٨٢] يقطع منها حداً ولا يجير منها هاربا ولا يأوى متحيزا أو موازيا

وأما ما يخص شرف الدولة : فهو ان يوفيه صمصام الدولة فى المخاطبة ما يقتضيه فضل السن والتقديم ويلتزم من طاعته ما يوجبه حق الاجلال والتعظيم ويقيم له الخطبة على منابر مدينة السلام وسائر البلدان التى فى يديه ويقدم بعد اقامة دعوة الخليفة دعوته عليه . وأما ما يخص صمصام الدولة : فهو ان يكف شرف الدولة عن سائر ممالكه وحدودها ويمنع أصحابه كافة عن طرقها ووردها وان يراعيه فى كل أمر يستمد فضله فيه مراعاة الاخ

الاكبر لاخيه وتاليه

وصدر كتاب ابو اخرمة بالاتفاق على تقوى الله تعالى وطاعة الخليفة الطائع لله وامتثال ما أمرهما به من الالفة على الشروط المذكورة . وجعل على نسختين ختم أحدهما بيمين حلف بها صمصام الدولة معقودة بان يحلف بمثلها شرف الدولة .

فلما تحرر ذلك جلس الطائع لله وحضر الاشراف والقضاة والشهود ووجوه أصحاب صمصام الدولة وأبو نصر خواشاذه وقرىء كتابه الى شرف الدولة وزين الملة بالتلقيب والتقليد وسلمت الخلع الكاملة واللواء . وندب أبو القاسم على بن الحسن الزينبي الهاشمي (١٨٣) وأحمد بن نصر العباسى الحاجب ودعى الحاجب للخروج من قبل الطائع لله بذلك وأبو على ابن عثمان من قبل صمصام الدولة برسالة جميلة مشتملة على خفض الجناح والاستمالة الى الصلاح والاذعان بالطاعة والولاء والترقيق بالرحم والاخاء وسارت الجماعة على هذه القاعدة المذكورة . ووجد فيما خلفه أبو الحسن ابن حاجب النعمان (١) نسخة أخرى بمثل الذي تقدم ذكره واتصلت بها يمين واشتمل آخرها على لفظ شرف الدولة بذلك وانه قد ألزم ذلك وأشهد الله عليه به وحلف باليمين المذكورة فيه . وعلى ظهرها بخط أبى الحسن ابن حاجب النعمان :

بسم الله الرحمن الرحيم : ثبت بحضرة سيدنا ومولانا الامام الطائع لله أمير المؤمنين أطال الله بقاه وأعز نصره وادام توفيقه وكبت عدوه ما تضمنه الاتفاق المكتوب في باطن هذا الكتاب وصح عنده التزام شرف الدولة

(١) وترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٣٥٩

وزين الملة أبي الفوارس أمد الله تأييده لصمصام الدولة وشمس الملة أبى كاليجار مولى أمير المؤمنين أعز الله نصره ما شرح فيه بعد ان ألزم له مثله. فحكم مولانا أمير المؤمنين أعز الله نصره عليهما به وجمعهما الى الائتلاف عليه فى طاعته وخدمته وقطع (١٨٤) به بينهما الفرقة والاختلاف. وأمر بهذا التوقيع تأكيدا لما تصافيا عليه والزاما لهما الوفاء به وأنعم بعلامة بخط يده الكريمة فى أعلاه والحكم الشريف النبوي فى منتهاه والله عون مولانا أمير المؤمنين على ما التزماه وتوخياه. وكتب على بن عبد العزيز بالحضرة الشريفة وعن الاذن السامى والحمد لله حمد الشاكرين. علامة الطائع لله «الملك لله وحده» نقش الخاتم فى الاسرنجه المسك والعنبر «الطائع لله»

وأمر هذه النسخة عجيب لان هذا الصلح لم يتم وما عاد به أبو نصر خواشاذه ونفذ فيه أبو على ابن محمان لم يلتئم وربما يكون ذلك فيما كتب بالاهواز وأنفذ الى بغداد ثم انتقض والله أعلم

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر الرسل الخارجين الى شرف الدولة ﴾

انحدرت الجماعة الى واسط ومدبرها قراتكين الجهشياري فاكرمهم الكرامات الوافية وأقام لهم الاقامات الكافية وسار أبو على على طريق الظهر. فورد كتاب شرف الدولة فى أثر ذلك الى قراتكين بالقبض عليه وحمله الى الاهواز فركب في جماعة من (١٨٥) الغلمان متبعا له فلحقه بباذبين وقد نزل بها فقبض عليه وعلى جميع ما صحبه مما كان حمل الى شرف الدولة ورده الى واسط واعتقله ثم أنفذه وما كان معه على طريق البصرة. وتوجه أبو نصر خواشاذه في الماء الى البصرة مع رسل الطائع لله وتمم منها الى حضرة شرف الدولة فوجده وقد تغير عما فارقه عليه من حاله وانقادت

له الامور انقيادا ألواء عما كان مائلا اليه . وخلا به أبو الحسن محمد بن عمر فثناه الى ما أراده فلم يكن لابي نصر موضع قول الا فيما علاّ بناء هذا الرأي وشيده . وقد كان العمال والمتصرفون مضوا الى شرف الدولة من كل بلد من أعمال العراق وتقدم أبو على التميمى من واسط وتلاه أبو عبد الله ابن الطيب من النهروانات وأبو محمد الحسن بن محمد بن مكرم من الكوفة وقصد الناس حضرته على طبقاتهم من كل فج عميق ووافاه الديلم والاتراك فوجا بعد فوج وفريقا أثر فريق . وكان نفوذ قراتكين الجهشيارى الى واسط على مقدمته بعد وصول أبي عبد الله ابن الطيب فضمه اليه ناظرا في البلد وأعماله ومقيما لنفقات قراتكين الجهشيارى ورجاله . فمد ابن الطيب جناحه على الاعمال ويده الى (١٨٦) الاموال فلما حصل [أبو] محمد ابن مكرم بالاهواز كثرت الاقوال على ابن الطيب فيما أخذه من النهروانات عند مفارقته لها و بواسط عند حصوله بها [ف]أخرج أبو محمد ابن مكرم للقبض عليه والنظر بواسط

﴿ ذكر ماجرى الامر عليه فى ترتيب القبض على

(ابن الطيب واخفاء الحال فيه الى ان تم)

أنفذ أبو محمد من الاهواز وفى الظاهر انه رتب فى اقامة المير لشرف الدولة وعساكره بين الاهواز وواسط وفي الباطن قرر معه النظر ابوسط والقبض على أبي عبد الله ابن الطيب واخوته فاصحب كتبا باطنة وظاهرة بذلك . فلما حصل بواسط واجتمع مع قراتكين وواقفه على ما ورد فيه قبض على الجماعة الحاضرين والغائبين فى يوم واحد بتدبير دبره وبقوم قدم انفاذهم الى كل من عاتبا على ميعاد قرره ومقدار وقته . ورأي ان يسلك مع أبي عبدالله

على طريق المياسرة والمقاربة فاحتسب له بجميع الظاهر (١٨٧) المأخوذ منه في جملة مال المطالبة واعتمد مع اخوته اظهار بعض التشديد والاستقصاء ثم سهل أمورهم عند التحقيق والاستيفاء وعلم ان أعمال السلطان عوارٍ فتساهل وقارن وجامل وقارب. فمن أحسن فانما يحسن لنفسه ومن أساء انما يسيء اليها والعارية في الحالين مردودة وأيام لبثها عند المعار معدودة ومهما سلكه الانسان من طريق فنجاحه فيه بهداية وتوفيق

﴿ذكر مسير شرف الدولة من الاهواز لما﴾
(استتبت له الامور بواسط)

سار اليها في عساكر كثيرة بالجموع الظاهرة التجمل وكانت زينته وأهبته في صاحته من كل نوع علي أحسن ما شوهد فقيل ان جماله كانت ثلاثة عشر الف رأس وجمال عسكره أكثر من هذا العدد وغلمان خيوله مع الخدم الف وثمانمائة ما بين غلام وخادم الى ما يتبع ذلك ويشا كله من كل ما يكون للملوك المخولين والسلاطين المولين. يقول صاحب التاريخ هذا القول ويستكثر هذا القدر ولو أدرك هذه الدولة القاهرة ورأى سلطانها وغلمانها وأركانها (١٨٨) وعدتها ورجالها وزينتها وأموالها لعلم ان الذي استكثره في قبيل الاقلال ولأقرّ ان البحر لا يقاس بالاوشال.

فلما استقر شرف الدولة بواسط سار قراتكين الى دير العاقول ولما أجلت الاحوال بمدينة السلام حدر بالامير أبي نصر ابن عضد الدولة الى حضرة شرف الدولة مع غلام من الخواص. وزادت أمور صمصام الدولة اختلالا وتناقصت حالا فحالا وشغب الديلم حتى أحاطوا بداره مطالبين بالمال ورفعوا سجف المراقبة ونادى سلار سرخ بشعار شرف الدولة وثار

العامة في عرض هذه الفتنة وكبسوا حبس الشرطة فاطلقوا من فيه وأذنت دولته بزوال وعقدته بانحلال ولم يزل الاولياء والحواشى والنظار والعمال يصيرون الى حضرة شرف الدولة بالاهواز وواسط من غير احتشام ويقدمون من غير احجام فلما رأى صمصام الدولة ووالدته وأبو حرب زيار وفولاذ بن ماناذر ما قد انتهى الامر اليه أجالوا الرأى بينهم

﴿ ذكر رأى سديد رآه زيار في تلك الحال وأشار به ﴾
﴿ على صمصام الدولة فلم يعمل به [١٨٩] ﴾

أشار بالاصعاد الى عكبرا ليعرف بذلك من هو معهم ممن هو عليهم ويتميز الآنس بهم من النافر عنهم وقال: ان الجيل كلهم في طاعتنا مخلصون وفى سلكنا منخرطون ولابد من ان ينضاف اليهم قوم آخرون فان رأينا عدتنا كثيرة وشوكتنا قوية بحيث تكافي في المقارعة أخرجنا ما فى أيدينا من المال وأطلقناه للرجال وان ضعفنا عن القراع وعجزنا عن الدفاع تممنا الى الموصل وينضم أبو القاسم سعد الحاجب ومن العساكر الينا ويكثر جمعنا ويقوى أمرنا. فان الديلم والاتراك سيكثرون عند شرف الدولة ثم لا يزال بهم التنافس والتحاسد حتى يحدث بينهم التباين والتباعد وبازائهم منك ملك تعلق به آمالهم وتطمح نحوه أبصارهم وهي الايام والغير والقضاء والقدر والامر يحدث بعده الامر

﴿ ذكر رأى آخر سديد أشار به فولاذ فلم يقبل منه ﴾

قال فولاذ: الصواب المسير الى قرميسين والحصول فى أعمال بدر بن حسنويه ومكاتبة فخر الدولة (وكان قد صالح صمصام الدولة [١٩٠] بحسب ما نسجه ابن عباد بينهما) واستمداد عسكر والمسير على طريق أصفهان الى

فارس والتغلب عليها. وفيها أخر : اين شرف الدولة وذخائره فليس بازائه في تلك الاعمال أحد يقاومنا ويدافعنا واذا حصلنا بها لم يستقر لشرف الدولة قدم بالعراق ولم يستمر له أمر على الاتساق ويضطرب أمره وتنحل قواه وينزل في الصلح على حكم اختياره ورضاه.

فمال صمصام الدولة الى رأى زيار فى الاصعاد ووقع الشروع في ترتيب أسبابه ثم بدا له من ذلك

﴿ ذكر رأى خطأ استبد به صمصام الدولة في ﴾
(اسلام نفسه الي شرف الدولة)

لما رأي الخرق قد اتسع والامر قد التبس ضاق صدره وقل صبره. وكل ملك لم يكن صدره فى النائبات رحيبا وصبره فى الحادثات عتيدا ونفسه فى المعضلات مديدا أوشك ان يضمحل شأنه ويولي زمانه. فعمل على اطّراح ذلك كله والانحدار الى شرف الدولة ونزل الى زبزبه مستبدآ برأيه غير ناظر فى بصائره وواردا على أمر غير (١٩١) عالم بمصادره. فلما حصل تحت روشن زيار قدّم الى فنائه وتقدم باستدعائه فنزل اليه وعنده انه يصعد الى داره فلما لم يبصر لصعوده أثرا قال : الى أين أيها الملك ؟ قال : الى أخي. قال : أوَ قد تغير رأيك عما كنا عليه. قال : نعم : قال : لا تفعل فان الملك عقيم والخطب عظيم والملوك لا تصل أرحامها ولا ترعى للقربى ذمامها وفى اسلام النفوس أخطار وحسن الظن في مثل هذه المواطن اغترار فراجع فكرك وتبصر أمرك. فقال له : ما أرى لنفسى رأيا صوابا الا ما عملت عليه. قال له : خار الله لك. ثم قال له صمصام الدولة : فعلى ماذا عملت أنت ؟ قال : اذا كنت قد رأيت ذلك رأيا وأنت أنت لم أرغب بنفسى عن نفسك ولم يكن

خوفى أعظم من خوفك . فقال له : أما أنت فلا أرى لك ان تضع يدك فى يد شرف الدولة . وودعه وانحدر . فلما قرب من معسكر شرف الدولة وقد خيّم بنهر سابس أنفذ من يؤذن بوصوله فوافى أبو نصر خواشاذه فى زبزب وقرب من زبزبه وخدمه ثم قال له : الملك يتعرّف خبر الامير والحمد لله على ما وفّقه من هذا العزم الذى يبلغ فيه مراده . ثم صار الى المشرعة وهناك دابة قد قدّمت لاجله (١٩٢) فركبها و نزل عند خيمة شرف الدولة وهو واقف ينتظره وبين يديه حواشيه وخواصه وقد ارتجّ المعسكر بالخبر . فلما وصل اليه قبل الارض ثلاث مرات بين يديه وقرب منه فقبل يده فسأله شرف الدولة عن حاله فى طريقه فاستصوب رأيه فى وروده فاجابه صمصام الدولة جوابا شكره فيه وأراه قوة نفسه به . فوقف قليلا ثم قال له شرف الدولة : تمضى وتغير ثيابك وتودع من تعبك . فخرج من حضرته وحمل الى خيمة وخركاه قد ضُربتا له بغير سرادق وفى صدر الخركاه ثلاث مخاد فدخل وجلس على المخدتين وأطرق اطراق الواجم وأبصر أمر غلطه فبان عليه أسف النادم : وأخرج أبو الحسن نحرير وأبو بكر البازيار الى بغداد للاحتياط على ما في دار المملكة والخزائن والاصطبلات

{ ذكر ماجرى عليه أمر زيار وفولاذ }

لما انحدر صمصام الدولة ولم يبق لهما ملجأ أعيتهما الحيل وضاقت بهما السبل فخذّلنا نفوسهما بالانحدار ووقع فى قلوبهما حسن (١٩٣) الظن لتبين مواقع الاقدار فغابت عنهما الاراء وظلت عليهما تلك الانحاء . وقام الرشيد فانحدر بعد صمصام الدولة على الاثر وحملا أمرهما على الغرر فاما زيار فانه قُبض عليه بعيد وصوله وقتل وأما فولاذ فاعتُقِل ثم حمل الى قلعة نهر . وسار

أبو على التميمي من دير العاقول الى مدينة السلام بعد انحدار صمصام الدولة فدخلها وسكن البلد وورد شرف الدولة ونزل الشفيعي في شهر رمضان واجتمع في عسكره من الديلم الواردين والمقيمين تسعة عشر الف رجل ومن الاتراك ثلاثة آلاف غلام فاستطال الديلم على الاتراك فوقعت بينهم مناوشة

﴿ ذكر الفتنة التي جرت بين الديلم والاتراك ﴾

كان الديلم قد أعجبهم كثرتهم وغرّتهم توّتهم فجرت منازعة بين نفر من الطائفتين في دار واصطبل جرّت خطبا عظيما

فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب أولها كلام (١)

فاجتمع الديلم بالحلبة وركب الغلمان وجرت بينهم حرب كانت (١٩٤) اليد فيها للديلم وقيل انهم ذكروا صمصام الدولة وهموا بانتزاعه

﴿ ذكر اتفاق سلم به صمصام الدولة من ﴾
(القتل بعد اشرافه عليه)

قال أبو منصور أحمد بن الليث: حدثني صمصام الدولة قال: كنت فى خركاه بالشفيعى وليس بيني وبين شرف الدولة الا لِبدُها وثوب خيمة تجاورها وقد ثارت الفتنة وذكرت في الديلم فسمعت نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتلي ويقول: نحن على شرف أمر عظيم فما يؤمننا ان يهجم الديلم علينا وينتزعونه من أيدينا فيصير الى الملك ونصير الى الاسر. وشرف الدولة يمتنع عليه وعلى من كان يَشدّ رأيه فلما زاد الامر أقيمَ على باب الخركاه التي كنت فيها غلام بسيف وأظنه وُصّي بقتلي اذ هجم الديلم فارتعت وأقبلت على القراءة فى مصحف كان فى يدي واستخلصت فى الدعاء الى الله تعالى

(١) الاغاني ٦ : ١٢٨

بالخلاص فقضى الله بالسلامة وتفرق جمع الديلم

﴿ ذكر تفريط جرى من [١٩٥] الديلم فى هذه الحرب ﴾

(حتى آل أمرهم الى التشرد والهلاك)

كان الاستظهار للديلم على الاتراك فى أول الامر لانهم أفلتوا من أيديهم موالين فحملهم الخرق والطمع فيهم حين قلّوا فى أعينهم على تتبع آثارهم وتشوّشت مصافهم والديلم اذا اضطربت تعبيتهم بانت عورتهم فوجد الاتراك مجالا من ورائهم وأمامهم فحملوا عليهم من وجوههم وظهورهم وكانت الدائرة على الديلم ولم يمض الاساعة حتى قتل منهم زُهاء ثلاثة آلاف رجل وكرّ الغلمان الى البلد فنهبوا دُورهم واحتووا على أموالهم وقتلوا كل من أدركوه منهم وتشرد الديلم فبعض أصعد الى عكبرا وبعض مضى الى جسر النهروان ولاذ الاكثر منهم بخيم شرف الدولة .

وبان سداد الرأى الذي كان رآه زيار لصمصام الدولة في الاصعاد الى عكبرا فلو انه قبل منه لكان مع هذه الفتنة قد ثاب أمره الي الصلاح لكن القدر غالب والتسليم للقضاء واجب

ودخل شرف الدولة [١٩٦] فى ثانى هذا اليوم والديلم اللائذون به قد أحدقوا بركابه ونزل فى المضارب تحت الدار الملكية . وركب الطائع لله في غد في الحديدى مهنئا له بالسلامة وتلقاه شرف الدولة الي آخر دار الفيل فقبل الارض بين يديه وعاد الطائع لله الى الدار . ووقع الشروع فى اصلاح مابين الديلم والاتراك فيسّر الله اتمامه وأخذت العهود على الطائفتين فتصالحوا وتواهبوا وتهذبت الامور وجرت على الارادة وكان ذلك من أقوى دلائل الاقبال والسعادة

﴿ ذكر جلوس شرف الدولة للتهنئة وما جرى ﴾
﴿ أمر صمصام الدولة عليه فى الاعتقال ﴾

لما حضر عيد الفطر جلس شرف الدولة جلوسا عاماً ودخل الناس على طبقاتهم وجاء صمصام الدولة فقبل الارض بين يديه ووقف من جانب السرير الايمن وجاء بعده الامير أبو نصر ابن عضد الدولة وفعل مثل ذلك ووقف . وحضر الشعراء فانشدوا وعرّض بعضهم (١٩٧) بذكر صمصام الدولة بما فيه غميزة عليه فانكر شرف الدولة ذلك ونهض من المجلس . ولم يُعرف لصمصام الدولة خبر بعد ذلك الموقف حتى قيل انه حمل الى فارس فاعتقل فى القلعة وسيأتى ذكر ما جري عليه الامر فى كحله ثم عود الملك اليه بفارس في موضعه بأذن الله

ولما حصل شرف الدولة بمدينة السلام سأل عن أبى الريان وطلب فوجد ميتا مدفونا بقيوده في دار أبي الهيجاء عقبة بن عتّاب الحاجب وكان سلم اليه بعد القبض عليه وأمر بقتله فقتله فأُخرج من مدفنه وسُلّم الى أهله

وفى هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي القاسم المظفّر بن على الملقب بالموفّق أمير البطيحة واستقرار الامر بعده لابى الحسن على بن نصر بالعهد الذى عهده اليه حسب ما تقدم ذكره وكتب الى شرف الدولة ببذل الطاعة والخدمة ويسئل التقليد والتلقيب والخلع فاجيب الى ذلك جميعه ولقب بالمهذب أولا ثم بمهذب الدولة من بعد

﴿ ذكر استقرار الامارة بالبطيحة على الملقب بمهذب الدولة (١٩٨) ﴾

لما توفى المظفر انتصب أبو الحسن على بن نصر فى موضعه . وكان أبو الحسن على بن جعفر يفوقه فى كثير من الخلال سخاء وشجاعة وأبوة

ولكنه قدمه ووطىء عنقه تمسكا بالوصية التى أحكم المظفر عقدها وقلدهما عهدها. وكان مع تقديمه اياه ينزل نفسه منه منزلة المشارك فى الاعمال والمشاطر في الاموال فابقاه على بن نصر وقاربه وأفرد له النواحي الكثيرة والمعايش الجليلة وخلّى بينه وبين ارتفاعها. واستمرت الحال على ذلك (الى) ان توفى على بن جعفر فارتجع على بن نصر ما كان فى يديه سوى أملاكه الصحيحة فانه أقرّها على ولديه. وتدرجت الاحوال لعلى بن نصر الملقب بمهذب الدولة في أفعاله الرضية الى الرتبة العلية حتي عظم قدره وسار ذكره واستجار به الخائف فأجاره بأمانه ولاذ به الملهوف فوطّأ له كنف احسانه وسلك بالناس طريقة جميلة فى العدل والانصاف وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدها من الاطراف واتخذها الاكابر وطنا فبنوا فيها الدور وشيّدوا فيها القصور وقصدها المسترفد[١] (١٩٩) والشعراء من كل صوب وفج الى بابه فاوسعهم جودا ونوالا واكراما وافضالا. وكاتب ملوك الاطراف وكاتبوه وقاربهم وقاربوه وزوجه بهاء الدولة ابنته ونقلها اليه واستعان به فى عدة أوقات فأعانه واستدان منه فأدانه وخطب له بواسط والبصرة وأعمالها وصرفت اليه الدنيا أعنّة اقبالها. وتوّجت الايام مفرق مفاخره بمقام القادر بالله رضوان الله عليه فى جواره فضاعفت له هذه المنقبة حسباً وصارت له الى استحقاق المدح سببا ولو لا كرم نفسه وخيرها لما مدحت البطيحة ولا أميرها:

نفس عصام سوّدت عصاما وعوّدته الكر والاقداما

وهذه عقبى أفعال الخير فانها تبلغ بصاحبها درجة تُوفى على آماله وتنتهى

---

(١) لعله سقط شيء

به الى منزلة لا تخطر بباله فالسعيد من قدّم عملا صالحا لأخراه وخلف ذكرا جميلا في دنياه . وسيأتي ذكر ما تصرفت به الامور في مواضعه بعون الله تعالى وحسن توفيقه

﴿ذكر ما اعتمده شرف الدولة من الافعال (٢٠٠) الجميلة﴾
(عند استقراره بمدينة السلام)

رُدّ على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع ما كان له في سائر البقاع من الاملاك والضياع وجدد عنده آثار النعمة والاصطناع فاستضاف ضياعا الى ضياعه وتضاعفت موارد ارتفاعه فكان خراج أملاكه في كل سنة الفي الف وخمسمائة الف درهم يصححها في ديوان السلطان وناهيك بذلك ثروة حال وكثرة استغلال

ورُدّ على الشريف ابي أحمد الموسوى أملاكه وأقر ابن معروف على قضاء القضاة وراعى لكل من الكتاب والمتصرفين معه (١) وادرّ عليه معيشة ورزقة ورفع أمر المصادرات وقطع أسبابها وذم (٢) طرق السعايات وسدأبوابها

﴿ذكر اتفاق عجيب دل على حسن نية وعاد بصرف أذية﴾

ذكر أبو الفضل مهيار بن حاتم المجوسى استاذ الدار انه سلم الى شرف الدولة (٢٠١) مدرجا فيه سعاية فوقف عليه وطواه وتركه على كرسى مخاده ونهض من مجلسه وانسيهُ فلما كان بعد أيام ذكره فقال لى : يا با الفضل امض الى ذلك المجلس واطلب مدرجاً تركتهُ هناك . فمضيت الى المكان فلم أجده وسألت عنه فلم أعرف خبره فعدت اليه فأخبرته فشق عليه وشدد عليّ في الكشف عنه فخرجت من بين يديه وأنا قلق لما رأيت من شغل قلبه

(١) لعله : حقه (٢) لعله : وردم

وأحضرت كل حاضر فى الدار وغائب عنها من الحواشى والفراشين وبالغت فى الوعيد والتهديد وكدت أوقع ببعضهم . فبينما أنا فى ذلك اذ حضر فرّاش ومعه قطعة من قرطاس وقال : وجدت الغزلان عند المخاد وقد أكل أكثره وبقيت منه بقية هى هذه . فدخلت الى شرف الدولة وشرحت له ما قال الفراش وأريته القطعة الموجودة فلما تأملها سرى عنه وقال : هذه قطعة من المدرج وقد كنت غازما على تعفية أثره لئلا يقف أحد على خبره فاذا كان الغزال قد كفانا أمره فقد أراد الله تعالى بذلك صرف الاذى عن الناس ولعن الله الشر وأهله . فانظر الى آثار الخير ما أحسن موضوعها واصغ الى أخبار العدل ما أطيب مسموعها وقسها بضدها من الشر والظلم تجد لهما منظرا فظيعا ومسمعا شنيعا . فطوبى لمن حكّم في التمييز سمعه وبصره ثم وُفّق فى الاختيار للاحسن وتتبع أثره (٢٠٢)

ونظر أبو نصر سابور بن اردشير فى الاعمال والمعاملات وغمس يده فيما انحل عن الديلم من الاقطاعات ونظر فى الامور ونفذها الى حين ورود أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان علي ما يأتى ذكره

﴿ ودخلت سنة سبع وسبعين وثلمائة ﴾

فيها ورد الامير أبو منصور وتلقاه الناس كافة من مدينة السلام الى المدائن ثم تلقاه شرف الدولة الى الشفيعى فدخل البلد على غاية الاكرام . وانتظمت الامور علي يديه كل الانتظام وطالب العمال بعمل المصالح وأخذهم باقامة العمارات ووجد الاسعار متزايدة والاقوات متعذرة فرتب نقل الغلات من بلاد فارس فى البحر وجدّ في حملها من كل بلد . واستتر سابور ابن اردشير مدة ثم توسط أبو بكر الفرّاش حاله على أخذ الامان له من أبي منصور فآمنه .

﴿ ذكر بعض أخلاقه وطرائقه ﴾ (٢٠٣)

كان الغالب عليه فعل الخير وايثار العدل وحسن الطريقة فى الدين فاذا سمع الاذان بالصلاة ترك جميع شغله ونهض من مجلسه لاداء فرضه ثم عاد بعد ذلك الى أمره . قال صاحب التاريخ : ما رأينا وزيرا دبّر من الممالك ما دبره فان مملكة شرف الدولة أحاطت بما بين الحد من كرمان طولا الى ديار ربيعة وبكر وعرضا الى الاحساء والرقة والرحبة وحلوان . وكانت له تجارات وحمولات بنيسابور تقبل توقيعاته عليها فى المعاملات وانه عرضت عليه رحال باستحقاق بعض الجند والحواشي فوقّع بمالها على الموصل وعمان نصفين (١)

ونحن نقول كيف به لو أدرك زماننا ورأى هذه الدولة القاهرة التى تجول عساكرها وجُند ملكها فى الاقطار [نافذ] بامره فترد مشارع الخليج كما ترد مشارع جيحون وسراياها الآن بالخفار قاربة لورد النيل وكفي بما بين هذه الموارد الثلاث ممالك واسعة الطول والعرض . وأوامر وزيره نافذة فيها بالابرام والنقض . والدهماء ساكنة في جميعها برأيه وتدبيره والهيبة ضابطة لجميعها بسياسته وتقريره . وأين من يوقع على الموصل وعمان ممن يوقع على أعمال الشام وأقاصي خراسان ! ان الفرق بينهما بعيد

تُريني السها (٢٠٤) وأريه القمر

وأي فخر فى أن يقبل في بلاد المخالفين خط يكتب على معاملة تاجرية (٢) فان يكن ذلك من جملة المناقب فامرُ التجار اذاً أنفذ في المشارق والمغارب لانهم يكتبون بالاموال الجمّة على معاملاتهم فيكون أسرع في الرواج من

(١) روى هذا بعينه سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان عن ابن الصابي

(٢) لعله : تجارية

مال الجباية والخراج . وانما الفخر فى نفاذ الاحكام على البلاد التى مهّدتها السيوف للاقلام والملك ما قطر الدم من الصفائح فى افتتاح أعماله ثم جرى المداد فى الصحائف باطلاق أمواله . وليس هذا موضع بسط المقال فى ذكر هذه الفضائل ولكنا ننتهز الفرصة أولا فأوّلا فى اقامة الشواهد والدلائل على تفصيل والدليل على تفضيل زماننا حسب (١) ما قدّمنا ذكره في صدر كتابنا هذا لتكون أقوالنا محققة بالبيان ودعاوينا مصدّقة بالبرهان . فأحسن القول ما صاحبهُ الصدق فزانه وأسوأه ما مازجه الكذب فشانه والله تعالى ولىّ حسن التوفيق بمنه

ونعود الى سياقة التاريخ . وفى هذه السنة ندب قراتكين الجهشيارى لقتال بدر بن حسنويه وخلع عليه الخلع الجليلة وفيها السيف والمنطقة الذهب وخرج شرف الدولة الى معسكره لوداعه (٢٠٥)

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر قراتكين في هذا الوجه ﴾

كان شرف الدولة مغيظا على بدر بن حسنويه لانحرافه عنه وتحيزهُ الى فخر الدولة فلما استقرت قدمه وقرُب من طاعته كل جامح شرع فى تدبير أمر بدر . وكان قراتكين قد جاز الحد فى التبسط فرأى ان يخرجه في هذا الوجه فاما ان يظفر ببدر ويشفى منه صدره واما ان يستريح من قراتكين فيلغى أمره فجرد معه من العساكر وأصحبه من الخزائن ما استظهر فيه وعرف تداريجه فاستعد واحتشد وتلاقيا على الوادى بقرميسين

﴿ ذكر خدعة تمت لبدر على قراتكين وعسكره بتفريطهم وقلة حزمهم ﴾

لما تواقعوا انهزم بدر حتى توارى عنه وظن قراتكين وعسكره انه

---

(١) بالاصل : خبر

قد مضي على وجهه فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا فى خيمهم فلم يلبثوا ساعة حتى كر بدر راجعا وأكب عليهم اكبابا أعجلهم من الاستعداد (٢٠٦) والتجمع وقتل منهم مقتلة عظيمة واحتوى على جميع ما فى معسكرهم . وأفلت قراتكين بحشاشة نفسه فى شرذمة من غلمانه وعاد فى يومين الى جسر النهروان وتلاحق الفل به واحد بعد واحد وحُمل اليه من بغداد ما لمّ به شعثه ودخل الى داره . واستولى بدر بعد ذاك على أعمال الجبل وما والاها وقويت شوكته

(ذكر ما جرى عليه حال قراتكين بعد)
(عوده فى سوء تدبيره وما انتهى أمره)
(اليه حتى آل الى قتله)

قد تقدم القول فيما كان حصل في نفس شرف الدولة منه لاسرافه فى استعمال الدالّة واستيلاء كتابه وأصحابه والتجاء كل متعزز الى بابه . وعاد من الهزيمة المذكورة وقد زاد تجنيه وتغضبه وتضاعفت تبسّطه وتسحبه وأغرى الغلمان بالتوثب فى دار المملكة على الوزير أبى منصور حتي لقوه بالصعب وقالوا له : أنت كنت السبب (٢٠٧) فى هزيمتنا بتأخيرك المال والسلاح والنجدة عنا . فلوطفوا ودُفعوا عنه ثم وقع الشروع في اصلاح الحال بين الوزير وبين قراتكين فتم . وأسرَّ شرف الدولة من ذلك غيظا فكتمه في قلبه وأمسك مُرَوّيا في تدبير خطبه فلم تمض أيام حتى قبض عليه وقُيّد ثم قتل من يومه وأنفذ الى داره من قبض على أصحابه وكتابه واحتاط على معاملاتهم وأسبابهم . وخاض الغلمان فى الشغب لاجله فلما أيقنوا بقتله وأرضى أكابرهم تبعهم أصاغرهم فامسكوا

وقُدِم طغان الحاجب بينهم وأقيم مقامه فيهم فلزموا بعد ذلك الطريقة السوية واستشعروا المراقبة والتقيّة

ومن أعظم الاغلاط دالّة الاتباع على السلاطين وان سبقت خِدمهم وسلفت حُرَمهم فانها موذنة بزوال نعمهم منذرة بورود مناهل الحمام . ومثل المدال على السلطان بتمكنه منه كمثل راكب الاسد فبينما تراه عزيزا رفيعا اذ صار بين براثنه ذليلا صريعا ألا وان ذلك لمن أخطر المراكب وأحقها بسوء العواقب . وكفاك بقصة قراتكين تذكرة وتبصرة

ولما تمهدت الامور عُقد مجلس حضره الاشراف والقضاة والشهود وجُددت التوثقة فيه بين الطائع لله وبين شرف الدولة واستقر ركوب شرف الدولة الى دار الخلافة (٢٠٨)

(ذكر ماجرى عليه الامر فى جلوس الطائع)
(بحضور شرف الدولة)

ركب شرف الدولة فى الطيار بعد ان ضربت له القباب على شاطىء دجلة وزينت الدُور التي عليها في الجانبين بأحسن زينة وجلس الطائع لله جلوسا عاما وخلع عليه الخلع السلطانية وتوّجهُ وسوّرهُ وطوقهُ وعقد له بيده لوائين أسود وأبيض وقُرئ عهده بين يديه . وخرج من حضرته فدخل علي أخته المتصلة بالطائع لله وأقام عندها الى وقت العصر ثم انكفأ الى داره والناس مقيمون على انتظاره . ولما حمل اللواء تخرّق وانفصلت منه قطعة فتطيّر من ذلك فقال له الطائع لله : انما حملت الريح منه قطعة وتأويل ذلك ان تملك مهبّ الريح.

وكان أبو عبد الله محمد بن أحمد معروفا في جملة من حضر مع شرف الدولة فلما رآه الطائع لله قال له

مرحبا بالأحبة القادمينا أوحشونا وطال ما آنسونا . (٢٠٩)

فقبل الارض وشكر ودعا

وفى هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الحاجب بالموصل

(ذكر ما جرى عليه أمر سعد بعد انحدار زيار من الموصل الى ان توفى)

لما أراد زيار الانحدار أقر سعدا على الحرب وأبا عبد الله ابن أسد على الخراج فلم يلتأم ما بينهما وحصلا على وحشة . وورد شرف الدولة مدينة السلام فكاتب سعدا باقراره على الامر تأنيسا له وكان من عزمه ان يضرب بابى على التميمى بوعد سبق من شرف الدولة اليه فمات أبو على وبطل ذلك . وعرف شرف الدولة ما يجرى بين سعد وأبى عبد الله ابن أسد من الخلاف فى الامور فامر باستدعاء ابن أسد وترتيب ابن أخيه فى مكانه نائبا عنه . وكتب سعد يذكر تضاعف ما تأخر للاولياء من أرزاقهم وفرط مطالبتهم بما اجتمع في استحقاقهم فعوّل به في الجواب على بقايا للموصل وأعمالهم (١) بحسب ما ذكره ابن أسد بالحضرة . وأخرج اليه أبو سعد الحسن بن عبد الله الفيروزاباذى وأمر بمناظرة الديلم على النزول عن الفائت جميعه أو معظمه فلما وصل أبو سعد الى (٢١٠) الحصباء خيّم بها فحمل اليه سعد انزالا فلم يقبلها .

(ذكر رأى سّيء لابى سعد من ردّ ما حمله)
(ومكيدة لسعد تمت عليه)

كان من غلط الرأى ما اعتمده أبو سعد من رد ما حمله اليه سعد من

---

(١) لعله : أعمالها

الانزال فان ذلك عاد بسوء ظنه فيه وأوجس فى نفسه انه لم يفعل ذلك الا عن قاعدة أحكمت فى طلب مكروهه . وكان الديلم يميلون الى سعد ويطيعونه فأوحشهم من أبى سعد ووضعهم باطنا على الايقاع به فشغبوا وراسلوا سعدا : بانك لم تزل تعدنا وتعطلنا بورود من يرد من حضرة السلطان للنظر فى أمورنا وقد ورد هذا الرجل وما رأينا وجها لما كنا نتوقعه وبلغنا انه معوّل على المسير الينا لاستنزالنا عن أموالنا وارضائنا من البقايا وهذا مما لا نقنع به . فاجابهم جوابا ظاهرا أسكتهم به وراسل أبا سعد بان : الصواب ان ترفق بهم اذا راسلوك رفقا لا تلين لهم فيه وتستوفى عليهم استيفاء لا تنفرهم به . فلما حضره رسلهم [٢١١] غلظ فى جوابهم فوثبوا به وهموا بقتله فهرب والقى نفسه الى دجلة فاستنقذ منها الى بعض السفن وهو مجروح وعبر الى الجانب الشرقى الى ان سكنت النائرة ثم ردّه سعد الحاجب وأنزله دارهُ وأمر بمداواته مما به . ومضت أيام فاعتل سعد الحاجب وقضى نحبه (وقيل ان أبا سعد الفيروزابادى واطأ بعض خواصه على سمه) فلما توفى ظهر أبو سعد وجلس فى داره واحتاط على ماله وتولى الامور الى ان وصل اليه من الحضرة من اجتمع معه على تحصيل التركة وحملها .

وأخرج أبو نصر خواشاذه الى الموصل لحفظ أكنافها وزمّ أطرافها.

وتجدد لباد بن دوشنك مع وفاة سعد الحاجب طمع فى التغلب على البلاد فصار الى طور عبدين وهو جبل مطل على نصيبين

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبى نصر خواشاذه مع باد ﴾

(عند اصعاده من الموصل)

لما عرف أبو نصر الخبر دعتهُ الضرورة لقصد نصيبين لدفع باد [٢١٢]

فكتب الى الحضرة يستمد ويستنجد فأمد وأنجد بما هو غير كاف وخاف ان يجري حاله مع باد على ما جرت عليه حال أبى سعد بهرام وأبي القاسم سعد فاستدعى بنى عقيل واستدناهم وعوّل في حرب باد عليهم لانهم أخف خيولا وأسرع خروجا وقفولا والاكراد خيولهم بطاء وعددهم للحرب ثقال

﴿ ذكر رأى رآه أبو نصر فى اقطاع البلاد حين
(تعذرت عليه وجوه الاطلاق) ﴾

كان الوزير أبو منصور يقصده لشغب بينهما فأخّر أمره وعلّله بالمواعيد ثم كان قدّر ما حمله له بعد تلك المواعيد المكررة ثلثمائة الف درهم وأين يقع ذلك القدر من مثل هذا الخطب ! وكان أبو نصر يعلل من معه بوصول الحمل فلما عرف مبلغه رأى أن يكتم أمره خوفا ان يظهر فتنقطع الا مال وتتفرق الآجال[1] ويهجم عليه باد فينهزم بأسوأ حال . فعدل الى تفرقة البلاد علي العرب وتسليمها اليهم وقال : هذه بلاد بازاء عدُوّ وقد استفحل أمره واذا حصلت لهؤلاء العرب دفعوا عنها في عاجل الحال لنفوسهم دفع القوم عن حريمهم فان قوى أمر السلطان (٢١٣) كان انتزاعها من أيديهم أسهل من انتزاعها من يد باد . فكان الواحد منهم يكتب قصة ويسأل فيها اقطاعهُ الخربَة الفلانية (وتكون ضيعة جليلة) فيوقّع له بها من غير اخراج حال ولا تعرُّف ارتفاع وارتفق كاتبه على ذلك أموالا جمة

(ذكر حيلة سحر بها باد عين من بازائه واسترهبهم)

كان يقيم البقر على رؤس الجبال ويجعل بينها رجالة يبرقون بالسيوف والحراب فاذا شوهدوا من بعد ظنوا رجالا فلا يقدم العسكر على الصعود

(١) لعله : الرجال

اليهم . فاتفق انه نزل أخ لباد وقاتل قوما من العرب فقُتل وبلغ قتله من باد كل مبلغ وضعف أمره فبينما هو فى ذلك اذ ورد الخبر علي أبى نصر بوفاة شرف الدولة فكتمه وعاد الى الموصل فاظهر فيها العزاء به . وانفسح باد وأصحابه وتمكن من طور عبدين واستضافها الي ديار بكر ولم يقدم علي الاصحار خوفا من العرب فصار الجبل له والسهل لبنى عقيل ونمير . وكان أبو نصر على اصلاح أمره ومعاودة حرب باد اذ أصعد ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة (٢١٤) الى الموصل . وسيأتى ذكر ما جري عليه أمرهم من بعد بأذن الله تعالى

﴿ ودخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها قبض على شكر الخادم من الموضع الذى كان مستترا فيه وحمل الى حضرة شرف الدولة وعلى أبى منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى لاجله

(شرح الحال فى ذلك)

كان شكر قد أساف الى شرف الدولة ما أوحشه وتولى ابعاده عن بغداد الى كرمان فى حياة عضد الدولة وقام بامر صمصام الدولة فحقد عليه شرف الدولة فلما انحل أمر صمصام الدولة ووقع اليأس منه خاف شكر . وكان أبو منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى صديقا خصيصا له فقال له: شرف الدولة قد أقبل وأرى الاستظهار لنفسى بالاستتار ثم اعمل الحيلة في الخروج عن البلد فاعدّ لى موضعا عندك لاصير اليك . فقال له أبو منصور : اما حصولك فى دارى فلا يخفى لكثرة من يطرقها ولكن اختار لك مكانا منه . فلما كان فى (٢١٥) الليلة التى انحدر فيها صمصام الدولة

الى شرف الدولة استدعى من قبل أبي منصور من يصير به ليلا الى الموضع الذى أعده . فانفذ اليه زوجته بنت أبي الحسين ابن مقلة ونزل شكر فى سمارية وأصعد الى الجسر كانه ماض الى عكبرا ثم انتقل الى سمارية أخرى مع المرأة ولبس خفا وازارا كان قد استصحبهما وصارت به الى دار أبى بكر محمد بن موسى الخوارزمى الفقيه فاقام عنده مديدة . ففطن به فانتقل الى دار رجل بزّاز في رحبة خاقان يعرف بابن هرون وكان أبو منصور الشيرازي يثق به.

(ذكر رأي سديد رآه البزّاز وقبله شكر)
(ثم خالفه فيه من بعده)

قال له : أيها الاستاذ ملاك أمرك وأمرى فى سترك ان أتولى خدمتك ولا يدخل الى بيني وبينك وبين هذه المرأة (اشارة الى زوجته) رابع . فقال : افعل . فقام الرجل بخدمته فلما مضت مدة راسل شكر أبا منصور وقال له : لى جارية حبشية وأنا أثق بها وأريد ان تتولى خدمتى . فاجابه : باني لا آمن عليك . فراجعه حتى استقرّ الامر على [216] احضارها فأُحضرت وأقامت معه . وكان قد عاق قلبها بهوى فكانت تأخذ من الدار المأكول وغيره وتخرج الى حيث يدعوها هواها وربما احتبست فى أكثر الاوقات فلحق شكراً ضجر من فعلها ومنعها من الخروج فلم تمتنع

(ذكر فساد رأى شكر فيما دبر به أمره)

لم يقنع بما غلط فيه من الخروج بسره الى غير أهله وقد قيل فى المثل « لاتفش سرك الى أمة » حتى غلط ثانيا بالضجر فى غير وقته فانه لما كثر ضجره منها رماها فى بعض الايام بحميدي أصاب به وجهها فخرجت

من الدار غضبي ومضت الى باب شرف الدولة وصاحت « النصيحة النصيحة » فسئلت عنها فقالت : لا أقولها الا له . فأدخلت الدار وأخرج اليها بعض خواص الحاشـية فاخبرته بحال شكر فرتب مع صاحب المعونة من الخواص من يمضى للقبض عليه فقالت : قد جرى بيني وبينه نفرة وربما استوحش وانتقل فابدءوا بدار أبي منصور الشيرازى . ففعلوا ذلك فما شعر أبو منصور وهو قاعد فى داره عنـد حرمه.(٢١٧) الا بهجوم القوم عليه بغتة فقبض عليه وفتشت الدور والحُجر فلم يوجد شكر . فمضوا الى دار البزّاز وكبسوها وأخذوا شكرا منها وحملا جميعا الى حضرة شرف الدولة فاما شكر فان نحريرا استوهبه قبل وصوله فوهبه له وعدل به الى داره وأحسن اليه . ومضت مديدة وحضر وقت الحج فسأله الاستئذان له فى الحج فأذن له وخرج ثم عدل عن مكة الى مصر وحصـل عند صاحبها . وأما أبو منصور فانه اعتقل فتلطف الوزير أبو منصور ابن صالحان فى أمره

﴿ ذكر تدبير لطيف عمله الوزير أبو منصور
(فى خلاص أبى منصور الشيرازى) ﴾

قال لشرف الدولة : هـذا رجل اليه ديوان الضـياع وعليـه علق وحسبانات وأنا آخـذه الى الديوان وأتولى محاسبته ومطالبته بمـا عليه . فسلم اليه ونقله الي حجرة تجاور داره وأولاه الجميل ثم توصل الى اطلاقه بعد شهور

ولم يوجد في بقية احداث هذه السنة مافيه ذكر تدبير وسياسة (٢١٨)

﴿ ودخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها أنفذ الطائع أبا الحسن على بن عبد العزيز [بن] حاجب النعمان كاتبه

الى دار القادر بالله رضوان الله عليه وهو أمير للقبض عليه فخباه الله تعالى منه

﴿ ذكر السبب في ذلك وماجرى عليه الامر فيه ﴾

لما توفى اسحق بن المقتدر بالله والد القادر بالله رحمة الله عليهم جرى بينه وبين أخته آمنة بنت معجبة منازعة فى ضيعة وطال الامر بينهما وعرضت للطائع لله علة [1] أشفى منها ثم ابل . فسعت آمنة باخيها القادر بالله الى الطائع لله وقالت له : انه شرع فى تقلد الخلافة عند علتك . فظن ذلك حقا وتغير رأيه فيه وأنفذ أبا الحسن ابن حاجب النعمان وأبا القاسم ابن أبي تمام الزينبي [2] العباسي الحاجب للقبض عليه فاصعدوا في الماء الى داره بالحريم الطاهرى . فحكى القاضي أبو القاسم التنوخى عن صفية بنت عبد الصمد ابن القاهر (٢١٩) بالله قالت : كنت فى دار الامير أبي العباس (تعني القادر بالله) يوم كبست عن أنفذه الطائع لله وقد جمع حرمه فى غداة هذا اليوم وكنت معهن فقال لنا : رأيت البارحة فى منامى كأن رجلا يقرأ علىّ « الذين قالَ لهمُ الناس انّ الناس قد جمعوا لكم فاخشَوهُم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وقد خفت ان يطلبنى طالب . وهو فى حديثه اذ شاهد زبزب ابن حاجب النعمان قد قدم الى درجة داره فقال : انا لله هذا حضور مريب بعقب هذا المنام . وصعد القوم من الزبزب اليه وتبادرنا الى وراء الابواب فقالوا له : أمير المؤمنين يستدعيك . فقال : السمع والطاعة .

---

(١) وفى الاصل : على (٢) أبو تمام الزينبي هو الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد الشريف قاضي القضاة قدم بغداد مع معز الدولة واشترى دارا باربعة وعشرين الف دينار وولى نقابة بغداد وتفقه على أبي الحسن الكرخي توفي سنة ٣٧٢ . كذا في تاريخ الاسلام

وقام فقال له أبو الحسن : الى أين ؟ فقال : ألبس ثيابا تصلح للقاء الخليفة . فتعلق بكمه ومنعه فبرزنا اليه وأخذناه من يده ونزل الى سرداب فى الدار ووقفنا فى صدره حتى تخلص وعاد القوم الى الطائع لله وعرّفوه الحال [١]

وانحدر القادر بالله بعد ذلك مستخفيا الى البطيحة فاقام عند مهذب الدولة الى ان عقدت له الخلافة . وجعل علامته حين تقلد الامر « حسبنا الله ونعم الوكيل » تبرّكا بالرؤيا التى رآها

ومن بعد هذه [٢٢٠] الحكاية نقول ان الله تعالى اذا اصطفى عبدا أظهر عليه آثار الكرامات ودل على اصطفائه بالآيات والعلامات واذا اختاره لامر هيأ له أسبابهُ وفتح عليه أبوابه ونجّاه من كل سوء يخشاه وجعل الى الخير مآله وعقباه . قال سبحانه فى محكم التنزيل « وينجي اللهُ الذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسّهم السوء ولاهم يحزنون »

وفى هذا الوقت أخرج محمد الشيرازى الفراش لكحل صمصام الدولة

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك ﴾

كان نحرير الخادم يحض شرف الدولة على قتل صمصام الدولة ويقول له : انه ملك قد قعد على السرير ولا يؤمن الدهر وحوادثه ودولتُك مع بقائه على خطر . فيعرض شرف الدولة عن هذا القول فلما اعتلّ وأشفى الحّ عليه في ذلك وقال له : ان لم تر القتل فالكحل اذا . فاخرج محمد الفرّاش لسمل صمصام الدولة وسلم اليه شيأ أمر بان يكحله به ثلاثة أيام كحلا ويشد عليه عينيه فمضى الفرّاش فقبل ان يصل توفى شرف الدولة . فحصل الفراش بسيراف والقلعة التى فيها [٢٢١] صمصام الدولة كانت من أعمالها وعاملها رجل

(١) وردت هذه الحكاية في الدول المنقطعة رواية عن ثابت بن سنان

يهودي يسمى روزبه فذكر الفراش للعامل ما ورد فيه فقال : هذا أمر قد بطل حكمه مع وفاة شرف الدولة ولا يجوز تمكينك منه الا بعد اعلام أبي القاسم العلاء بن الحسن الناظر . فكتب اليه يستأذنه فعاد جوابه بتمكينه مما ورد فيه فقصد القلعة وكحل صمصام الدولة بما صحبه فذهب ناظره

(ذكر قلة حزم في استرسال عاد على صاحبه بوبال)

كان فى جملة الموكلين بصمصام الدولة فرّاش يسمى بنداراً وقد أنس به لتطاول المدة فقال له قول المترثي : كيف الملك ؟ فقال له بالاسترسال : قد بقيت من نظري بقية أبصرُ بها من تلك الكوّة . فاعاد بندار قوله على محمد فاجتمعا على ان يحصا عينيه بمبضع . فلما عاد صمصام الدولة الى الملك بفارس رام بندار ان يخدمه على رسمه فامر صمصام الدولة بان يكون مع الستريين [1] بالبعد منه فقال بندار : هكذا أستحق من الملك بعد خدمتي له وصحبتي معه ؟ فأعيد قوله عليه فقال : أما يرضى بالابقاء [٢٢٣] عليه حتى يدلّ بهذه الدالة . واتصل الحديث بالامير أبى طاهر واطلع على قصته فامر بأخذه وصلبه فصلب . وكان صمصام الدولة يقول : ما سلمنى الا العلاء بن الحسن فانه أمضى فىّ أمر ملك قد مات . ولما قبض عليه واقفه على ذلك ثم عفا عنه . وحصل محمد الفراش ببغداد فلما ورد عميد الجيوش أبو على الحسن بن أستاذ هرمز من العراق قال : أريد ان أشفي صدرى بقتله جزاء له على سوء فعله . فهرب منه الى مصر وأقام بها الى ان مات عميد الجيوش

وفى هذه السنة توفى شرف الدولة وقام الامير أبو نصر مقامه فى الملك

---

(١) قال ابن بطوطا ان الستاريين هم الذين يمسكون دواب الخدام على باب المشور

(ذكر ما جرى عليه الامر في علة شرف الدولة)
(واستقرار الامر للامير أبي نصر بعده)

اعتل شرف الدولة العلة التي توفى فيها وكانت من استسقاء فلما اشتدت به ندب أبا علي ولده الى الخروج الى فارس للنيابة عنه بها وأخرج معه والدته وجماعة من خرمه وأصحبهُ جلّ عدده (٢٢٣) من مال وسلاح وضم اليه عددا كثيرا من وجوه الاتراك. وعلى أثر انحدار ولده غلب عليه المرض حتى غلب اليأس منه على الرجاء فيه فاجتمع وجوه الاولياء وراسلوه باستخلاف الامير أبي نصر فيهم الى ان يبلّ من مرضه فاجابهم الى سؤالهم وروسل الامير أبو نصر بالحضور فامتنع وأظهر القلق والجزع. واستقرت الحال على اظهار استخلافه في غد ذلك اليوم وغدا الناس الى دار المملكة لذلك. فجرى من بعض القواد والخواص مطالبة باستحقاقهم خرجوا فيها الى التشديد فتقوّض الجمع من غير تقرير أمر. وعاجلت شرف الدولة منيتهُ فقضى نحبه وكُتِم أمره ليلة واحدة وأصبح الناس وعند أكثرهم خبره واجتمع العسكر فطلبوا الامير أبانصر برسم البيعة وتردد الخوض معهم في أمر العطاء ومبلغ ما أطلق لكل واحد منهم. فتولّى خطابهم بنفسه وأعلمهم خلو الخزائن من المال الذي يعمهم ووعدهم بكسر ما فيها من الاواني والصياغات وضربها عينا وورقا وصرفها اليهم وأطل المساء وراحوا الى منازلهم من غير استقرار وباكروا الغدو الى الدار فوجدوا الامير أبا نصر قد أظهر المصيبة وجلس للتعزية (٢٢٤) فامسكوا عن الخطاب.

وخرج تابوت شرف الدولة وتقدم للصلاة عليه أبو الحسن محمد بن عمر العلوى وحمل الي المشهد بالكوفة. فكان مقام شرف الدولة ببغداد

سنتين وثمانية أشهر وأياما وعاش ثمانى وعشرين سنة وخمسة أشهر ثم بلغ الكتاب أجله ودعاه الداعي فاستعجله وبزّته المنية ثوبي ملكه وشبابه واختطفته من بين حشمه وأصحابه فمضى غضا طريًا اما سعيدا واما شقيا فى سبيل لابد للخلائق من سلوكها ولا فرق فيها بين سوقتها وملوكها ولربما كانت السوقة أخف ظهورا وأسرع فى تلك الغمرات عبورا . فأفّ لدار هذه صورة سكانها ولشجرة هذه ثمرة أغصانها ! لقد ضل من اتخذ هذه الدار قرارا واستطاب من هذه الشجرة ثمارا فطوبى لمن قصّر فى الدنيا أمله وأصلح للآخرة عمله . قال الله تعالى : انما هذه الحياةُ الدنيا متاع وإن الآخرةَ هي دارُ القرار

وترددت بين الامير أبى نصر وبين الطائع لله مراسلات انتهت الى ان حلف كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء وركب الطائع لله من غد للعزاء (٢٢٥)

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر فى ركوب الطائع لله للتعزية ﴾

قدم الطيّار على باب الدرجة وفرش سطحه بديبقى وعليه مقرمة ديباج حمراء منقوشة ووسطه بديباج أصفر وعليه مقرمة ديبقية ووقف الغلمان الاتراك الاصاغر بالسيوف والمناطق فى دائر المجلس الاوسط ووافى حجاب شرف الدولة الاتراك والمولّدون فى الزبازب بالثياب السود والسيوف والمناطق وكل منهم قائم فى زبزبه واجتمع من السفن التى فيها العامة عدة كثيرة . وخرج الطائع لله من داره وتحته فرس صِنابىّ بمركب خفيف وسرج مغرى أحمر وعليه قباء ملحم أسود وعمامة خزّ سوداء على رُصافية وهو متقلد بسيف وبين يديه خمسة ارؤس فوق سروجها جلال

الديباج ونزل الى الطيار فجلس فى المجلس الاوسط على المقرمة في الدست على خلاف عادة الخلفاء فانهم كانوا يجلسون على سطح حرّاقة وبين يديه مجلس طيار وقيل انه فعل ذلك لانه كان في عقيب علة وأراد ان يخفى ما بوجهه من آثارها .

فوقف بين يديه أبو الحسن على بن عبد العزيز كاتبه ودُجي خادمه والعباس حاجبه وسار الطيار الى دار المملكة بالمخرم فنزل الامير أبو (٢٢٦) نصر متشحا بكساء طبري والديلم والاتراك بين يديه وحواليه الى المشرعة التى قدّم اليها الطيار وقبل الارض وصعد أبو الحسن ابن عبد العزيز الى الامير أبى نصر فأدى اليه رسالة عنه بالتعزية فقبل الارض ثانيا ودعا وشكر . وعاد أبو الحسن الى حضرة الطائع لله وأعلمه شكره ودعاءه وعاود الصعود الى الامير أبي نصر لوداعه عن الطائع لله فأعلمه شكره ودُعاءه فقبل الارض ثالثا وانحدر الطيار على مثل ما أصعد وعاد الامير أبو نصر الى داره

ثم ركب الامير أبو نصر بعد خمسة أيام الى حضرة الطائع لله فخلع عليه الخلع السلطانية ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة وقرئ عهده بين يديه بالتقليد وقدم اليه فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه آخر بمثل مركبه وسار العسكر حواليه الى باب الشماسية فى القباب المنصوبة ونزل الى الطيار وانحدر الى دار المملكة

﴿ ذكر ما دبره بهاء الدولة عند قيامه بالملك (٢٢٧) ﴾

أقر الوزير أبا منصور ابن صالحان على الوزارة وأصحاب الدواوين وغيرهم على ما كان اليهم ثم صرف أبا سعد ابن الخياط عن ديوان الانشاء مع مدّ يده وعوّل فيه على أبي الحسن على بن محمد الكوكبي المعلم وخلع عليه

الطائع لله وكناه ولقبه بالكافي وكانت الخلعة دُرّاعة ديبقية وعمامة قصب وحمله على فرس بمركب . وقبض على نحرير الخادم وأبي نصر ابن كعب فاعتقلا ثم قتلا

فاما نحرير فكان هلاكه على يد الحسين الفراش فاما أبو نصر ابن كعب فعلى يد أبي الحسن الكوكبي

﴿ شرح الحال فى ذلك ﴾

كان بهاء الدولة شديد الميل الى نحرير كثير الثناء عليه فلما توفى شرف الدولة أراد منه ان يجري في خدمته على ما كان عليه في خدمة شرف الدولة فامتنع نحرير وتظاهر بلبس الصوف واجتهد معه كل الاجتهاد مراسلة بالشريف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبي منصور محمد بن صالحان ومشافهة بنفسه فما أجدى معه نفعا (٢٢٨)

(ذكر ما ارتكبه نحرير من اللجاج حتى آل به شر مآل)

لم تزل الحكماء وأولو العقول الراجحة يحذرون ركوب مطية اللجاج فانها كثيرة الكبوة والنفور تلقي صاحبها الى الورطة والتبور . قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالاستاذ الفاضل : كنت قائما بين يدي بهاء الدولة وهو يخاطب نحريرا ويقول له : لا تزهد فيّ مع رغبتي فيك فانا أولى بك على ما كنت عليه من قبل . ونحرير يقبل الارض ويستعفى الى ان انتهى بهاء الدولة الى ان قال له باللغة الفارسية وقد دمعت عيناه : افعل لله . فاقام نحرير على أمر واحد فى اللجاج الذى لا يقابل الملوك بمثله وانصرف من بين يديه ودخل الحسين الفراش بعد ساعة وقال : قد طلب نحرير عشرين الف درهم من الخزانة . فقال : احملوها اليه .

﴿ ذكر حيلة عملها الحسين الفراش نفّر بها قلب بهاء الدولة ﴾
(من نحرير حتى أمر بالقبض عليه [٢٢٩])

لما حملت الدراهم الى نحرير عاد الحسين الفراش وقال : عرفت انه معول على الهرب في هذه الليلة وانه أخذ الدراهم وجعلها في أكياس نفقة الطريق . فانزعج بهاء الدولة لذلك وسهر ليلته يراعيه وينفذ فرّاشا بعد فراش الى داره ليعرف ما هو فيه الى ان أسفر الصبح ولم يكن لما ذكره الحسين الفراش أصل وانما أراد الاغراء به . وعطفت الجماعة بعد ذلك على بهاء الدولة باللوم له ولا سيما أبو الحسن ابن عمرو فانه كان عدواً لنحرير وقال : أيها الملك قد أسرفت فى مداراة هذا الخادم اسرافا يشيع ذكره وأصرّ على مخالفتك اصرارا يصغر عنه قدره . وما زالوا بهذا القول وأمثاله حتى غيروا رأيه فى نحرير وزادوا غيظه منه . فحضر نحرير بعد أيام ومعه أبو نصر ابن كعب وكان خصيصا به وأبو الحسن محمد بن عمر وأبو منصور الوزير وأبو سعد ابن الخياط فى الحجرة مجتمعون فأذن بهاء الدولة في القبض عليه . ورأى أبو نصر أمارات التغير والتنكُّر فاشار الىَّ بيده وقال : ما الخبر . فاومأت اليه بالقيام فقام وتبعه أبو سعد ابن الخياط وأخذ أبو نصر ابن كعب الى الخزانة فاعتقل فيها . وبقي أبو الحسن محمد بن عمر ونحرير فقال له محمد بن عمر : [٢٣٠] ياهـذا قد أسرفت في الدولة ومن أنت وما قدرك حتى تمتنع من خدمة هذا الملك العظيم ؟ فاغلظ له فى القول ونحرير مطرق فلما زاد الامر عليه رفع رأسه وقال له : أيها الشريف أين كان هذا القول منك في أيام مولاى وأنت ترى أفضل آمالك اذا تبسمت في وجهك؟ فأما الا ن وأنا على هذه الحال فاستعمال ما أنت مستعمِلهُ لؤم قدرة وسوء

ملكة وكيف ألامُ على ترك الدنيا بعد ملك ابتاعني بالف درهم ثم رفعني الى ان كنت تخدمني ولا أخدمك وتحتاج اليّ ولا أحتاج اليك ؟ فاغتاظ أبو الحسن ابن عمر وانصرف . وأخذت بيد نحرير فاقعدتهُ على الفراش من الارض فقال لى : أريد أن تحمل اليّ مصحفا وان تقول لمولانا الملك « ما كان امتناعي عليك الا ما جرت به الاقدار من ادبارى وقد خدمتك وخدمت أخاك وأوجبت عليك حقاً بذلك وأسألك أن لا تسلمنى الى عدوّ يشتفى منى وان تكون أنت الآمر بما تفعل بى » وأعدتُ قوله على بهاء الدولة فقال : ارجع اليه واحمل اليه مصحفا كما طلب وقل له « هذه ثمرة لجاجك فالى من تريد أن أسلمك » ؟ وحملت اليه المصحف وأعدت عليه القول فقال : الى أبى جعفر الحجاج . وعدتُ الى بهاء الدولة فاعلمته فاعترض (٢٣١) الحاضرون على ذلك فلم يصغ بهاء الدولة الى أقوالهم وتقدم بحمله الى أبي جعفر فحُمل

﴿ ذكر مكيدة أخرى عملها الحسين الفراش ﴾
(تمكن بها من قتل نحرير)

جاء الحسين الفراش بعد أيام فقال لبهاء الدولة : أيها الملك قد بلغني عن ثقة صادق ان أبا جعفر الحجاج معول على الركوب في غد ومسئلتك فى أمر نحرير فان أجبته الى ذلك أفرجت عن عدوّ لا تأمنه فيما عاملته به وقد علمت طاعة الاتراك له وان منعته أضفت الى استيحاش نحرير استيحاش أبي جعفر . قال : فما الرأى . قال : ان تسبقه الى أخذه من داره . قال : فالى أين يُحمل . قال : الى دارى التى نأمن فيها على مثله . فامر عند ذلك بانفاذ من يأخذه فنُقل واعتُقل فى غرفة . ومضت أيام واتفق ان بهاء الدولة خرج يوما فى

آخر النهار من الحجرة والحسين الفراش يسارّ أخاه وظهرُهُ الى الموضع الذي خرج منه بهاء الدولة فلم يشعر به حتى رآه أخوه فانذره فاقبل اليه فقال له بهاء الدولة وقد رأى فى وجهه وجوما وتغيراً : فى أي شيء أنت ؟ قال : يامولانا ذكر أخي ان جماعة من الغلمان الشرفية (٢٣٢) اجتازوا على دارى ورآهم نحرير من الغرفة فصاح اليهم وقال لهم « أنا نحرير فاهجموا على الدار واستخلصونى » فخاف الموكلون به ان يؤخذ من أيديهم فقتلوه . فقال : ويلك ما تقول . قال : ما يسمعه مولانا . فورد على بهاء الدولة من ذلك ما أزعجه وعرف بعد ذلك ان ما حكاه الحسين الفراش باطل وانه هو الذي أمر الموكلين بقتله فاسرّها فى نفسه ولم يبدها له

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبى نصر ابن كعب في قتله ﴾

كان أبو الحسن الكوكبي نقله الى داره وأخذ منه مالا فلما قُتل نحرير خاف ان يظهر ما وصل اليه منه . قال أبو نصر المعروف بالأستاذ الفاضل : كنت فى بعض الايام جالسا مع الكوكبي فوافاه بعض غلمان الخزانة وأسرّ اليه شيأ لم أسمعه وعاد فقال لى الكوكبي : أتدري ما نحن فيه . قلت : لا . قال : قد أسقِي ابن كعب السم دفعتين وما عمل فيه وسقي ثالثا وكان غاية فعله ان أظهر نفخا فى وجهه . فوجمتُ من قوله فلما كان في غد قال لى : أعندك خبر ابن كعب ؟ قلت : لا . قال : لم ينفع ذلك السم حتى (٢٣٣) أعنّاه بالسيف وهو يضحك

﴿ ذكر مقابلة عجيبة فيها عبرة وتذكرة ﴾

لما تجرّأ الفراش والكوكبي على ما تجرأا عليه عجّل الله الانتقام منهما جميعا . فاما الفراش فانه اعتُقل في دار نحرير وقتل بعد قليل وأما الكوكبي

فانه سُقِيَ السم عند قتله مرارا فلم يعمل فيه حتى خنق بحبل الستارة وحضر بعض الاتراك فوجاه بسكين كانت معه .

فانظر الى هذه المقابلة الوجيعة الشريفة كيل الصاع بالصاع

وكن كيف شئت * فكما تدين تدان

واذا كانت هذه حال الدنيا التي عود الله فيها للمقابلة امهالا فما ظنك في الآخرة التي جعل الله فيها لكل ذرّة مثقالا ؟ فتعساً للظالم ما أشقاه وتباً له ماأجهله وأعناه أتظن أنه ظلم غيره ؟ كلا انه ما ظلم الا نفسه أما تعلم ان الحاكم عدلٌ وان القضاء فصل فهلاّ أعد لموقف سؤاله جوابا فى اليوم الذي قال الله تعالى : يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقولُ الكافر « ياليتنى كنت ترابا »

وفى هذا الوقت جرت منافرة بين الديلم والاتراك أثارت من الصدور (٢٣٤) اضغانا ولقحت بينهم حربا عوانا . وتحصن الديلم بالدروب وعظمت القصة واستمر القتال أياما حتى برز بهاء الدولة الى معسكر الاتراك وخيّم عندهم لانهم كانوا أخشن فى القوة جانباً وألين في الطاعة عريكة . فتلافي الامر وراسل الديلم ورفق بالاتراك حتى ألقت الحرب أوزارها ووقع الصلح وعاد الاتراك الى البلد وتواهبوا وتصافحوا وحلفت كل طائفة للاخرى . وقويت شوكة الاتراك وعلت كلمتهم وضعف أمر الديلم بعد هذه الوقعة وتفرّق جمعهم وتسللوا فى كل طريق ومضى فريق بعد فريق

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي على بعد انحداره ﴾

انحدر الامير أبو على ومن في صحبته على ما تقدم ذكره فلما حصلوا بواسط استعجمت عليه أخبار شرف الدولة وانقطعت النوبة المترددة بالكتب ساءت الظنون ثم ورد عليهم ما دل على اليأس منه فسار الامير أبو على

والاتراك على الظهر وانحدرت الخزائن والحُرم والاثقال الى البصرة ووقع الاجتماع بتطارا . ووردت الكتب بوفاة شرف الدولة وانحدر (٢٣٥) أبو شجاع بكران بن أبي الفوارس والحاجب أبو على ابن أبي الريان ليرد الجماعة فأشير على الامير أبي على بالتعجيل الى ارجان فحمل وصحبه خواص الحرم في عمّاريات واستصحب ما خف محمله وعول على طاهر بن زيد صاحب عبادان في توجيه بقية الحشم والاثقال التي معهم في البحر الى ارجان فقدّم بتنفيذ شيء منها . ووصل بكران وابن أبي الريان فاستوقفا كل من كان تأخر مع بقية الاثقال وقالا لهم : انما وردنا لتطييب قلوبكم . [ثم] ورد الامير أبو على الى حضرة بهاء الدولة عمه ليقضي فيه حق شرف الدولة عليه وأعاد الجماعة من عبادان الى البصرة .

ثم شغب الديلم بالبصرة وطلبوا رسم البيعة ولم يكن للمال وجه فاخذ بكران على سبيل القرض من تلك الثياب والصياغات شيأ كثيرا وصرفه اليهم ثم وقع اليأس من عود الامير أبي على فتسلم البقية . وحصل الامير أبو على بالرجال وكان أبو القاسم الرضيع بها على ما رتبه شرف الدولة من النيابة عنه وحصل معهما عدد الاتراك وفيهم مثل خمارتكين الحمصي (١) وأبو الغارات والبكي ومن يجري مجراهم وكانوا جمهور العسكر فعملوا على المسير الى فارس

﴿ ذكر رأي رآه أبو القاسم (٢٣٦) العلاء بن الحسن ﴾

﴿ بالبادرة وندم عليه بعد الرويّة ﴾

لما انتهى اليه تميز القوم خاف ان يستقيم الدولة للامير أبي على ولا

(١) وفي الاصل « بن الحمصي » والصواب فيما بعد

يكون له فيها قدم فاستعجل بمكاتبة الامير أبى على وأبي القاسم الرضيع وعرفهما ما اعتمده من جمع كلمة الديلم علي الطاعة . وكان المرتّب فى القلعة التى فيها صمصام الدولة والامير أبو طاهر قد أطلقهما وكذلك المرتبة التي فيها فولاذ بن ماناذر أيضا وحصل الثلاثة . . . . . . [1] كلمة الديلم على تمليك صمصام الدولة وأبى طاهر ونادوا بشعارهما وقام فولاذ بتقرير ذلك. وندم أبو القاسم العلاء بن الحسن على مكاتبة الامير أبى على وعلم ان أبا القاسم الرضيع باستيلائه سيستعلى عليه ويستبد بالامر دونه فكاتب صمصام الدولة وأبا طاهر [و] فولاذ واستدعاهم ووعدهم ومنّاهم . وسار الامير أبو على حتى نزل على ثلاثة منازل من شيراز

﴿ ذكر ما دبره أبو القاسم العلاء بن الحسن في أمر ﴾
(الرضيع حتى قبض عليه [٢٣٧])

اختار ستين رجلا من وجوه الديلم ووافقهم على ان يلتقوا الامير أبا على ويخدموه ويعرّفوه عن الاولياء طاعتهم له ويطالبوه بالقبض على أبى القاسم الرضيع قبل الدخول الى البلد وترتيب من يقوم مقامه بعد الاستقرار فيه . وضمن العلاء بن الحسن لهؤلاء الوجوه اقطاعات الرضيع بفارس وكانت كثيرة فطمعوا فيها وبالغوا في خطابهم حتى أجيبوا الي القبض على الرضيع وحمل الي العلاء بن الحسن فانفذه الى القلعة . وتمم الامير أبو على والاتراك الى شيراز فخيّموا بظاهرها

---

(١) بياض في الاصل لعله سقط « واجتمعت »

﴿ ذكر حيلة رتبها العلاء بن الحسن أفسد بها الحال ﴾
(بين الديلم والاتراك حتى بلغ غرضه)

أحضر غلاما من الاتراك يعرف بانوشتكين وخدعه وقال له : هل فيك لاستخدامك في أمر يكون فيه رفع لقدرك وتقديم لمنزلتك ؟ قال : نعم . قال : تعرض للديلم فتقتل منهم رجلين أو ثلاثة على سبيل الغيلة وتهرب لأُظهرك من بعد وأوفى لك بما وعدتك به . فانخدع الغلام لجهله وخرج وصعد الى حائط بستان ورمى رجلين من الديلم جازا تحته بفردات (٢٣٨) أصابت مقاتلهما وثارت الفتنة بين الديلم والاتراك ثم وقع الشروع فى اصلاح مابين الفريقين وتم على دخل . وعدل العلاء بن الحسن الى مراسلة الامير أبى على ووالدته ويحذرهما من الديلم وبوادرهم لما ظهر من ميلهم الى صمصام الدولة وأبى طاهر فخرج الامير أبو على من دار الامارة مستخفيا بالليل الى مخيّم الاتراك وتبعته والدته . وأصبح الديلم قد اجمعوا رأيهم على الابتداء بالامير أبي على والاحتياط عليه فوجدوهم قد برزوا الى المعسكر فكشفوا القناع ونابذوا الاتراك وجرت بينهم مناوشات فى عدة أيام . ثم ارتحل الاتراك بالامير أبي على وساروا الى فسا فوجدوا بها أبا الفضل ابن أبي مكتوم عاملا وتحت يده مال معدّ يريد حمله الى شيراز وعنده نحو أربعمائة من الديلم فراسلوه واستمالوه فمال اليهم واستوزره الامير أبو على وفرّق المال المجتمع عليهم وحاصروا الديلم المقيمين بها فى دار لجؤا اليها فلما فتحوها قتلوهم باسرهم وقوى أمر الاتراك بما حصل في أيديهم من أسلابهم. وعاد الامير أبو على مع علافهم الى ارّجان ومضى البكي ومعه جمرة العسكر الى باب شيراز وقد حصل فيها صمصام الدولة (٢٣٩) فاقاموا بظاهرها مدة يقاتلون

الديلم وينهبون السواد . ثم ضجروا من المقام فانصرفوا الى ارجان .

﴿ ذكر سوء تدبير ابن أبي مكتوم في عداوة ﴾
(البكي حتى هلك)

كان قد جرى بين [ابن] أبي مكتوم وبين البكي تنافر أصرّ البكي على عداوته فيه فلما قرب من البلد تلقاه الامير أبو على [و] ابن أبي مكتوم معه يسير على جانبه فحين وقف للقاء الواردين سبقوا اليه وخدموه والبكي بمعزل عنهم . ثم تقدم أحد الاتراك الى ابن أبي مكتوم فجذبه بكم دراعته وساعده الباقون على سحبه الى البكي فضرب عنقه . وسار البكي لوقته الى الامير أبي على وقد ماج الناس وتوارى أكثر الحواشي فحين بصر به قبّل الارض بين يديه واعتذر اليه وقال : ان عبيدك ما أقدموا على قتل هـذا الرجل الا لما عرفوه من سوء نيته فيك وفيهم واطلعوا عليه من مكاتبة صمصام الدولة وتسليمك وتسليمهم ونحن خدمك ومماليكك ورؤوسنا ونفوسنا دونك . فاجابه بما أظهر به الرضاء عنه .

ومضت مديدة ووافي أبو على (٢٤٠) الحسن بن محمد بن نصر رسولا من حضرة بهاء الدولة بالمواعيد الجميلة فكاثر الاتراك وكاثروه واستمالهم في السر حتى اتفقت كلمتهم على الانكفاء الى حضرة بهاء الدولة بواسط . فلما قرب منها تُلقي وأكرِم ووصل الى حضرة بهاء الدولة وهو في مجلس أنسٍ فقرّبه وأدناه وباسطه وسقاه ثم قبض عليه بعد أيام وحدر الى البصرة واعتقل بها . وسار بهاء الدولة الى فارس فلما عاد الى العراق استدعاه وتولّى أبو الحسن الكوكبي المعلم قتله خنقا بيده

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة فى خلاصه

(وعوده الى الملك بفارس بعد شرف الدولة) ﴾

قد تقدم ذكر خلاصه وخلاص أبي طاهر وحصولهما بسيراف فلما ارتحل الامير أبو على والاتراك من باب شيراز كتب أبو القاسم العلاء بن الحسن اليهما بما فعله من تمهيد الامور وأشار عليهما بتقديم السير فساروا ونزلوا بدولتاباذ ثم دخلا البلد . فاستولى الامير أبوطاهر على الامر بقوة نفسه وشدة باسه وتقلد فولاذ بن ماناذر أمور الديلم (٢٤١) ومايله العلاء بن الحسن فتماضدا وصارت كلمتهما واحدة . ثم مات الامير أبو طاهر وقيل انه سُمّ فغلب فولاذ على الامور واستبد بالتدبير وعرض من فساد الحال بينه وبين العلاء ما صار سببا لانفصاله عن فارس وحصوله بالري وسيرد ذلك في موضعه ان شاء الله .

وفي هذا الوقت ورد الخبر بمسير فخر الدولة من همذان طالبا أعمال خوزستان ومحدّثا نفسه بقصد العراق

﴿ ذكر السبب في حركة فخر الدولة لطلب العراق ﴾

كان الصاحب ابن عباد على قديم الايام وحديثها يحب بغداد والرياسة فيها ويراصد أوقات الفرصة لها فلما توفي شرف الدولة سمت نفسه لهذا المراد وظن ان الغرض قد أمكن . فوضع على فخر الدولة من يعظّم فى عينيه ممالك العراق ويسهل عليه فتحها وأحجم الصاحب عن تجريد رأي ومشورة بذلك نظرا للعاقبة وتبرّئا من العهدة الى ان قال له فخر الدولة : ما الذى عندك أيها الصاحب فيما نحن فيه . فقال : الامر لشاهانشاه وما يذكر (٢٤٢) من جلالة تلك الممالك مشهور لا خفاء به وسعادته غالبة فاذا همّ بامر خدمتُه فيه

وبلغته أقصى مراميه . فعزم حينئذ على قصد العراق وسار الى همذان ووافاه بدر بن حسنويه وأقام بها مدة يجيل الرأي ويقلبه ويدبر الامر ويرتبه حتى استقر العزم على ان يسير الصاحب وبدر بن حسنويه على طريق الجادة ويسير فخر الدولة وبقية العسكر على طريق الاهواز ورحل الصاحب مرحلة

﴿ ذكر رأى أشير به على فخر الدولة اقتضى ﴾
(رد الصاحب من الطريق)

قيل لفخر الدولة : من الغلط مفارقة الصاحب لك لانك لا تأمن ان يستميله أولاد عضد الدولة فيميل اليهم . فاستعاده وسارت الجماعة الى الاهواز وكان أبو منصور ابن عليكا والياً للحرب بالاهواز وأبو عبد الله ابن أسد ناظرا فى الخراج على ما رتبهما شرف الدولة فلما توفي شرف الدولة عمل أبو الحسن الكوكبي المعلم فى تغيير أمر أبي منصور ابن عليكا والقبض عليه . وندب لذلك أخا للحسين الفراش وانتهى (٢٤٣) الخبر الى أبى منصور من أصحابه بالحضرة فترك داره ورحله وأكثر كراعه ومضى مع بعض العرب قاصدا حضرة فخر الدولة ونهب الديلم بعد انصرافه رحله وكان شيأ كثيرا

﴿ ذكر رأي سديد لابى عبد الله ابن أسد استرجع به ﴾
(المأخوذ وحفظ فيه السياسة)

جمع قواد الديلم وقال لهم: ان هذا الرحل والكراع المأخوذ هو اليوم لبهاء الدولة واذا أخذ ونهب كان ذلك خروجا عن الطاعة فاما ان تردوا المأخوذ واما ان تخلوا عني لافارق موضعى وأنتم بشأنكم أبصر . فقالوا : انما فعل ذلك أصاغرنا الذين لا قدرة لنا على انتزاع ما فى أيديهم : فراجعهم وراجعوه حتى التزموا ردّ المنهوب وتحالفوا على استخلاصه ففعلوا ذلك

فاعادوه . ثم عدلوا الى المطالبة بمال البيعة فجمع أبو عبد الله صدرا من مال الارتفاع وقوّم بقية الرحل والكراع على القوم وأرضاهم به .

وشاع خبر مسير فخر الدولة فوقع بين الديلم والاتراك (٢٤٤) تنافر أدّى الى حرب بينهما أياما ثم سار الاتراك ومن مال الى بهاء الدولة من الاهواز على سمت العراق

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة عند حصوله ﴾

﴿ بالاهواز وما اعتمده من سوء التدبير ﴾

(والسياسة حتى عاد بالخيبة)

كان الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد سبق الى الاهواز وملكها ولحقه فخر الدولة بعد عشرين يوما وخيّم ببستان البريدى . وتشوّف الجند الى ما يكون من عطائه واحسانه فلم يكن منه في ذلك ما اقتضته الحال ولا بعض ما كانت عليه الآمال . وحضر المهرجان فقاد القواد الخوزستانية خيلا برسم خدمته على ما جرت به العادة في مثل هذا الفصل فردّها عليهم وسامهم ان يمكنوا المخيّرين من اختيار ما يرتضونه لمراكبه وأخذ من خيلهم جيادها فنفرت قلوبهم لذلك . ثم حظر على اقطاعاتهم ومنعهم التصرف في ارتفاعها وان لم يظاهرهم بحلها وارتجاعها ومدّ العمال في أثناء الحظر أيديهم في تناول موجودها فضاقوا صدورا وازدادوا نفورا

فاما وجوه الديلم الذين وصلوا مع فخر الدولة فان نياتهم ساءت أيضا (٢٤٥) لان اقطاع كل واحد منهم بالري وأعمال الجبل كان من عشرين الف درهم الى ثلاثين الف درهم ورأى كل واحد من قواد الديلم الخوزستانية

واقطاعه ما بين مائتي الف درهم الى ثلاثمائة الف درهم فكثر تحاسدهم وظهر تحاقدهم. وكان من عجيب الاتفاق (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) ان دجلة الاهواز زادت فى تلك الايام زيادة لم تجر بها العادة ودخل الماء الى الخيم فاخذ بعضها فرحل فخر الدولة وعسكره وعظم فى أعينهم مارأوه لانهم ألفوا المدود (١) وقال بعضهم لبعض : انما حملنا الصاحب الى هذه البلاد طلبا لهلاكنا . فاشمأزت قلوبهم وساءت ظنونهم وتقلقل الامر ولاح من كل وجه وهي أسبابه . واتصلت الاخبار الى بغداد بحصول فخر الدولة بالاهواز

﴿ ذكر ما دبره بهاء الدولة في تجهيز العسكر ﴾
(للقاء فخر الدولة)

لما عرف وصول فخر الدولة الى الاهواز انزعج انزعاجا شديداً وندب الحسين بن على الفراش للخروج في هذا الوجه والقيام بتدبير الحرب وقدمه وعظمه ولقبه « الصاحب » مغايظة لابن عباد وخلع عليه (٢٤٦) خلعا توفي على قدر من هو أوفى منه وأصحبه من المال والسلاح والآلات كل خطير كثير وجرد معه أبا جعفر الحجاج بن هرمز والفتكين الخادم ومعهما عسكر جرار . وسار بعد ان خرج بهاء الدولة لتوديعه فرتب نفسه في طريقه ترتيب الملوك في مجالسه ومواكبه وانخرق فى العطاء وأسرف في التدبير . وكان السبب في بلوغه هذه المرتبة مع عناية بهاء الدولة تجرد أبي الحسن الكوكبي المعلم لتشييد أمره لا عن صفاء له وانما قصد بمساعدته على ذلك ابعادهُ عن الحضرة والاستراحة منه فانه كان شديد الاستيلاء على بهاء الدولة . فلما حصل بواسط وبعد حكيت عنه حكايات وأقوال ووجد في تغير رأي بهاء الدولة

(١) الصواب : ما كانوا آلفوا كما سيأتي ص ١٦٩

متسع ومجال

﴿ذكر السبب في تغير رأى بهاء الدولة فى الحسين﴾
﴿الفراش وما جرى عليه الامر فى القبض﴾
﴿عليه ورده من الطريق الي بغداد﴾
(وقتله في دار نحرير (٢٤٧))

قال أبو نصر المعروف بالاستاذ الفاضل: لما أراد الحسين الفراش التوجه قال لى بهاء الدولة: أريد أن أشاهده اذا ركب فى موكبه وبرز الى مضاربه. فقلت: الامر لك. فخرج ووقف من باب الحطّابين ينظر الى الطريق فاجتاز للحسين عدّة غلمان أتراك بالسيوف والمناطق وتحتهم الخيل بالمراكب الجميلة فقال لى: يابا نصر هذه المراكب من الخزانة ؟ قلت: نعم لما بيعت ابتاعها وطرّاها. واجتازت بعد ذلك جنائبه بمراكب ذهب وغير ذهب وفيها بغلة عليها مركب كان يحبه بهاء الدولة فاخرج فيما بيع وحصل له فقال: يابا نصر هذا مركبي الفلانى ؟ قلت: نعم. ولم يزل يسأل عن شىء شىء ويقول: متى جمع هذا وحصّله! فلما مضى الحسين عاد بهاء الدولة الي مجلسه. ورأيت وجهه قد تغيّر ونشاطه قد فتر ودخل الحجرة فنام الى العصر ولم يطعم طعاما الى آخر النهار ثم راسله الحسين الفراش على لسانى يسأله الاذن فى ضرب طبول القصاع فامتنع عليه من ذلك وقال: هذا لا يجوز. وعُدت اليه بهذا الجواب فاشتطّ وقال: بمثل هذه المعاملة يُراد منى ان أدفع فخر الدولة وقد استولى على المملكة مما ذهب فيه مذهب الجهل ؟ واتفق ان أحمد الفراش كان حاضراً معي (٢٤٨) وسامعا لما يجرى وقمنا وسبقنى أحمد الفراش فحدّث بهاء الدولة بما جرى ثم جئت من بعد فسألني عما كان من الجواب

فقلت : قد كان أحمد الفراش حاضراً وتقدّمني الى حضرتك ولعله قد شرحهُ . فقال : أعِدهُ . فحسّنتُ ما أوردهُ فقال : ما كان هكذا . قلت : اذا كان مولانا قد عرف الامر على صحته فما الفائدة في تكرير اعادته ؟

ثم تتابعت الاخبار بما يفعله الحسين في طريقه من الافعال التى تجاوز الحدّ فوجد أبو الحسن الكوكبي سبيلا الى تقبيح آثاره وحكى عنه الحكايات التى أدت الى بواره . فقال له بهاء الدولة في بعض الايام وقد جاراه ذكره : انفذ من يقبض عليه . فانتهز أبو الحسن الكوكبي الفرصة وبادر بانفاذ أبي الفتح أخى أبى عبد الله محمد بن عليان وأبى الحسن على بن أبى على لذلك

﴿ ذكر اتفاق عجيب انكتم به الامر عن الحسين ﴾
(الفراش حتى قبض عليه)

ذكر الثلاثة المنحدرون انهم لما وصلوا الى مطارا والحسين بها ساء ظنه بورودهم فانفذ الى زبازبهم من فتشها وأخذ ما وجده من الكتب فيها (٢٤٩) فلحسن الاتفاق لهم وسوء الاتفاق عليه كانوا قد استظهروا بترك الملطّفات المكتوبة بالقبض عليه في سمارية كانت في صحبتهم الا انها مفردة من جملة ما يخصهم فلم يجدوا الا الكتب الظاهرة التى كانت اليه فانس وسكن . ثم اجتمعوا مع أبى جعفر والفتكين فاوصلوا اليهما الملطفات ووقفوهما على ما رسم فيها وصاروا الى الحسين واجتمعوا في خركاه له وحادثوه ساعة ونهضوا من عنده وأطبقوا عليه بابها ووكلوا به وبخزانته ثم حملوه مقيدا الى البصرة وسلموه الى بكران بن أبى الفوارس وأبي على ابن [أبي] الريان فحمل منها الى بغداد . وقد أوغر عليه صدر بهاء الدولة فحبس في دار تحرير وأمر

باخراج لسانه من قفاه فمات ورُمي من بعد الى دجلة . فكان بين استخدامه في الكنس والفرش وبين الخلع عليه مدة يسيرة وبين الخلع عليه وبين قتله مدة أيسر من الاولى

وان من صعد من الحضيض الاوهد الى محل الفرقد ولم يكن ليديه باسباب الخير تعلق ولا لقدميه في أبواب البر تطرق يوشك ان يهوى سريعا ويخرّ صريعا فتنبتّ حاله [1] وتنقطع أوصاله فتحول حاله الى الفساد وتحور نارُه الى الرماد فالنار في الحلفاء أعجل وقودا [250] وصعودا ولكنها أسرع خمودا وهموداً وهى فى جزل الغضا أبطأ عملا لكنها أبقى جمراً وأفسح مهلا . والمعوّل فى كل حال على العاقبة فعندها تبين الناجية من العاطبة

وعول بهاء الدولة بعد أخذ الحسين الفراش على أبي العلاء عبيد الله بن الفضل في هذا الوجه وأنجح فيه ما يأتى شرحه بأذن الله تعالى

﴿ ذكر ما رتبه فخر الدولة في تجهيز الجيش الى الأهواز ﴾

لما عرف فخر الدولة دنوّ عسكر بهاء الدولة من أعمال خوزستان جرّد العساكر للقائهم فسار ابن الحسن خاله وشهفيروز بن الحسن وغيرهما فى ثلاثة آلاف من الديلم وبدر بن حسنويه في أربعة آلاف من الاكراد ودبيس بن عفيف الاسدي وكان قد انحاز اليه فى عدة كثيرة من العرب فلما تلاقى العسكران أجلت الحرب عن هزيمة أصحاب فخر الدولة

﴿ ذكر اتفاقات كانت سببا لهزيمة عسكر فخر الدولة [251] ﴾

لم يكن في التقدير وظن النفس ورأى العين ان يثبت لهم عسكر بهاء الدولة لو لا النصر فانه من عند الله . فاتفق ان المعركة كانت بقرب انهار

---

(١) لعله : حباله

وجاءت زيادة مد أخذ الصحارى وظن عسكر فخر الدولة انها مكيدة عملت بفتح بثق عليهم يغرقون فيه ولم يكن لهم علم بحال المدود ولا هى عندهم من المألوف والمعهود فولوا أدبارهم ونكصوا على أعقابهم الى الاهواز واستأسر أناس من أكابرهم واستأمن كثير من أصاغرهم . وقيل ان بدر ابن حسنويه وقف بنجوة من الارض واعتزل الحرب وان دُبيس بن عفيف انصرف قبل اللقاء . وربما كان سبب هذا الفعل من الصاحب ما اعتمده فخر الدولة معه من الارتياب به ورده حين سار من همذان على جادة العراق خوفا من ميله الى أولاد عضد الدولة ومثل ذلك ما أثر في القلوب وأقام البريء مقام المريب ثم ما استمر من مخالفته اياه فى آرائه

فلما عاد الفل الى الاهواز قلق فخر الدولة وتقلقل رأيه وتململ .

﴿ ذكر رأى سديد رآه الصاحب لم يساعده ﴾
﴿ عليه فخر الدولة (٣٥٢) ﴾

قال له : أمثال هذه الامور تحتاج الى توسع في العطاء وضايقت الناس مضايقة وأضعفت فينا آمالهم وقطعت منا حبالهم فان استدركت الامر باطلاق المال واستمالة الرجال ضمنت لك رد أضعاف ما تطلقه بعد سنة من ارتفاع هذه البلاد . فلم يكن منه اهتزاز لهذا القول وكان قصارى ما فعل تلافى القواد الاهوازية بازالة الحظر عن اقطاعاتهم فلم يقع هذا الفعل موقعا منهم مع ذهاب ارتفاعها في تلك السنة . ولم تسمح نفس فخر الدولة بعطاء للشح (١) الغالب عليه وأخذ الناس في التسلل لاحقين باصحاب بهاء الدولة حتى كان النقباء يطوفون في صبيحة كل يوم على الخيم فيجدون كثيرا منها

(١) وفى الاصل : للشيخ

قد خلا من أصحابها . واتسع الخرق على الراقع وأعضل الداء على الطبيب

كما ان الاديم اذا تفرّى * بلي وتعفنا غلب الصباحا [1]

فضاق فخر الدولة ذرعا بالمقام مع انتشار الحبل في يديه وتفرّق الناس عنه وانصرف عائدا الى الري وقبض في طريقه على جماعة من القواد الرازية وقتلهم . ووافي أبو العلاء عبيد الله بن الفضل فدخل الاهواز وملك الاعمال.

(٢٥٣) وأما أبو عبد الله بن أسد فان الديلم قبضوا عليه قبل وصول الصاحب الى الاهواز وتوفى فى الاعتقال من علة عرضت له ومرض للصاحب بالاهواز مرضا أشفى منه ثم أقيل فتصدق بجميع ما كان فى داره من المال والثياب والاثاث ثم استأنف عوض كل شيء من بعد

﴿ ذكر ما حفظ على الصاحب فى مقامه بالاهواز ﴾

قيل ان قوما تظلموا اليه من حيف لحقهم فوقّع على ظهر قصتهم: يظلمون شهرا وينصفون دهرا . وهذا توقيع طريف فهل يجوز الغفول عن الظلم ساعة فكيف شهرا وما يدريه لعل الله يُحدث قبل الشهر أمرا .

وقيل انه رسم لكتاب البلد عمل حساب بارتفاع كل كورة فعملوه وحملوه اليه . فامر بجمع العمال والمتصرفين وان يخرج ارتفاع كل ناحية ويعرض عليهم ويزايد بينهم فكان ينادى على النواحي بين العمال كما ينادى على الامتعة بين التجار . وهذا الحديث مستطرف في حكم النظر

وقيل انه غير مستنكر عند كتّاب الري وتلك البلاد لان معاملاتهم جارية على عقود وقوانين . فاما العراق وما والاها فلم نسمع بمثل ذلك فيها (٢٥٤) الا ما كان من قديم الناس من المزايدة بين التجار في غلات السلطان.

---

(١) لعله الدباغا : والمثل المشهور كدابغة وقد حلم الاديم

﴿ ذكر خبر مستحسن في ذلك ﴾

قيل ان أحد الوزراء وأظنه علي بن عيسى والله أعلم جمع التجار الى مجلس نظره في بعض السنين ليبيع الغلات عليهم فتقاعدوا بالاسعار على اتفاق بينهم فبرز أحدهم فزاد زيادة توقف عنها الباقون ظنا منهم انه لن يقنع بذمة رجل واحد دون الجماعة لانه مال عظيم فامضى الوزير البيع له . فلما خافوا فوت الامر زادوه عشرة آلاف دينار فقال الوزير : قد نفذ السهم وسبق القول والغلات للرجل والثمن لنا وله الاختيار فى قبول الزيادة منكم أو ردها عليكم فهى له خالصة دوننا . فسألوا الرجل قبول الزيادة أو المشاركة فقبل الزيادة وولاهم البيع وبرئت ذمته من الثمن وعاد الى منزلته بعشرة آلاف دينار

فما أحسن هذا الفعل الكريم والمذهب المستقيم وكم في اثناء الوفاء بالعقود والثبات على الشروط والصدق فى الوعود من مصلحة خالصة وسياسة شاملة ! وان لاح فى أولاها بعض الغرم ففي عواقبها كل النعم واذا لم يوثق باقوال الصدور فعلام (٢٥٥) تُبنى قواعد الامور ؟ والسياسة بنيان والصدق قاعدة والبنيان يشد بعضه ببعض فاذا اضطربت القاعدة آل البنيان الى النقض . ونعود الى سياقة التاريخ

وفي هذه السنة أفرج عن أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وعاد الى بغداد ناجيا من الهلاك بعد ان كان أشرف عليه

﴿ ذكر أناة اعتمدها العلاء بن الحسن فى بابه ﴾
(أدت الى خلاصه)

كان قد حصل في القلعة معتقلا على ما تقدم ذكره والعلاء بن الحسن يراعيه مراعاة مستورة . فورد عليه في آخر أيام شرف الدولة [من] يأمره

بقتله فانزعج لهذه الحال لما كان بينهما من حرمة الاتصال وثبت في إمضاء ما ورد . وتجدد من وفاة شرف الدولة ما تجدّد فانفذ في تلك الفترة من أخرجه من الحبس وأشار عليه بقصد العراق فسار الى البصرة واستأذن في الاصعاد فاذن له

وفيها قُبِض على أبى الحسن محمد بن عمر العلوى وعلى كاتبه أبى الحسن على بن الحسن

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك[٢٥٦] ﴾

كانت حال أبي الحسن محمد بن عمر قد تضاعفت في أيام شرف الدولة وقد تضاعف ارتفاع أملاكه حتى ان أبا الحسن على بن طاهر لما خرج الى نواحي سقى الفرات لتأمل أحوالها في أيام شرف الدولة عمل في عرض ما راعاه عملا بارتفاع ضياعه اشتمل على عشرين الف الف درهم . وعرف الشريف أبو الحسن ذلك فضاق صدره وساءَ ظنه

﴿ ذكر رأى سديد رآه ابن عمر في تلك الحال ﴾

(استمال به قلب شرف الدولة)

استدعى على بن الحسين الفراش الملقب بالخطير فلما أحضر عنده قال له: احمل عني رسالة الى الملك وقل له : يامولانا ما لاحد عليّ نعمة كنعمتك ولا منّة كمنّتك أطلقتني من حبسى ومننت عليّ بنفسى ورددت أموالي وضياعى اليّ وزدت فى الاحسان اليّ . وبلغني ان ابن طاهر عمل بضياعى عملا بعشرين الف [الف] درهم وهذه الضياع هي لك ومنك وقد أحببت أن أجعل نصفها للامير أبي على هدىً ونحلة طيّبة عن طيب نفس وانشراح صدر . فاعاد[1] على بن الحسين الفراش الرسالة على شرف الدولة

(١) لعله : فعرض

﴿ ذكر جواب لشرف الدولة عن (٢٥٧) رسالة أبي عمر ﴾
(تدل على شرف نفس وعلو همة)

قال شرف الدولة في الجواب : قل له : قد سمعت رسالتك وكل جميل اعتددت به فاعتقادى يوجب لك أوفى منه والله لو ان ارتفاعك أضعاف ما ذكرته لكان قليلا لك عندى . وقد وفّر الله عليك مالك وأملاكك وأغنى أبا علي عن مداخلتك في ضياعك فكن في السكون والطمأنينة على جملتك

فانظر الى هذه الهمة ما أشرفها وأعلاها وانصت الى هذه الاحدوثة ما أطيبها وأحلاها وتلك مواهب من الله يخص بها من يشاء من عباده والمرء يصيب بحسن التوفيق لا بحوله واجتهاده

فلما توفى شرف الدولة وانتقل الملك الى بهاء الدولة استولى أبو الحسن المعلم على الامور وامتدت عينه الى حاله وأشار على بهاء الدولة بأخذ نعمته وقبض أملاكه فقبض عليه وعلى وكلائه وكتّابه وبقى فى الاعتقال الذى يرد ذكره فيما بعد

وفي هذه السنة خرج أمر بهاء الدولة باسقاط ما يؤخذ من المراعى من سائر السواد

وفيها عاد أبو نصر خواشاذه من الموصل بعد اصعاد ابني حمدان اليها

﴿ ذكر خروج ابنى حمدان من (٢٥٨) بغداد وذكر ماجرى ﴾
(عليه أمرهما في حرب أبي نصر خواشاذه)

لما توفى شرف الدولة شرع أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا حمدان فى الخروج الي الموصل واستأذنا في ذلك فوجدا رخصة انتهزا

بها الفرصة فاصعدا باهلهما أجمعين وعلم من بالحضرة وقوع الغلط في إصعادهما فكوتب أبو نصر خواشاذه بدفعهما وردّهما . فلمّا وصلا الى الحديثة راسلهما أبو نصر بالرجوع من حيث جاءا فهمّا ان خالفاه ودخلا البلد قبض عليهما فاجاباه جوابا جميلا ببذل الطاعة وقبول ما يُؤمران به وعاد الرسول وسار [١] على أثره حتى نزلا بالدير الاعلى . وثار أهل الموصل على الديلم والاتراك فنهبوا أرحالهم وأخذوا أموالهم وخرجوا الى ابني حمدان وأظهروا المباينة والعصيان . فانفذ أبو نصر من كان معه من العسكر لقتالهم فقامت الحرب بينهم الى العصر ثم انهزم أصحاب السلطان وهلك منهم عدد كثير قتلا وغرقا ولحق الباقون بابي نصر فاعتصموا بدار الامارة التي هو نازل فيها وتبعهم ابنا حمدان والعامة فغُلقت الابواب دونهم واستوعب القتال بقية النهار ثم حجز الليل بينهم وعاد ابنا حمدان الى مخيمهما

﴿ ذكر رأي سديد رآه ابنا حمدان [٢٥٩] فاحسنا ﴾

(فيه الظن علما للعاقبة)

لما جرى ما جرى [و] علما ان العامة لا تقنع الا بقتل الديلم وان السلطان لا يغمض على مثل هذه الجناية خافا عواقب الامر وراسلا أبا نصر في ليلتهما وقالا له : نحن خدم السلطان وقد جرت الاقدار بغير الاختيار ولا قدرة لنا الآن على ضبط العامة لما في نفوسهم من الديلم وهم في غد يحرقون الدار ويسفكون الدماء فاما ان تصير الينا واما ان تعلم انك مُهلك نفسك . فعرف أبو نصر خواشاذه انهما قد نصحاه وخرج اليهما ليلا فاكرماه ثم عدلا الى تدبير أمر العامة فاحضرا شيوخهم ووجوههم وقالا لهم : ان

كنتم توثرون مقامنا بين ظهرانيكم فولونا أموركم ولا تشفوا بقتل أصحاب السلطان صدوركم فانه شفاء يعقب داء عضالا ولا تجدون من السلطان في ذلك اغضاء واجمالا . والذي نراه ان تكفوا احداثكم عن القتل وانصراف هؤلاء القوم عنكم صرفا جميلا ويتلطف السلطان اقدامنا عندكم . فاجابوه بالسمع والطاعة وبذل المكنة والاستطاعة وبكر العوام الى الدار فلم يزل ابنا حمدان والمشيخة بهم رفقا ولطفا حتى استقر الامر بعد هناة على ان يهبوا الدم وينهبوا الاموال وان يصعد الجند الى (٢٦٠) السطوح ويقف على الدرج من الشيوخ من يمنع العامة من الصعود . ودخلوا الدار وخرجوا بنهب الموجود ثم غلقت الابواب وصار جند السلطان محبوسين أياما الى ان انحدروا بأسوأ حال فى الزواريق الى بغداد وأفرج عن أبى نصر وأحسن اليه وعاد الى الحضرة.

وتشاغل ابنا حمدان بالنظر في أمورهما وانثال عليهما من بنى عقيل العدد ولم يكن لهما من الجند الا العامة وثلاثون الف من الحمدانية

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها كانت الوقعة بين باد وبين أبى طاهر [1] وأبي عبد الله ابنى ناصر الدولة بن حمدان وبين بنى عقيل بظاهر الموصل

﴿ ذكر ما جرى عليه الحال فى هذه الوقعة ﴾

(من قتل باد وهزيمة أصحابه)

لما حصل أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا ناصر الدولة بظاهر الموصل استضعفهما باد وطمع في قصدهما وأخذ البلد منهما . وعلم ان لا جند لهما سوى العامة فكاتب أهل الموصل واستمالهم فاجابه بعضهم وسار في ستة آلاف

---

(١) وفي الاصل : أبي نصر

رجل من أصناف الاكراد ونزل في الجانب الشرقي . نخافه (٢٦١) ابنا حمدان وعلما ان لا طاقة لهما به فلجأا الي بنى عقيل وراسلا أبا الدواد محمد بن المسيب وسألاه النصرة وبذلا له النزول على حكمه فالتمس منهما الجزيرة ونصيبين وبلد وعدّة مواضع فأجاباه الى ملتمسه . فلما استقرت بينهم هذه القاعدة سار اليه أبو عبد الله ابن حمدان ووافى به في الفى فارس الي بلد وهي في أعلا الموصل فى الجانب الغربى وعبرا دجلة وحصلا مع باد على أرض واحدة وباد عنهما غافل وبحرب أبي طاهر وأهل الموصل متشاغل . فجاءته طليعة من طلائعه تخبر بعبورهما نخاف ان يعبر اليه من بازائه ويكبسه أبو عبد الله وبنو عقيل من ورائه فتقدم الى أصحابه بالانتقال واللوذ بأكناف الجبال واضطربوا واختلطوا مابين سابق مستعجل ولاحق مرتحل وثابت فى المعركة مستقبل.

﴿ ذكر اتفاق عجيب آل الى هلاك باد بعد انقضاء مدته ﴾

بينما الحال على ماذكر من اختلاط أصحاب باد اذ قتل عبد الله حاجبه المعروف بعروس الخيل ففُجع به وانزعج لفقده وأراد الانتقال من فرس (٢٦٢) الى فرس فحوّل رجله من ركاب الى ركاب ووثب فسقط الى الارض بثقل بدنه فاندقت ترقوته والحرب قائمة بين الفريقين حتى عرف أبو (١) على الحسن بن مروان ابن أخته خبره فصاروا اليه فقالوا له : احمل نفسك كي تلحق الخيل . فقال لهم : لا حراك بي فخذوا لنفوسكم . فانصرفوا في خمسمائة فارس طالبين الجبل عرضا حتى خلصوا اليه من السهل . وجدّل بنو عقيل منهم فرسانا وسلم بنو مروان وأكثر من معهم وساروا في لحف الجبل الى ديار بكر . وحصل باد في جملة القتلى وبه رمق فعرفه أحد بنى عقيل فأخذ

---

(١) وفي الاصل : أبا

رأسه فحمله الى ابني حمدان وأخذ عليه منهما جائزة سنية ودل على جثته فحُمل الى الموصل وقطعت يده ورجله وحُملت الى بغداد وصُلب شِلوُه على باب دار الامارة بالموصل . فثار العامة وقالوا : هذا رجل غاز فلا تحل المثلة به . فحط وكُفن وصلّي عليه ودفن . وظهر من محبة العامة له بعد هلاكه ما كان طريفاً بل لا يستطرف من الغوغاء تناقض الاهواء ولا يستنكر للرعاع اختلاف الطباع وهم أجرأ الخلق اذا طمعوا وأخبثهم اذا قُمعوا

ومضي أبو علي ابن مروان من فوره الى قلعة كيفا وهي قلعة علي دجلة حصينة جداً وبها زوجة باد الديلمية (٢٦٣)

﴿ ذكر حيلة لابن مروان ملك بها القلعة ﴾

لما وصل الى باب القلعة قال لزوجة باد : قد أنفذني خالي اليك في مهمات . فظنته حقا فلما صعد وحصل عندها أعلمها بهلاكه ثم تزوج بها ورتب أصحابه فيها ونزل فقصد حصناً حصناً حتى رتب أمر جميع الحصون وأقام ثقاته فيها وصار الى ميافارقين . ونهض أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان الى ديار بكر طمعا في فتح القلاع وحملا معهما رأس باد فوجدا الامر ممتنعا وقد أحكم ابن مروان بناه وحمى حماه فعدلا الى قتاله ووقعت بينهما وقعة كان الظفر فيها لابن مروان وحصل أبو عبد الله ابن حمدان أسيرا في يده .

﴿ ذكر جميل لابن مروان الى أبي عبد الله عند أسره ﴾
(لم يشكر عليه فساءت عاقبة أمره)

لما أسر ابن مروان أبا عبد الله أحسن اليه وأكرمه وأفرج عنه فصار الى أخيه أبي طاهر وقد نزل على آمد فاشار عليه بمصالحة ابن مروان (٢٦٤) وموادعته والانكفاء عن ديار بكر فأبى أبو طاهر الا معاودة حربه مع جمع

كثير من بنى عقيل ونمير واضطر أبو عبد الله الى مساعدته كما ينصر الاخ أخاه ظالما ومظلوما . وسارا الى ابن مروان فواقعاه وكان النصر له قهرهما وأسر أبو عبد الله أسراً ثانيا فاساء اليه وضيّق عليه. واعتقله زمانا طويلا الى ان كاتبه صاحب مصر فى بابه فاطلقه بشفاعته وخطابه ومضى الى مصر وتقلد منها ولاية حلب (١) وأقام بتلك الديار حتى توفى وله بها عقب

وأما أبو طاهر فانه انهزم ودخل نصيبين وقصده أبو الدواد محمد بن المسيّب فاسره وعليّا ابنه والرغفير أمير بني نمير فقتلهم صبراً . وملك محمد بن المسيب الموصل وأعمالها وكاتب السلطان وسأل انفاذ من يقيم عنده من الحضرة فاخرج المظفر أبو الحسن عبد الله بن محمد بن حمدويه وذلك عند غيبة بهاء الدولة عن بغداد ومقام أبى نصر خواشاذه بها فى النيابة عنه . فلم تدخل يد المظفر الا فى أبواب المال وفيما كان له ولابى نصر خواشاذه من الاموال والاقطاع في النواحى فاستولى بنو عقيل على سوى ذلك

وفى هذه السنة قبض على أبى الفرج محمد بن أحمد بن الرُطي صاحب المعونة ببغداد (٢٦٥)

﴿ ذكر ما جرى عليه أمره فى القبض عليه الى ان قتل ﴾

كان هذا الرجل قد تجاوز حد الناظرين فى المعونة وأسرف فى الاساءة الى الناس حتى وترهم وبالغ في أيام صمصام الدولة بعد فتنة اسفار في منع أسباب أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف وتطلّب حُرمه واستيصال أمواله ونعمه وأغرق فى الفعل القبيح معهم ومع غيرهم . وكثرت الطوائل لديه

(١) وفى تاريخ ابن القلانسي ص ٥١ انه في سنة ٣٨٧ ولى صور من قبل الحاكم صاحب مصر

واجتمعت الكلمة عليه وأطمع بهاء الدولة وأبو الحسن الكوكبي المعلم فى ماله وكثر عندهما مبلغ حاله فقبض عليه واعتقل فى الخزانة وكرّر الضرب عليه أياما . ووقع الشروع فى تقرير أمره فاجتمع أبو القاسم عبد العزيز وأبو محمد ابن مكرم على نصب الحبائل لهلاكه ووضعا أبا القاسم الشيرازى على ان يضمنه بمال كثير

﴿ ذكر مكيدة تمت لعبد العزيز بن يوسف فى أمر ﴾
(الزُطى حتى هلك (٢٦٦))

قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالاستاذ الفاضل : ان أبا القاسم عبد العزيز هو الذى سعى واجتهد فى أمر ابن الزطى وذكره عند المعلم بكل ما خوّفه منه وقال : نحن بصدد حرب والمسير للقاء عدو والحوادث لا تؤمن ومتى استبقيت هذا الرجل لم نأمنه جميعا على من نخلفه وراءنا من حرمنا وأولادنا وفى الراحة منه قُربة الى الله تعالى وأمن فى العاقبة . قال المعلم : ان الملك قد أطمع فى مال كثير من جهته . فقال عبد العزيز : لعمرى انه ذو مال ولكنه لا يذعن به طوعا ولا يعطيه عفوا وهذا أبو القاسم الشيرازى يبذل فيه الف الف وخمسمائة ألف درهم ويقول ان المال لا يصح وهو حيٌّ تخافه أصحاب الودائع . وحضر الشيرازي وبذل مثل ذلك بلسانه .

قال الاستاذ الفاضل : فقلت له : هل أنت على ثقة مما بذلته ؟ فقال لى سراً : على الاجتهاد فان بلغتُ المراد والا حملتُ الى زوجة هذا (وأشار الى المعلم) عشرة آلاف درهم وقد خلصتنى من يده . وضحك وضحكت.

ولم يزل عبد العزيز بالمعلم حتى تقرر الامر على قتله واستؤذن بهاء الدولة

وتحقق عنده المال المبذول عنه فأذن فى ذلك وعُبر بالرجل الى الجانب الغربى وحمل رأسه الى المعلم فانفذه الى محمد بن مكرم فوضعه فى غد فى دهليزه ليشاهده الناس .

وهذه حكاية عجيبة (٢٦٧) وليس العجب من قتل ابن الزطى فانه كان من الاشرار وما آل اليه الاشرار من البوار وانما العجب من استيلاء المعلم على بهاء الدولة واستيلاء المرأة على المعلم حتى يلعبا بالرجال ويتحكما بالدماء والاموال وان أمثال هذه الاحوال لتكسو الدول من العار برودا وتنظم لها من المساوى عقوداً . فاذا أحب الله صلاح دولة طهّرها من مثل هذه الادناس وقيّض لتدبيرها أخيار الناس فتكون ما بقيت منصورة مؤيدة ثم تبقى محاسنها فى الصحف محفوظة مؤبّدة .

وعوّل بعد قتل ابن الزطي على أبى محمد الحسن بن مكرم الحاجب وخلع عليه فابان فيها أثراً جميلا وأخذ العيارين والدُّعّار أخذا شديدا بعد ان كان قد استشرى أهل الفساد . فقامت الهيبة واستقامت الامور على السداد وأمن البلد وهرب كل ذى ريبة . ثم استعفى منها وخرج فى الصحبة الى واسط

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان رأى أبى الحسن المعلم فاسداً فى الوزير أبى منصور وانما أقرّه على الوزارة تأنيسا لابى القاسم العلاء بن الحسن وتقريرا الحيلة تتم عليه . فلما فعل بفارس ما فعله ووقع اليأس من خداعه بعد كشف قناعه قدّم على (١) القبض (٢٦٨) على الوزير أبى منصور ما كان أخّر وعول على أبي نصر (٢) سابور بن أردشير في النظر وخلعت عليه خلع الوزارة ونُقل الوزير أبو منصور الى الخزانة

(١) لعله : من (٢) في الاصل : منصور

ونزل أبو نصر سابور داره ،

وعلى ذا مضى الناس ! منصور ومخذول ومولّي ومعزول ومختار ومردود ومشتهى ومملول وأعمال السلطان عواري لا بد من استرجاعها وملابس لا بد من انتزاعها . والسعيد من حسنت من تلك العواري حاله وكرمت في خلال تلك الملابس خلالهُ فاذا ارتجعت منه بقي له من المجد حظ موفر واذا انتزعت منه صفا عليه من الحمد بُرد محبّر نختمت بالصالحات أعماله وذكرت بعده بالخيرات أفعاله .

وفيها سار بهاء الدولة متوجها الى شيراز بعد استنباب أبي نصر خواشاذه في خلافته ببغداد وخلع عليه وطرح له دستا كاملا في دار المملكة الاولى وثلاث مخاد في الدار الداخلة وما رؤى أحد من الوزراء والاكابر جلس في هذه الدار على مثل ذلك وكتب له عهد ذُكر فيه « بشيخنا » وهو أول من خوطب بهذا الاسم من الحواشي . وعوّل على أبي عبد الله ابن طاهر في النيابة عن الوزير أبي نصر سابور ببغداد فلم يستقم ما بينه وبين أبي نصر (٢٦٩) خواشاذه واستمر الفساد بينهما الى ان عاد بهاء الدولة فقبض عليهما على ما يأتي ذكره في موضعه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر بهاء الدولة في هذه السفرة ﴾

انحدر ومعه أبو الحسن المعلم والوزير أبو نصر سابور والامر لابي الحسن في الكبير والصغير وهو الغالب على الرأي في التدبير . وأقام بواسط أياما وسار ونزل بمعسكر أبي جعفر ابن الحجاج ودخل البصرة فشاهدها وعاد الى مخيمه . وورد عليه خبر وفاة أبي طاهر أخيه فجلس لعزائه ثم توجه الى الاهواز وسيّر أبا العلاء عبيد الله بن الفضل على مقدمته ومعه

جمهور عسكره فصار الى ارجان ودخلها وفتح القلعة بالجند وملكها وكان فيها من أصناف الاموال شيء كثير . فلما وصل الخبر الى بهاء الدولة سار الى ارجان ونزلها وأمر بحط جميع ما كان فى القلعة من المال وغيره وتسليمه الى الخزّان وكان من العين الف (١) الف دينار ومن الورق ثمانية آلاف الف الف درهم ومن الجوهر والثياب والآلات والاسلحة ما يذّخر الملوك مثله (٢٧٠)

﴿ ذكر ماجرى في أمر هذا المال حتى تفرق أكثره ﴾

لما حصل المال فى الخزائن أحب بهاء الدولة تنضيده باجناسه في مجلس الشرب فنضّد جميعه على أحسن تنضيد ووكل الحفظة والخزان به فى موضعه أياما فكان منظرا أنيقاً الا انه شاع من ذلك ماصار الى التفرقة طريقا . فعند ذلك شغب الاتراك والديلم شغبا متتابعا فاطلقت تلك الاموال حتى لم يبق منها بعد مديدة غير أربعمائة الف دينار وأربعمائة الف (١) الف درهم حملت الى الاهواز . وتوجه أبو العلاء ابن الفضل من ارجان الى النوبندجان وهزم من كان بها من عساكر صمصام الدولة وأثبت أصحابه فى نواحى فارس . وبرز أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شيراز وسار على مقدمة صمصام الدولة وواقع أبا العلاء بخواباذان فهزمه

﴿ ذكر هذه الوقعة والمكيدة التى كانت سببا
(لهزيمة عسكر بهاء الدولة) ﴾

لما حصل أبو العلاء والاتراك بازاء فولاذ والديلم في وادى خواباذان وقنطرة (٢٧١) حجاز بين الفريقين تطرّق قوم من الغلمان الى جمال الديلم

(١) لعله زائد

فساقوها وعادوا بها الى معسكرهم ورآهم بقية الغلمان الاتراك فطمعوا فى مثل ذلك وركب من الغد منهم سبعون غلاما من الوجوه وعبروا القنطرة . وكان الديلم قد أرسلوا جمالا مهملة لا حماة معها على سبيل المكر والخديعة فاستاقهم الغلمان وكرّوا راجعين . ووقعت الصيحة فركب في أثرهم فرسان من الديلم والاكراد كانوا معدّين ووصل الغلمان الى القنطرة فوجدوا من دونها خمسمائة رجل من الديلم كان فولاذ قد رتبهم وراء جبل بالقرب فلما عبر الغلمان باموالهم رأوهم على القنطرة بالرصد فلم يكن للغلمان سبيل الى العبور ولحقهم الفرسان فاوقعوا بهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم وأخذوا رؤوس أكابرهم فانفذوها الى شيراز وكان ذلك وهنا عظيما وثلما كبيرا فى عسكر بهاء الدولة . وراسل فولاذ أبا العلاء فاطمعه وخدعه ثم سار اليه وكبسه فانهزم من بين يديه وعاد الى ارجان مفلولا . ولما وصل الخبر بذلك الى صمصام الدولة سار من شيراز .

وغلت الاسعار بارجان ونواحيها وضاقت الميرة والعلوفة ثم وقع الشروع فى الصلح وترددت فيه كتب ورُسُل فتم على ان يكون لصمصام (٢٧٢) الدولة فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان والعراق وان يكون لكل واحد منهما اقطاع فى بلاد صاحبه . وعقدت العقود وأحكمت العهود وحلف كل واحد منهما الآخر على التخالص والتصافى بيمين بالغة وشُرطت وحُررت على النسختين وعاد بهاء الدولة الى الاهواز

وورد أبو عبد الله الحسين بن على بن عبدان نائبا عن صمصام الدولة بالحضرة وناظرا فيما أفرد له من الاقطاع بالعراق وعوّل على أبى سعد بندار

ابن الفيروزان في النيابة عن بهاء الدولة بفارس

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي الفرج يعقوب بن يوسف وزير صاحب مصر الملقب بالعزيز (١)

﴿ ذكر حاله وما جرى عليه أمر الوزارة بمصر من بعده ﴾

كان أبو الفرج كبير الهمة عظيم الهيبة فاستولى على الامر ونصح صاحبه فيه فقرُب من قلبه وتمكن من قربه ففوضت الامور اليه واستقامت على يديه . فلما اعتل علة الوفاة ركب اليه صاحب مصر عائدا ووجده على شرف اليأس فحزن له وقال : يا يعقوب وددت أن تُباع فابتاعك بملكي أو تُفدى فافتديك فهل من حاجة توصي بها ؟ فبكى (٢٧٣) يعقوب وقبل يده ووضعها على عينه وقال : اما فيما يخصني فلا فانك أرعى لحقي من ان أسترعيك وأرأف بمخلفي من أن أوصيك ولكني أقول لك فيما يتعلق بدولتك سالِم الروم ماسالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تُبق على المفرّج بن دغفل ابن الجراح متى أمكنت فيه الفرصة . ولم يشغله ما كان فيه من فراق دنياه عن نصح صاحبه ومحبته وهواه وكذلك حال كل ناصح صدوق . ثم توفي فامر صاحب مصر بان يدفن في قصره في قبة كان بناها لنفسه وحضر جنازته فصلى عليه وألحده بيده في قبره وانصرف من مدفنه حزينا لفقده وأغلق الدواوين أياما من بعده

واستخدم أبا عبد الله الموصلي مدة ثم صرفه وقلد عيسى بن نسطورس

---

(١) والوزير هو ابن كاس وردت هذه القصة في تاريخ أبي يعلى ابن القلانسي ص ٣٢ وهي مأخوذة من تاريخ هلال الصابي . وفي ارشاد الاريب ٢ : ٤١١ وردت قصة ابن كاس هذا مع ولد للوزير أبي الفضل ابن حنزابة

وكان نصرانيا فضبط الامور وجمع الاموال ومال الى النصارى وولاهم الاعمال وعدل عن الكتّاب والمتصرفين من المسلمين واستناب بالشام يهوديا يعرف بمنشا بن ابراهيم بن الفرار فسلك منشا مع اليهود سبيل عيسى مع النصارى واستولى أهل هاتين الملتين على جميع الاعمال

﴿ ذكر حيلة لطيفة عادت بكشف هذه الغمة [٢٧٤] ﴾

كتب رجل من المسلمين قصة وسلمها الى امرأة وبذل لها بذلا على اعتراض صاحب مصر بالظلامة وتسليمها الى يده وكان مضمونها : يامولانا بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار وأذلّ المسلمين بك الا نظرت فى أمرى . وكانت لصاحب مصر بغلة معروفة اذا ركبها مرت فى سيرها كالريح ولم تلحق فوقفت له المرأة فى مضيق فلما قاربها رمت بالقصة اليه ودخلت فى الناس . فلما وقف عليها أمر بطلبها فلم توجد وعاد الى قصره متقسم الفكر فى أمره واستدعى قاضيه أبا عبد الله محمد بن النعمان وكان من خاصته وأهل أنسه فشاوره فى ذلك فقال ابن النعمان : أنت أعرف بوجه الرأي . فقال : لقد صدقت المرأة فى القصة ونبهت من الغفلة . وتقدم في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتّاب من النصارى وكتب الى [١] الشام بالقبض على منشا بن الفرار وجماعة المتصرفين من اليهود وأمر بردّ الدواوين والاعمال الى الكتّاب المسلمين والتعويل في الاشراف عليهم فى البلاد [٢]

---

(١) وفي الاصل : من (٢) وفي تاريخ ابن القلانسى ص ٣٣ : على القضاة في البلاد

﴿ ذكر تدبير توصل به عيسى بن نسطورس الى ﴾
(الخلاص والعود الى النظر (٢٧٥))

كانت بنت المتلقب بالعزيز المعروفة بست الملك كريمة عليه حبيبة اليه لا يرد لها قولا فاستشفع عيسى بها في الصفح عنه وحمل الى الخزانة ثلثمائة الف دينار . وكتب اليه يذكره بخدمته وحرمته فرضي عنه وأعاده الى ما كان ناظرا فيه وشرط عليه استخدام المسلمين في دواوينه وأعماله

وفى هذه السنة كثرت فتن العيارين بعد انحدار بهاء الدولة ورفعت الحشمة وجرى من الحرب بين أهل الدروب والمحال نوبة بعد نوبة ما أعيا فيه الخطب وتكرر الحريق والنهب تارة على أيدى العيارين وتارة على أيدى الولاة وولى المعونة عدة فما أغنوا شيأ واستمر الفساد الى حين عود بهاء الدولة

﴿ ودخلت سنة احدى وثمانين وثلثمائة ﴾

فيها قبض على أبي [نصر] سابور الوزير بالاهواز ونظر أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف فى الامور

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما عاد بهاء الدولة بعد الصلح الى الاهواز شغب الديلم والاتراك وطالبوا (٢٧٦) باطلاق المال وذكروا أبا الحسن المعلم وأبا نصر سابور وأبا الفضل محمد بن أحمد عارض الديلم وعلى بن أحمد عارض الاتراك وجاهروا بالشكوى منهم وظاهروا بالكراهية لهم . وترددت بينهم وبين بهاء الدولة مراسلات انتهت الى ان استوهب منهم أبا الحسن المعلم وأبا القاسم على بن أحمد وأرضاهم بالقبض على أبي نصر سابور وأبى الفضل محمد بن أحمد وتلقد

آبا القاسم عبد العزيز الوزارة وخلع عليه

ومن حسن سياسة الملوك ان يجعلوا خاصتهم كل مهذب الافعال محمود الخصال موصوفا بالخير والعقل معروفا بالصلاح والعدل فان الملك لا تخالطه العامة ولا أكثر الجند وانما يرون حواشيه فان كانت طرائقهم سديدة وأفعالهم رشيدة عظمت هيبة الملك في نفس من يبعد عنه لاستقامة طريقة من يقرُب منه . فقد ورد عن الاسكندر انه قال : انّا اذا فتحنا مدينة عرفنا خيارها من شرارها قبل تجربتهم . قيل له : كيف . قال : لانّا نرى خيارهم يتصافون الى خيارنا وشرارهم الى شرارنا .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال : ما شئ أدلّ على شئ ولا الدخان على الدخان [1] من الصاحب على الصاحب . قال عدى بن زيد : (٢٧٧)

عن المرء لا تسئل وابصر قرينه * فان القرين بالمقارن يقتدى

واذا كان خواص الملك ممن يُقدح فيهم وتذكر مساويهم قلّت الهيبة في النفوس فاظهر الجند استقلالا لامره ثم صار الاضمار نجوى بينهم ثم زادت الحيرة فصارت النجوى اعلانا فعند ذلك تقع المجاهرة وترتفع المراقبة ويتحكمون عليه تحكُّم الآمر لا المأمور والقاهر لا المقهور .

وفى هذه السنة أنفذ خلف بن أحمد عمرا ابنه الى كرمان ودفع تمرتاش عنها

﴿ شرح [2] عليه أمر خلف بن أحمد صاحب سجستان ﴾

﴿ في انفاذ عمرو ابنه الى كرمان ويتصل هذا ﴾

﴿ الحديث بما جرى بعد هذه السنة ﴾

﴿ من أحوال تلك البلاد ﴾

(١) لعله : النار (٢) لعله سقط : ما

كان أبو أحمد خلف بن أحمد المعروف بابن بنت عمرو [١] بن الليث الصفار قد ورد العراق في أيام معز الدولة وخلع عليه بالحضرة الخلع السلطانية لولاية سجستان . وكان رديء الدخيلة فى الباطن جيد الناموس فى الظاهر شديد الطمع فى الاموال متوصلا الى أخذها باللطف والاحتيال ويقول [٢٧٨] « ليس يجب ان يكون للرجال من الرعية أكثر من عشرة آلاف درهم لأنها ذخيرة لذى الحاجة وبضاعة لذى التجارة »

﴿ ذكر الحيلة التى استمر عليها خلف بن أحمد ﴾
(فى أخذ أموال رعيته)

كان يتتبع أمور أهل البلاد فى مكاسبهم ومتاجرهم وبضائعهم وذخائرهم فاذا عرف استظهار قوم منهم عمل ثبتا باسمائهم . وخرج على وجه التنزه والتصيد ونصب رجلا من أصحابه في النيابة عنه وواقفه على أخذهم ومطالبتهم بالفضل الذى يقدّر انه فى أيديهم فاذا علم ان المال معظمه قد صح من جهتهم رجع فيشكون اليه ما عوملوا به فيظهر لهم التوجع ويتقدم بالافراج عن من بقي منهم في الاعتقال ومسامحتهم بما تأخر عليهم من المال ويحضر صاحبه الذى استنابه فيجالله بالانكار وربما ضربه بمشهدهم ليزول ما خامر قلوبهم من الاستشعار . وكان يمشى الى المسجد الجامع فى كل جمعة بالطيلسان وربما خطب وصلى بالناس وأملى الحديث وله اسناد عال ورواية عن شيوخ العراقيين ومحدّثي الحرمين .

وكان عضد الدولة عند حصوله بكرمان [٢] قرر معه هدنة على ان لا يتعرض [٢٧٩] كل واحد منهما ببلاد صاحبه وكتبا بينهما كتابا بذلك

(١) وفي الاصل : عمر . والصواب فيما بعد (٢) وذلك في سنة ٣٥٧ ليراجع ٢ : ٢٥٣

شاع ذكره عند أمراء ساسان (١) وكبراء أهل خراسان وجرى الامر على المسالمة مدة أيام عضد الدولة

فلما توفي وملك شرف الدولة وانصرف أبو على الحسين بن محمد الحاجب عن كرمان وتقلدها تمرتاش وسار شرف الدولة الى العراق تحدثت نفس خلف بالغدر ثم أحجم عن الامر . فلما توفي شرف الدولة وملك صمصام الدولة فارس ووقع الخلف بينه وبين بهاء الدولة قوى طمعه وجهز جيشا مع عمرو ابنه فلم يشعر تمرتاش بهم حتى نزلوا بعض اردشير ليلا وكان هو وعسكره فى موضع يعرف بتركاباد من أبنية أبي عبد الله بن الياس (٢) ومعهم أموالهم وعلاهم فكان قصاراهم ان تركوا الدور وما فيها من الاموال ودخلوا بردشير بما أمكنهم حمله وحصلوا في الحصار وملك عمرو بن خلف جميع أعمال كرمان سوي بردشير وجبى الاموال وصار تمرتاش (٣) الى فارس .

وكانت بينه وبين العلاء بن الحسن عداوة من أيام شرف الدولة فوجد العلاء في هذا الوقت الفرصة التى كان يتوقعها في أمره

﴿ ذكر الحيلة التى رتبها العلاء بن الحسن فى القبض ﴾
(على تمرتاش وقتله من بعد (٢٨٠))

قال العلاء ابن الحسن لصمصام الدولة : ان تمرتاش فى جنبه بهاء الدولة ولا يؤمن ان يميل اليه ويقيم الخطبة له . وقرر معه تجهيز عسكر كثير من الديلم لمعونته وموافقة وجوههم على القبض عليه عند الحصول ببردشير فاخرج أبا جعفر نقيب نقباء الديلم وتقدم اليه بذلك . وسار أبو جعفر الى

(١) لعله : ساسان (٢) أظنه اليسع ابن محمد بن الياس (٣) وفى الاصل : وصادر الناس

كرمان وعرف عمرو بن خلف حصوله بالشيرجان فعاد الى بم ونرماشير . وتمم أبو جعفر الى بردشير فاستقبله تمرتاش مبعدا فى استقباله وسارا جميعا الى الخيم التى ضربت لابى جعفر فلما وصلا اليها قال أبو جعفر لتمرتاش : بينى وبينكم ما يجب ان نتواقف عليه فى هذا العدو والصواب ان نقدمه . فعاد الى مضاربه وكان أبو جعفر قد رتب فيها قوما من الديلم لما يريده فحين نزلا قبض عليه وقيده فأنفذ الى داره من احتاط على خزائنه واصطبلاته وكان مموّلا فوجد له ما عظم قدره . وحمل تمرتاش الى شيراز فحبسه العلاء ثم قتله

ولما فرغ أبو جعفر من أمر تمرتاش سار بالعسكر الذي صحبه ومن كان مقيما ببردشير يطلب مواقعة عمرو بن خلف

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر (٢٨١) أبي جعفر فى هزيمته ﴾

لما التقى الفريقان بدارزين وهى في سهل من الارض يتسع فيها اطراد الفرسان استظهر ابن خلف عليه بكثرة من الفرسان وضاقت الميرَ على أبى جعفر ومن معه فهرب ليلا وعاد على طريق جيرفت . وبلغ الخبر صمصام الدولة ومدبّري أمره فانزعجوا منه ثم أجمعوا أمرهم وأخرجوا العباس بن أحمد الحاجب الى هذا الوجه فى عدد كثير من طوائف العسكر وسار متوجها للحرب

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر عمروَ بن خاف فى هذه
(الوقعة وهزيمته وما آل حاله اليه من القتل)

لما حصل العباس بن أحمد الحاجب بقرب الشيرجان برز اليه عمرو ابن خلف ووقعت الوقعة على باب البلد فكانت الدائرة على عمرو وأسر

الفتكين وكان وجيها فى عسكره والمعروف بابن أمير الخيل صهر خلف وعدد كثير من السجزية وذلك فى محرم سنة اثنتين وثمانين. وعاد عمرو الي سجستان مفلولا مع نفر من أصحابه ولما دخل الي أبيه قيّده وأزرى به وعجّزه (٢٨٢) في هزيمته وحبسه أياما ثم قتله بين يديه وتولى غسله والصلاة عليه ودفنه فى القلعة.

فليت شعري ما كان مراده من قتل ولده! اما كان عذره فى قطع يده بيده أتراه ظن انه يشفى غلته أو يجبر وهنه بفتّ عضده؟ كلا بل خاب ظنه وزاد وهنه وطال حزنه لقد فعل فى الدنيا نكرا وحمل للآخرة وزراً. فويل للقاسية قلوبهم ما أبعدهم من الصواب وأقربهم من العذاب!

ووصل أبو على ابن أستاذ هرمز الي فارس وقرب من خدمة صمصام الدولة فشرع في انفاذ أستاذ هرمز أبيه (١) الى كرمان وقرر الامر معه واستعيد العباس وتوجه أستاذ هرمز.

فقال أبو بكر ابن عمرو بن يعقوب كاتبه: لما انتهى الخبر الى خلف بن أحمد وجمَ لذلك الجند ورأى انه قد رُمي (٢) بحجره حين لا قدرة له على الذب عن حريمه لتمزُّق رجاله واضطراب حاله وعلم انه متى قصده في عقر داره وهو على هذه الصورة انتهز فيه الفرصة فعمد الي اعمال الحيلة

﴿ ذكر حيلة عملها خلف بن أحمد في تعليل ﴾
(أستاذ هرمز عن قصده (٢٨٣))

كتب كتابا غير معنون أقام فيه العذر لنفسه وجعل حجّته فى نقض الهدنة العضدية اختلاف صمصام الدولة وبهاء الدولة اذ كان من شروط

(١) وفى الاصل: ابنه (٢) وفي الاصل: وفي

الهدنة انها ماضية بينهما مدة حياتهما ومنتقلة الى أولادهما بعدهما ما لم يختلفوا وان نقضهُ لها كان لهذا العذر وانه متى استونف معه الصلح أجاب اليه . وأنفذ الكتاب على يد أحد الصوفية قال أبو بكر : فلما وصل الكتاب قرأته على أستاذ هرمز وعرّفته ما في الصلح من الصلاح فتقدّم الى بكتب جوابه على نحو ما وقع الابتداء ففعلت . واستمر خلف على هذه الطريقة في مواصلة المكاتبة وتقرير أمر الهدنة حتى استقرت وكتب بها كتابا أخذ فيه خطوط الشهود وتوثّق بالايمان والعهود . واتصلت المهاداة والملاطفة بين الجهتين وخلف فى أثناء هذه الاحوال يجمع المال ويثبت الرجال ويتجدد العهد حتى اذا قويت شوكته نقض عهده . وأظهر كتابا من المعتضد بالله رحمة الله عليه ببلاد كرمان اقطاعا لجده عمرو [ابن] الليث الصفار وجعل ذلك عذرا عند ملوك الاطراف العارفين بما استقر من تلك المعاهدة

﴿ ذكر مكيدة لخلف أراد بها [(٢٨٤)] إساءة ﴾
(سمعة أستاذ هرمز)

١ كان بسجستان قاض يعرف بابي يوسف البزّاز مقبول القول بين الرعية يعظمونه غاية الاعظام ويجرونه عندهم مجرى الامام فاستدعاه خلف وأخرجه رسولا الى أستاذ هرمز وضمّ اليه رجلا من الصوفية يعرف بالحلبي كالمؤانس له وسلم الى المتصوف سما ووافقه على ان يقتله فى طعام يحمل اليه من دار أستاذ هرمز وفي عقب حضوره على طبقه لينسب الناس قتله اليه ورتّب للصوفي جمازات بين سجستان وبَمّ وقال له : اذا قضيت الارب فاهرب . فتوجه أبو يوسف غافلا عما يُراد به ووصل الى أستاذ هرمز وهو ببَمّ

فاكرمه وسمع منه ما أورده عليه ووعده بالجواب عنه. ودخل الصوفي بينهما في السفارة وحصلت له بها قدم عند أستاذ هرمز فانس به فاشار عليه باستدعاء أبي يوسف الى طعامه ليشاهد فضل مروءته فيتحدث به في بلده. فقبل منه واستدعى أبا يوسف لذلك فاستعفاه وامتنع فصار الصوفي الي أبي يوسف وقال له : ان في امتناعك عليه ايحاشاً له . ولم يزل به حتى لبي دعوته وحضر عنده في بعض ليالي شهر رمضان . واتخذ الصوفي شيأ كثيرا من القطائف فمنه ما عمله بالفانيد السجزى على عادة تلك البلاد ومنه ما عمله بالسكر الطبرزد واللوز على رسم أهل بغداد وجعل السم في البغدادي . فلما انصرف أبو يوسف من دار أستاذ هرمز بعد افطاره معه سأله الصوفي عن حاله وما شاهده من مروءته فما زال أبو يوسف يذكر شيأ شيأ حتي أفضى الحديث الى ذكر القطائف فوصف أبو يوسف جودة ما أحضر منه علي الطبق فقال الصوفي : ما أظن القاضى أكل مما يصلح عندنا في العراق وقد عملت منه شيأ ليأكله ويعلم ان لبغداد الزيادة على كل بلد . وقام وأحضر ما أودعه السم . فاستدعى أبو يوسف جماعة من أصحابه ليأكلوا معه فقال له الصوفي : هذا شيء نحب أن يتوفر عليك وقد عملت لاصحابنا ما يصلح لهم . وأحضر ما كان عمله على رسم تلك البلاد ودعا القوم اليه وأكل أبو يوسف من المسموم [1] وأمعن فيه . وخرج الصوفي من الدار وقصد باب البلد وركب جمازة معدة ودخل المفازة متوجها الى سجستان ونام أبو يوسف فما مضت ساعة حتي عمل السم فيه وطلب الصوفي فلم يلحق ولا عرف له خبر فاحس بالحيلة .

(١) وفي الاصل : المصوم

قال أبو بكر الكاتب : فجاءني رسوله في جنح الليل يستدعيني فجئته وهو كما به يتقلب على فراشه ويحتسب الله على خلف فوصاني بحفظ ما يخلفه ومعاونة أصحابه على حمله الى بلده وتسليمه الى ورثته وبقى ساعة وقضى [نحبه] وعرف أستاذ هرمز الخبر فقلق لاجله ثم رأى كتمان الامر وأحسن (۲۸٦) الى أصحاب أبي يوسف وأعادهم موفورين .

ووصل الصوفى الى خلف وحدثه الحديث فقرر معه ان يقول فى المحفل الذي يجتمع الناس فيه : ان أستاذ هرمز غدر بأبى يوسف وسمه وقتله وأراد ان يفعل بى مثل ذلك فخرجتُ على وجهى هاربا منه وانه قد نقض العهد وعزم على المسير الى هذه البلاد . ثم عقد مجلسا فيه القضاة والشهود ووجوه الخاصة والعامة وأحضر الصوفى حتى أورد ما توافقا عليه فما استتم الصوفى كلامه حتى أجهش خلف بالبكاء والنحيب وقال : واأسفاه على القاضى الشهيد . ونادى : النفير لغزو كرمان . فكتب محاضر بذلك وأنفذها الى أصحاب الاطراف وشنَّع على أستاذ هرمز بالغدر والنكث . وندب ولده طاهرا المعروف بشيربابك [1] مع أربعة آلاف غلام وخمسة آلاف رجل من السجزية الى كرمان .

فسبحان من خلق أطواراً وجعل منهم أخياراً وأشراراً ! ما كان أجرى هذا الرجل على فعل المحظور وقول الزور ! أتراه ما سمع قول الله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤُه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنهُ وأعدَّ له عذابا عظيما . وقوله سبحانه : ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل (۲۸۷) بهتانا وإثماً مبينا . ان الانسان لظلومٌ كفّار ولقد أقدم

(١) وفي تاريخ هلال الصابي هو « شيرباريك »

على ظلم عظيم

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر طاهر بن خاف بكرمان ﴾

سار طاهر مع عسكره الى نرماسير وبها شهفيروز ابن بنت ملكا بن وندا خرشيد فى عدة من وجوه الديلم والجيل [١] وفيهم سراهنك بن سياهجيك الجيلى قريب زيار بن شهراكويه وكان فارسا شجاعا فوصلوا الى باب البلد سحرا فما شعر الناس الا بنعرة الاتراك . وبادر الديلم عند ذلك الى ميدان فى البلد فاجتمعوا فيه وتشاوروا فيما بينهم فيما يدبرون به أمرهم مع قصورهم عن مقاومة من نزل بساحتهم . فبينما هم فى تراجع القول اذ أحرق السجزية أحد أبواب البلد وصعدوا السور واستقر رأى الديلم على الخروج من باب يفضى الى البساتين والحيطان وسلوك طريق بينهما تضيق عن مجال الفرسان وتوجهوا على هذه النية . فلما وصلوا الى الباب صادفوا السجزية داخلين منه فلاقوا وكان يقدم الديلم سراهنك بن سياهجيك فرمى ملابين [٢] الدواتى أحد قواد خاف بزوبين سقط منه صريعا ورمى آخر فقتله وثلّث فانهزم السجزية ناكصين على أعقابهم (٢٨٨) الى الصحراء . وخرج الديلم باهلهم وأموالهم ولزموا حيطان البساتين وقصدوا جبلا كان قريبا منهم وصعدوا فيه حتى خلصوا ومضوا الى جيرفت . ولم يقدم فرسان ابن خاف على اتباعهم فى تلك الطريق ودخل طاهر بن خاف نرماسير بعد انصرافهم منه

وبلغ أستاذ هرمز الخبر وهو بمّ وكان فى القلعة التى هو بها سلاح كثير له خطر كبير

---

(١) وفى الاصل : والخيل (٢) كذا فى الاصل

﴿ ذكر ما دبر به أستاذ هرمز أمره عند وصول الخبر اليه ﴾

جمع اليه من كان معه من الديلم وشاورهم فى الامر فقالوا : لا طاقة لنا اليوم بهذا الرجل مع قوة شوكته لا سيما وقد انقطع عنا العسكر الذين كانوا بنرماسير والصواب ان نحمل من هذه الاسلحة ما نقدر على حمله ونحرق الباقى لئلا يستظهر العدو به علينا ونمضي الى جيرفت ونقرر رأينا هناك . فاستصوب رأيهم وعمل به وبادر الى جيرفت وأقام بها يستكثر من الرجال ويستمدّ للقتال .

وسار ابن خلف الى بردسير لانها قطب كرمان ومن ملكها وقلعتها تمكنت قدمه واستقام ملكه (٢٨٩)

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر ابن خلف في قصد
(بردسير وما آل أمره اليه من الهزيمة) ﴾

كان الحامي ببردسير فى ذلك الوقت أبو بكر محمد بن الحسن قريب أبي الوفاء طاهر بن محمد فجاهد فى الذب عن البلد ثلاثة أشهر ثم ضاقت الميرة فكتب الى أستاذ هرمز يعلمه اشتداد الحصار به وانه متى لم يدركه سلم البلد . فبلغ ذلك من أستاذ هرمز كل مبلغ وخاف ان تتم الحيلة فيه فسار من جيرفت فى سنة أربع وثمانين والزمان شات ولاقى عسفا فى طرق سلكها واخطار ركبها فلما قرب من بردسير أخذ فى لحف الجبل حتى صار بينه وبين القلعة ثلاثة فراسخ ثم رتب مصافه وسار . وعرف من فى القلعة وروده فضربوا البوقات والطبول وبرزوا وتلاقى السجزية وعسكر أستاذ هرمز واقتتلوا عامة النهار وأستاذ هرمز زحف بعسكره الى باب البلد حتى اذا شارفه قلع السجزية مضاربهم من موضعها وتأخروا واختلطوا محاصرين (١)

(١) يريد : واختلط عسكر المحاصرين بعسكر أستاذ هرمز

لعسكر أستاذ هرمز . وقوى بعضهم ببعض وهابهم السجزية وأحجموا عن الاقدام عليهم وأقاموا يوما واحداً (٢٩٠) ثم أوقدوا النيران ليلا يوهمون بها انهم مقيمون ورحلوا . وعرف أستاذ هرمز خبر انصرافهم سحراً فانفذ أبا غالب ابنه فى جماعة من الفرسان لاقتصاص آثارهم فسار مجداً فى طلبهم وقتل جماعة ظفر بهم منهم . ورحل أستاذ هرمز يطوى المنازل الى نرماسير فوصلها وقد دخل طاهر بن خلف المفازة عائدا الى سجستان . ونعود الى سياقة التاريخ .

وفى هذه السنة عاد بهاء الدولة من الاهواز الى مدينة السلام وقبض على أبي نصر خواشاذه وأبي عبد الله ابن طاهر

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو الحسن المعلم يتوقع في كل ناظر خدمة وهدية وكان أبو نصر فيه شح يمنعه عن ذلك فاذا أشير عليه قال : انما يفعل هذا الفعل من يرتزق أو يرتفق . ففسد رأى أبي الحسن فيه فساداً عرفه كل أحد وبلغ أبا نصر فخافه وهمّ بالهرب عن قرب بهاء الدولة واستدعى من العرب من يخرج معه . ثم توقف وأشار عليه أهل أنسه بتلافي أبي الحسن بما يحمله اليه فنازلهم الى الف دينار فقالوا له : تكون وزنا يلقى بها بواسط . فلم يفعل وأخذ خط بعض الباعة به وأنفذه اليه فلم يقع موقعه الا انه قبله تأنيسا له . وورد مدينة السلام (٢٩١) فقبض عليه وأخذ له عند القبض عليه من غدة مواضع ما بلغ قيمته الفى الف دينار وأفرج عنه بعد ذلك بمدة

فانظر الى هذا الشح المطاع كيف القى صاحبه فى المهالك وأخرجه الى ضيق المسالك فانه ضيّع الكثير من حيث حفظ القليل . والجوّاد أملك

لماله من الشحيح لان ذلك يبذله إما لنفع عاجل واما لذخر آجل وهذا يخزنه اما لحادث واما لوارث فذاك محظوظ وهذا محروم وذاك مشكور وهذا مذموم . وقد قيل : انفق فى حالتى الاقبال والادبار والانفاق في زمن الاقبال لا ينقص حالا والامساك في زمن الادبار لا يحفظ مالا قال الله تعالى: ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فاؤلئك هم المفلحون

فاما أبو عبد الله ابن طاهر فانه كان نائبا عن أبى نصر سابور الا انه أقر على أمره عند القبض على سابور بالاهواز لانه[١] أعطى أبا الحسن المعلم ما أرضاه ثم[٢] يدفع عنه كراهة منه لايحاش أبى القاسم عبد العزيز فقبض عليه وقرر أمره على مال صححه وخلى عنه .

وفيها سكنت الفتنة وتتبع العيارون وأخذوا وقُتلوا واطمأن الناس وقامت الهيبة . وكان فى جملة العيَّارين المأخوذين انسان يعرف بابن جوامرد من وجوههم وكان قد أبقى فى أيام [صمصام الدولة] (٢٩٢) وحرس الاسواق فسئل بهاء الدولة في أمره فأمنه ومن أبقى أبقى عليه ومن أساء[٣] اليه ومن أحسن أحسن اليه

وفيها هرب أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شيراز

﴿ ذكر السبب فى هرب فولاذ ﴾

لما استفحل أمره بفارس وزاد على حد أصحاب الجيوش حصل صمصام الدولة تحت حكمه وجعل اسمه مقترنا باسمه فى المناشير وكتب فيها : هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبى كاليجار بن عضد الدولة عين أمير المؤمنين ومن عبده وصاحب جيشه نجم الدولة أبى منصور مولى أمير

---

(١) وفي الاصل : الا انه (٢) لعله سقط : لم (٣) لعله : ﴿ أسيء ﴾

المؤمنين . وكانت بينه وبين العلاء بن الحسن المودة التي تقدم ذكرها ثم استحالت عداوة ثبتت على الايام أصولها وبسقت فروعها فعمل فولاذ على القبض عليه وخاطب صمصام الدولة على ذلك فاجابه الي مراده منه

﴿ ذكر الحيلة التي رتبها فولاذ على العلاء بن الحسن ﴾
﴿ وانعكاسها حتى صارت الدائرة على فولاذ (٢٩٣) ﴾

صار فولاذ الى دار الامارة وفيها أبو القاسم العلاء بن الحسن على عادته فقدم اليه واستقبله وقضى حقه وأخذ بيده وماشاه وحادثه ثم وقف على باب بيت ودفع في صدره حتى حصل بالبيت وأغلق بابه عليه ووكل به قوما . فاشتغل فولاذ بلقاء الديلم وسلامهم وخطابهم على أمورهم وكان البيت الذي حصل فيه له باب آخر قد سمر فعالجه حتى فتحه وخرج منه ودخل على صمصام الدولة في حجرة خلوته فقال له : قد قبض هذا الرجل عليّ وغرضه في ذلك ان لا يترك بين يديك من يخدمك وفي نفسه ان يعلو على الملك . قال : فما الرأي . قال : ان تقبض عليه اذا دخل اليك الساعة وعليّ ان لا يجري من العسكر قول في معناه . ففعل وتقدم الى بعض الحواشي بالقبض عليه اذا أقبل الى حضرة صمصام الدولة والعدول به الى بعض البيوت . وسمع على الارزناني (١) النديم الحديث وكان يتجسس على صمصام الدولة لفولاذ فلما وافى فولاذ أومى عليّ اليه بيده أن « ارجع فانك مأخوذ » فرجع فولاذ نافرا وانصرف الى داره . وخرج العلاء بن الحسن الى وسط العسكر على أثره وأظهر لهم عصيانه ونادى للركوب اليه والقبض عليه فعرف فولاذ ما عول عليه العلاء فاخذ ما خف من ماله على الجمازات وسار . وتبعه العلاء

(١) وفي الاصل : الارزباني

مغذاً في طلبه [١] قائما بما تم عليه [٢٩٤] من هربه ومضى فولاذ الى الاكراد الخسروية فنزل عليهم وعاد العلاء وأقطع الديلم اقطاعات فولاذ واستقام الامر له . وكاتب الاكراد وطالبهم بفولاذ وسبق اليهم بالوعيد ان لم يسلموه وكانوا قد طمعوا في مال فولاذ وانضاف الى الطمع فيه الخوف من العلاء فنهبوه وأفلت بنفسه منهم وحصل بالرى وأقام عند فخر الدولة الى ان توفى . فاما علي الارزناني فان صمصام الدولة أمر بقتله فقُتل

وفيها قبض على أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف وعلى أصحابه وأسبابه وكانت مدة نظره ببغداد شهرين ونصفا . وقلد أبو القاسم على بن أحمد الابرقوهي الوزارة وخلع عليه

وفى هذا الوقت قبض على الطائع لله وقد جلس لبهاء الدولة .

﴿ ذكر السبب في القبض على الطائع لله رضوان الله عليه ﴾

كان أبو الحسن المعلم (وبئس القرين هو) قد كثر عند بهاء الدولة مال الطائع لله وذخائره وأطمعه فيها وهوّن عليه أمرا عظيما وجرّأه على خطة شنعاء فقبل منه وقبض عليه . ثم لم يحظ من ذلك الا بسوء الذكر الى آخر الدهر ولو لا ان حسنات أيام القادر بالله رضوان الله عليه أسبلت [٢٩٥] على مساوى هذا الفعل سترا لما وجد عند الله تعالى ولا عند المخلوقين عذرا لكن محاسن ذلك الامام التقى الرضى أعادت وجه الدين مشرقا وعود الاسلام مورقا . فاما شرح ما جرت عليه الحال يوم القبض فلم نذكره اذ لا سياسة فيه فتحكى ولا فضيلة فتروى الا أبياتا للرضى أبى الحسن الموسوي رحمه الله فانه كان فى جملة من حضر فلما أحس بالفتنة أخذ بالحزم

---

(١) لعله سقط : ثم انصرف

وبادر الخروج من الدار وتلوّم من تلوّم من الاماثل فامتهنوا وسلبت ثيابهم وسلم هو فقال (١)

أعجب لمسكة نفسى بعد ما رميت * من النوائب بالابكار والعون
ومن نجاتى يوم الدار حين هوى * غيرى ولم أخل من حزم ينجينى
مرقت منها مروق النجم منكدرا * وقد تلاقت مصاريع الردى دوني
وكنت أول طلاع ثنيتها * ومن وراءى شرّ غير مأمون
من بعد ما كان رب الملك مبتسما * الىّ أدنيه فى النجوى ويدنينى
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى * ياقرب ما عاد بالضراء يبكينى
هيهات أغتر بالسلطان ثانية * قد ضلّ ولاّج أبواب السلاطين (٢٩٦)

وبالله تعالى نستعين من شر الفتن وانقلاب الزمن واياه نسأل سلامة شاملة وعاقبة حميدة بمنه

ولما انصرف بهاء الدولة الى داره (وقد حُمل الطائع لله قبله اليها واعتقل فيها) أظهر أمر الخليفة القادر بالله أبى العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بالله رضوان الله عليهم ونادى بشعاره في البلد . وكتب على الطائع كتابا بالخلع وتسليم الامر الى القادر بالله رضى الله عنه وشهد الشهود فيه عليه وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام . وانحدر الى حضرة القادر بالله من خواص بهاء الدولة من يهنّيه بالخلافة ويصعد فى خدمته الى مدينة السلام وشغب الديلم والاتراك مطالبين برسم البيعة ومنعوا من الخطبة باسم الخليفة فى يوم الجمعة فقيل « اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله »

(١) ديوان الرضي طبع بيروت ٢ : ٨٦٧

الخليفة فى يوم الجمعة فقيل « اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله » ولم يُسم . وترددت الرسل بين بهاء الدولة وبين العسكر فارضى الوجوه والاكابر ثم قرر لكل واحد ثمانمائة درهم وأخذت البيعة على الجماعة واتفقت الكلمة على الرضاء والطاعة . وأقيمت الخطبة باسم أمير المؤمنين القادر بالله أبي العباس أحمد رضوان الله عليه فى يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان (١) وقيل ان القادر بالله (٢٩٧) رضوان الله عليه رأى رؤيا قبل ورود

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في خلع الطائع لله : وسببه ان أبا الحسن ابن المعلم كان من خواص بهاء الدولة فحبس فجاء بهاء الدولة وقد جلس الطائع لله في الرواق متقلدا سيفاً فلما قرب بهاء الدولة قبل الارض وجلس على كرسي فتقدم أصحاب بهاء الدولة فجذبوا الطائع بحمائل سيفه من سريره وتكاثر عليه الديلم فلفوه في كساء وحمل في زبزب وأصعد الى دار المملكة وشاش البلد وقدّر أكثر الجند ان القبض على بهاء الدولة فوقعوا في النهب وشلح من حضر من الاشراف والعدول وقبض على الرئيس على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان فى جماعة وصودروا واحتيط على الخزائن والخدم ورجع بهاء الدولة الى داره . وأظهر أمر القادر بالله وانه الخليفة ونودى له في الاسواق وكتب على الطائع كتابا بخلع نفسه وانه سلم الامر الى القادر بالله وشهد عليه الاكابر والاشراف ونفذ الى القادر المكتوب وحثه على القدوم . وشغب الديلم والترك يطالبون برسم البيعة وبرزوا الى ظاهر بغداد وترددت الرسل منهم الى بهاء الدولة ومنعوا من الخطبة للقادر ثم أرضوهم فسكنوا وأقيمت الخطبة للقادر في الجمعة الآتية وهى ثالث رمضان . وحول من دار الخلافة جميع ما فيها حتى الخشب الساج والرخام ثم أبيحت للخاصة والعامة فقلعت أبوابها وشبابيكها . وجهز مهذب الدولة على بن نصر القادر بالله من البطائح وحمل اليه من الآلات والفرش ما أمكنه وأعطاه طياراً كان عمله لنفسه وشيعه فلما وصل الى واسط اجتمع الجند وطالبوه بالبيعة وجرت لهم خطوب انتهت الي ان وعدهم باجرائهم مجرى البغداديين فرضوا وسار وكان مقامه بالبطيحة منذ يوم حصل فيها الى ان خرج عنها سنتين واحد عشر شهرا وقيل سنتين وأربعة أشهر عند أميرها مهذب الدولة

قال هلال بن المحسن : وجدت الكتاب الذى كتبه القادر بالله : من عبد الله أحمد

الخبر اليه بمصير الامر اليه

﴿ ذكر الرؤيا التي رآها القادر بالله رضوان الله عليه ﴾

قال هبة [الله] بن عيسى كاتب مهذب الدولة : كنت أغشى مجلس القادر بالله في مقامه بالبطيحة في كل أسبوع يومين فاذا حضرت رفعني واذا رمت تقبيل يده منعني . فدخلت اليه يوما فوجدته قد تأهب تأهبا لم تجر عادته بمثله ولم أر منه ماعوّدنيه من الاكرام وجلست دون موضعي فما

الامام القادر بالله أمير المؤمنين الى بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر ابن عضد الدولة مولى أمير المؤمنين سلام عليك . فان أمير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك وأحسن امتاع أمير المؤمنين بك فان كتابك الوارد في صحبة الحسن بن محمد بن نصر رعاه الله عرض على أمير المؤمنين تاليا لما تقدمه وشافعا ماسبقه ومتضمنا مثل ما حواه قبله من اجماع المسلمين قبلك بمشهد منك على خلع العاصي المتلقب بالطائع عن الامامة ونزعه عن الخلافة لبوائقه المستمرة وسوء نيته المدخولة واشهاده على نفسه بعجزه ونكوله وارائه الكافة من بيعته وانشراح صدور الناس لبيعة أمير المؤمنين ووفق أمير المؤمنين على ذلك كله ووجدك أدام الله تأييدك قد انفردت بهذه المآثر واستحققت بها من الله جليل الاثرة ومن أمير المؤمنين سنيّ المنزلة وعليّ المرتبة وفيه فقد أصبحت سيف أمير المؤمنين المبير لاعدائه الحاظي دون غيرك بحميد رأيه المستبذ بحماية حوزته ورعاية رعيته والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده في بريته . وقد برزت راية أمير المؤمنين عن الصليق متوجها نحو سريره الذي حرسته ومستقر عزه الذي شيدته ودار مملكته التي أنت عمادها . . . الى ان قال : فواصل حضرة أمير المؤمنين بالانهاء والمطالعة ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب لثلاثة تبقي من شعبان .

واسم القادر أحمد بن اسحق بن المقتدر أبو العباس وأمه تمني مولاة عبد الواحد بن المقتدر ولد سنة ٣٣٦ وكان حسن الطريقة كثير المعروف فيه دين وخير فوصل الى جبل في عاشر رمضان وجلس من الغد جلوسا عاما وهنى . وحمل الى القادر بعض الآلات المأخوذة من الطائع واستكتب له أبو الفضل محمد بن أحمد عارض الديلم وجعل استداره

أنكر ذلك مني ورمت تقبيل يده فمدها الى فاختلفت بي الظنون لزلة مني فان تكن فاسئل اعلامي بها فاما ان أطلب مخرجا منها بالعذر أو ألوذ فيها بالعفو فاجاني بوقار ان اسمع : رأيت البارحة في منامي كان نهركم هذا (وأومي الى نهر الصليق) قد اتسع حتى صار عرض دجلة دفعات وكاني متعجب من ذلك وسرت على حافته [مستعظما] لامره ومستطرفا لعظمه فرأيت دستا هيبج قنطرة عظيمة [(١)] فقلت « ترى من قد حدث نفسه بعمل قنطرة في هذا الموضع على مثل هذا البحر الكبير؟» وصعدته فكان [(٢٩٨)] بثقا محكما

عبد الواحد بن الحسن الشيرازى . وفي شوّال عقد مجلس عظيم وحلف القادر وبهاء الدولة كل منهما لصاحبه بالوفاء وقلده القادر ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة . وكان القادر أبيض حسن الجسم كث اللحية طويلها تخضب وصفه الخطيب البغدادي بهذا وقال: كان من الديانة والستارة وادامة التهجد وكثرة الصدقات على صفة اشتهرت عنه وقد صنف كتابا في الاصول ذكر فيه فضائل الصحابة واكفار المعتزلة القائلين بخلق القرآن.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني ان القادر كان يلبس زي العوام ويقصد الاماكن المعروفة بالخير والبركة كقبر معروف وغيره وطلب من ابن القزويني الزاهد أن ينفذ له طعامه الذى يأكله فأنفذ اليه باذنجان مقلو بخل وباقلى ودبس وخبز بيتى وشده في ميزر فاكل منه وفرق الباقى وبعث الى ابن القزوينى مائتى دينار فقبلها ثم بعد أيام طلب منه طعاما فأنفذ اليه طبقا جديدا وفيه زبادى فيها فراريج وفالوذج ودجاجة مشوية فتعجب الخليفة وأرسل يكلمه فى ذلك فقال : ما تكلفت لما وسع على وسعت على نفسى . فتعجب من عقله ودينه ولم يزل مواصله بالعطاء

وابن القزوينى هو أبو الحسن على بن عمر بن محمد الحربي الزاهد توفى في شعبان سنة ٤٤٢ قال الخطيب : كتبنا عنه وكان أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله الصالحين يقرىء القرآن ويروي الحديث ولايخرج من بيته الا للصلاة وكان وافر العقل صحيح الرأي .

(١) وفي مرآة الزمان : واذا بقواعد قنطرة عظيمة . وكلمة دستا هيبج . لعل معناها درابزين

ومددت عيني واذا بازائه مثله وزال الشك عني في انهما دستا هيج قنطرة وأقبلت أصعد وأصوّب فى التعجب . فبينما أنا واقف عليه اذ رأيت شخصا قد تأملني من ذلك الجانب ونادانى يا أحمد أتريد أن تعبر . قلت : نعم . فمد يده حتى وصلت الىّ وأخذني وعبر بي فهالني فعله فقلت له وقد تعاظمني أمره : من أنت ؟ قال: على بن أبى طالب هذا الامر صائر اليك ويطول عمرك فيه فأحسن الى ولدى وشيعتى . فما انتهي الخليفة هذا المقال من قوله حتى سمعنا صياح ملاّحين وضجيج ناس فسألنا عن ذلك فقيل : ورد أبو على ابن محمد بن نصر وجماعة معه . فاذا هم اواردون للاصعاد به فقد تقررت الخلافة له : فعاودت تقبيل يده ورجله وخاطبته بامرة المؤمنين وايمته .

ثم قام مهذب الدولة بخدمة الخليفة فى اصعاده وانحداره أحسن قيام وحمل اليه من المال والثياب والآلات ما يحمل مثله الى الخلفاء وأعطاه الطيار الذى كان صنعه لنفسه وشيعه الى بعض الطريق وأنفذ هبة [الله] بن عيسى في خدمته . فلما وصل الى واسط اجتمع الخدم بها وطالبوا برسم البيعة وجرت لهم خطوب انتهت الى ان وعدوا باجرائهم مجرى البغداديين . فلما تقررت أمورهم عليه ورضوا سار فلما بلغ الجبل انحدر بهاء الدولة ووجوه الاولياء وأماثل الناس لتلقيه (٢٩٩) وخدمته ودخل دار الخلافه ليلة الاحد ثاني عشر رمضان

﴿ ذكر جلوس القادر بالله أمير المؤمنين رضوان الله عليه على سرير الخلافة ﴾

جلس ثانى يوم حصوله فى الدار جلوسا عاماً وهُنِيَ بالامر وأنشد المديح بالشعر وكان من ذلك قصيدةَ للرضى أبي الحسن الموسوي أولها

شرف الخلافة يابنى العباس * اليوم جدده أبو العباس
هذا الذى رفعت يداه بناءها الـــعالى وذاك موطد الاساس
ذا الطود بقّاه الزمان ذخيرة * من ذلك الجبل الاشم الراسى

وتمامها مثبت فى ديوان شعره (١) ولقد صدق الموسوى فى قوله ان القادر بالله جدد معاهد الخلافة وأنار أعلامها وكشف غمم الفتنة وجلى ظلامها ويقولون لئن كان لكل من الائمة رضوان الله عليهم مناقب مروية وطرائق مرضية فان لاربعة منهم فضائل أفردوا بمزاياها وحظوا بمرباعها وصفاياها: قام أمير المؤمنين السفاح سفح دماء الاعداء وتاخى كشف الغماء (٢) وتفرد وفضل بفضيلة الابتداء: والمنصور بالله أيد بالنصر فى توطيد
(٣٠٠) قواعد الامر فذلل كل صعب وأزال كل شعب وثقف كل مناد ومهد لمن بعده أحسن مهاد: ثم المعتضد بالله عضد الدولة بحسن تدبيره وسياسته وتلافاها بشرف نفسه وعلو همته وأعادها بعد الضعف الى القوة وبعد اللين الى الشدة وبعد الأود الى الاستقامة وبعد الفتنة الى السلامة: ثم القادر بالله قدر من صلاحها على ما لم يقدر عليه سواه وسلك من طريق الزهد والورع ماتقدمت فيه خطاه. فكان راهب بنى العباس حقا وزاهدهم صدقا ساس الدنيا والدين وأغاث الاسلام والمسلمين واستأنف فى سياسة الامر طرائق قويمة ومسالك مأمونة سليمة هى الى الآن مستمرة والقاعدة عليها مستقرة لم تعرف منه زلة ولا ذمت له خلة: فطالت أيامه وطابت أخباره

---

(١) في ديوان الرضي طبع بيروت ١ : ٤١٧ وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبيء ١٣١٨ ص ١٨٤) انه كان الرضي يرشح الى الخلافة وكان أبو اسحق الصابى يطمعه فيها ويزعم ان طالعه يدل على ذلك (٢) فى الاصل: كشف ناحي الغماء

وأقفيت آثاره وبقيت على ذريته الشريفة أنواره رضى الله عنه رضاه عن الائمة المتقين وجعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين

وحمل الى القادر بالله بعض ما كان أخذ من دار الخلافة من الاثاث والاواني والآلات وجعل كُتَّابه وحجَّابه وحواشيه جميعهم من أصحاب بهاء الدولة ثم أعاد القادر بالله بعد ذلك حاشية الدار القدماء الى مواضعهم. وكان مدة مقامه (٣٠١) بالبطيحة من يوم وصلها الى يوم خرج منها سنتين واحد عشر شهرا.

فاما أخت بهاء الدولة التى كانت فى حبال الطائع لله فان دارها حرست يوم القبض من النهب ثم نقلت الي دار بشرعة الصحراء أقامت فيها موقرة الى ان توفيت

وفى هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الدولة أبى المعالى ابن سيف الدولة بعد قتله بكجور غلامه (١)

﴿شرح الحال فى عصيان بكجور وما آل اليه أمره من﴾
﴿القتل ونُبذ من أخبار المصريين تتصل بها﴾
(في هذه السنة وما بعدها)

كان لسعد الدولة غلام يعرف ببكجور فاصطنعه وقلده الرقة والرحبة واستكتب له أبا الحسن على بن الحسين المغربى. فلما طالت مدته في ولايته جحد الاحسان وحدَّث نفسه بالعصيان واستغوى طائفة من رفقائه فصاروا اليه وخرج الي أبى الحسن المغربى بسره فاشار اليه بمكاتبة صاحب مصر الملقب بالعزيز والتحيز اليه فقبل منه وكاتبه واستأذنه فى قصد بابه فاذن له.

(١) وأما ابتداء أمر بكجور هذا فليراجع تاريخ ابن القلانسي ص ٢٧

وسار عن الرقة بعدان خلف عليها سلامة الرشيقى غلامه وأخذ رهائن أهلها على الطاعة . فلقيته كُتب صاحب مصر وخلعه (٣٠٢) وعهده على دمشق فنزل بها وتسلمها ممن كان واليًا عليها . ووجد احداثها وشبانها مستولين ففتك بهم وقتل منهم وقامت هيبته بذلك [1] وترددت بينه وبين عيسى بن نسطورس الوزير مكاتبات خاطبه فيها بكجور بخطاب توقّع عيسى أوفى منه ففسد ما بينهما وأسرّ عيسى العداوة له وأساء غيبهُ وقطع بكجور مكاتبة عيسى وشكاه الى صاحب مصر فامر عيسى باستئناف الجميل معه فقبل ظاهرا وخالف باطنا . وخاف بكجور عيسى ومكيدته فاستمال طوائف من العرب وصاهرهم فمالوا اليه رغبة وعاد الى الرقة وكتب اليه صاحب مصر يعاتبه على فعله فاجابه جواب المعتذر الملاطف

﴿ ذكر السبب فى مسير بكجور الى حلب ﴾
﴿ لقتال مولاه [2] ﴾

كان لبكجور رفقاء بحلب يوادونه فكاتبوه وأطمعوه فى الامر وأعلموه تشاغل سعد الدولة باللذة فاغترّ باقوالهم وكتب الى صاحب مصر يبذل له فتح حلب ويطلب منه الانجاد والمعونة فاجابه الى كل ملتمس وكتب الي نزّال الغورى والى طرابلس بالمسير اليه متى [3] استدعاه من غير معاودة وكان نزّال هذا (٣٠٣) من قواد المغاربة وصناديدهم ومن صنائع عيسى وخواصه

---

(١) وهذا فى سنة ٣٧٧ : ابن القلانسي ص ٣٠ (٢) ليراجع ابن القلانسي ص ٣٤ (٣) وفى الاصل : من

(ذكر الحيلة التي رتبها عيسى مع نزال في)
﴿ التقاعد ببكجور حتى ورطه ﴾

كتب عيسى الى نزال سراً بان يظهر لبكجور المسارعة ويبطن له المدافعة فاذا تورط مع مولاه وصادمه تأخر عنه وأسلمه . فرحل بكجور عن الرقة وكتب الى نزال بان يسير من طرابلس ليكون وصولهما الى حلب في وقت واحد وسار اليها . ورحل نزال وأبطأ في سيره وواصل مكاتبة بكجور بنزوله في منزل بعد منزل وقرب عليه الامر في وصوله . وقد كان سعد الدولة كتب الى بسيل عظيم الروم وأعلمه عصيان بكجور عليه وسأله مكاتبة البرجي صاحبه بانطاكية بالمسير اليه متى استنجده فكاتبه بسيل بذلك فلما وافى بكجور كتب سعد الدولة الى البرجي بالمسير اليه فسار . وبرز سعد الدولة في غلمانه وطوائف عسكره (ولؤلؤ الجراحي الكبير يحجبه) ولم يكن معه من العرب الا عمرو بن كلاب وعدتهم خمسمائة فارس الا انهم أولو بأس ومن سواهم من (١) عدته وعُدته فنزل الى الارض وصلّي وعفر خديه وسأل الله تعالى النصر . ثم استدعى كاتبه وأمره بان يكتب الى (٣٠٤) بكجور عنه ويستعطفه ويذكره الله ويبذل له ان يقطعه من الرقة الى باب حمص ويدعوه الى الموادعة ورعاية حق الرق والعبودية . ومضى بالكتاب رسول فأوصله اليه فلما وقف عليه قال : الجواب ماتراه عيانا . فعاد الرسول وأعاد على سعد الدولة قوله وأخبره انه سائر على أثره . فتقدم سعد الدولة وتقارب العسكران ورتب المصاف ووقع الطراد

---

(١) زاد هاهنا ابن القلانسي ص ٣٤ : ومن سواهم من بطون العرب بني كلاب مع بكجور . . . . وأعجبه (يعني سعد الدولة) ما رأى من عدته وعدته الخ

﴿ ذكر جود عاد على سعد الدولة بحفظ دولته ﴾

﴿ وشح آل بكجور الى ذهاب مهجته ﴾

كان الفارس من أصحاب سعد الدولة اذا عاد اليه وقد طُعِن أو جُرح خلع عليه وأحسن اليه وكان بكجور شحيحا فاذا عاد اليه زجل من رجاله على هذه الحال أمر بان يكتب اسمه لينظر مستأنفا في أمره . وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وأمنهم ووعدهم ورغبهم فلما حصلت كتُبه بالامان معهم عطفوا على [1] سواده ونهبوه واستأمنوا الى سعد الدولة . ورأى بكجور ما تم عليه من تقاعد نزّاله به وانصراف العرب عنه وتأخر رفقائه الذين كانوا كاتبوه ووعدوه بالانحياز اليه اذا شاهدوه فاستدعى أبا الحسن المغربي كاتبه وقال له : لقد غررتني فما الرأي الآن ؟ قال له : أيها الامير لم أكذبك في شيء قلته ولا أردت (٣٠٥) الا نصحك والصواب مع هذه الاسباب ان ترجع الي الرقة وتكاتب صاحب مصر بما اعتمده نزّال معك وتعاود استنجاده . وكان في العسكر قائد من القواد يجري مجراه في التقدم فسمع ما جرى بينهما فقال لبكجور : هذا كاتبك اذا جلس في دسته قال « الاقلام تنكس الاعلام » فاذا تحققت الحقائق أشار علينا بالهرب والله لا هربنا . وحلف بالطلاق على ذلك وسمع أبو الحسن المغربي قوله فخاف وكان قد واقف بدويا من بني كلاب على ان يحمله الى الرقة متى كانت هزيمة وبذل له الف دينار على ذلك فلما استشعر ما استشعر قدّم ما كان أخّره وسأل البدوي تسييره الى الرقة فسيّره

---

(١) وفي الاصل : عن

﴿ ذكر ما دبره بكجور بفضل شجاعته فحالت ﴾
﴿ المقادير دون ارادته ﴾

لما رأى الامر معضلا عمل على ان يعمد الى الموضع الذي فيه سعد الدولة من المصاف ويحمل عليه بنفسه ومن ينتخبه من صناديد عسكره موقعا به فاختار وجوه غلمانه وقال لهم : قد حصلنا من هذه الحرب على شرف أمرين صعبين من هزيمة وهلاك وقد عوّلت على كيت وكيت فان ساعدتموني رجوت لكم الفتح . فقالوا : نحن طوعك وما نرغب بنفوسنا عن نفسك . فغدر واحد من الغلمان واستأمن الى لؤلؤ (٣٠٦) الجراحي وأعلمه بما عوّل عليه

﴿ ذكر مافعله لؤلؤ من افتداء مولاه بنفسه ﴾
﴿ فنجاهما الله بحسن النية ﴾

أسرع لؤلؤ الى سعد الدولة وأخبره الحال وقال : قد أيس بكجور من نفسه وهو لاشك فاعل ما قد عزم عليه فانتقل من مكانك الى مكاني لاقف أنا في موضعك وأكون وقاية لك ولدولتك . فقبل سعد الدولة رأيه ووقف لؤلؤ تحت الراية وجال بكجور في أربعمائة غلام شاكين في السلاح ثم حمل في عقيب جولته حملة أفرجت له العساكر ولم يزل يخبط من تلقاه بالسيف الى ان وصل الى لؤلؤ وهو يظنه سعد الدولة فضربه على الخوذة ضربة قدّها ووصلت الى رأسه ووقع لؤلؤ الى الارض . وحمل العسكر على بكجور وبادر سعد الدولة عائدا الى مكانه مظهرا نفسه لغلمانه فلما رأوه قويت شوكتهم وثبتت أقدامهم واشتدوا في القتال حتي استفرغ بكجور وسعهُ ثم انهزم في سبعة نفر

﴿ ذكر ما جري عليه أمر بكجور بعد الهزيمة الى ان قُتل ﴾

كان تحته فرس ثمنه الف دينار فانتهى الى ساقيــة تحمل الماء الى رحا الطريق سعتها (٣٠٧) قدر ذراعين فجهد الفرس على ان يعبرها خوضا أو وثباً فلم يكن فيــه ووقف ولحقته عشرة فوارس من العرب فرجلتــهُ وأصحابه وجرّدوهم من ثيابهم وآبواعهم بأسلابهم ونجا بكجور ومن معه الى الرحا فاستكنوا فيه ثم خرجوا من بعد الى قراح فيه زرع فمرّ بهم قوم من العرب وكان فيهم رجل من بنى قطن كان بكجور يستخدمه كثيرا فى مهماته فناداه « أن ارجع » فرجع وهو لا يعرفه فاخذ ذمامه . ثم عرّفه نفسه وبذل له على ايصاله الرقة حمل بعيره ذهبا فاردفه وحمله الى بيته وكساه . وكان سعدالدولة قد بثّ الخيل في طلبه وجعل لمن أحضره حكمه فساء ظن البدوي وطمع فيما كان سعد الدولة بذله واستشار ابن عمه فى أمره فقال له : هو رجل بخيل وربما غدر فى وعده واذا قصدت سـعد الدولة به حظيت برفده . فاسرع البدوى الى معسكر سعد الدولة وأشعره بحال بكجور واحتــكم عليه مائتى فدان زراعة ومائة الف درهم ومائة راحلة محملة براً وخمسين قطعة ثيابا فبذل له سـعد الدولة ذلك جميعه . وعرف لؤلؤ الجراحي الخـبر وتقرّر ان يمضى البدوي ويحضره فتحامل وهو مثخن بالضربة التى أصابته ومشى يتهادى على أيدي غلمانه حتى حضر عند سعد الدولة

﴿ ذكر حزم أخذ به لؤلؤ دل منه (٣٠٨) على اصالة رأى ﴾

لما حضر سأل عما يقوله البدوى فاخـبر به فقبض لؤلؤ على يده وقال له : أين أهلك . فقال : في المرج على فرسخ . فاســتدعى جماعـة من غلمانه وأمرهم ان يسرعوا الى الحلة ويقبضوا على بكجور ويحمـلوه فتوجهوا وهو

قابض على يد البدوي والبدوى يستغيث . فقدم لؤلؤ الى سعد الدولة وقال : يامولانا لا تنكر عليّ فعلى فانه منى عن استظهار فى خدمتك فلو عاد هذا البدوى الى بيته لم نأمن ان يبذل له بكجور مالا جما فيقبل منه وتطلب منه بعد ذلك أثرا بعد عين والذى طلبه البدوى مبذول وما ضر الاحتياط . فقال له سعد الدولة : أحسنت ياأبا محمد لله درك . ولم يمض ساعات حتى أحضر بكجور فشاور سعد الدولة لؤلؤاً في أمره فاشار عليه بقتله خوفا من أن تسأل أخت سعد الدولة فيه فيفرج عنه فأمر عند ذلك بضرب عنقه

فسار سعد الدولة الي الرقة فنزل عليها وفيها سلامة الرشيقي وأبو الحسن المغربي وأولاد بكجور وحرمه وأمواله ونعمه فارسل الى سلامة يلتمس منه تسليم البلد فاجابه : باني عبدك وعبد عبدك الا ان لبكجور عليّ عهوداً ومواثيق لا مخلص لي عند الله منها الا باحد أمرين اما انك تذم لاولاده على نفوسهم وحرمهم (٣٠٩) وتقتصر فيما تأخذه منهم على آلات الحرب وعددها وتحلف لهم على الوفاء به واما بان أبلى (١) عذرا عند الله تعالى فيما أخذ عليّ من عهد وعقد معى من عقد . فاجابه سعد الدولة الى ما اشترطه من الذمام وحلف له بيمين مستوفاة الاقسام ودخل فيها الامان لابي الحسن المغربى بعد ان كان قد هدر دمه الا انه أمنه على ان يقيم في بلاده فهرب الى الكوفة وأقام بمشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر سلامة الرشيقى وأولاد بكجور ﴾

﴿ فى خروجهم من الرقة وغدر سعد الدولة ﴾

لما توثق سلامة لنفسه ولاولاد بكجور سلّم حصن الرافقة وخرجوا

(١) في الاصل أبى : والصواب عند ابن القلانسي

منها ومعهم من الاموال والزينة ما كثر في عين سعد الدولة فانه كان يشاهدهم من وراء سرادقه وبين يديه ابن ابى الحصين القاضى وقال له : ما ظننت ان حال بكجور انتهت الى ما أراه من هذه الاثقال والاموال . فقال له ابن أبى الحصين : ان بكجور وأولاده مماليكك وكلما ملكه وملكوه هو لك لا حرج عليك فيما تأخذه منهم ولا حنث فى الايمان التى حلفت بها ومهما كان فيها من وزر واثم فعليّ دونك . (٣١٠) فلما سمع هذا القول أصغى اليه وغدر بهم وقبض على جميع ما كان معهم

فما كان أسوأ محضر هذا القاضى الذى حسّن لسعد الدولة تسويل الشيطان وأفتاه بنقض الايمان ثم لم يقنع بما زين له من غدره ولبّس عليه من أمره حتى تكفل له بحمل وزره . وهل أحد حامل وزر غيره أما سمع قول الله تعالى في أهل الضلالة : وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتّبعوا سبيلَنا ولْنحمِل خطايا كم وما هُم بحاملينَ من خطاياهُم من شيءٍ انهم لكاذبون .

وكان أولاد بكجور كتبوا الى العزيز بما جرى على والدهم وسألوه مكاتبة سعد الدولة بالابقاء عليهم

﴿ ذكر ما جرى بين صاحب مصر وسعد الدولة ﴾

﴿ من المراسلات وما اتفق من وفاة ﴾

(سعد الدولة بعقب ذلك)

كتب صاحب مصر اليه كتابا يتوعده فيه ويأمره بالابقاء عليهم وتسييرهم الى مصر موفورين ويقول فى آخره : فان خالفت كنت خصمك ووجّهت العساكر نحوك . وأنفذ الكتاب مع فائق الصقلبي [١] أحد

---

(١) وفي الاصل : الصقلي . والصواب عند ابن القلانسي ص ٣٨

خواصه وسيّره على نجيب اسراعا به فوصل فائق الى سعد الدولة وقدوصل من الرقة الى ظاهر حلب وأوصل اليه الكتاب فلما وقف عليه جمع وجوه عسكره وقرأه عليهم ثم قال لهم : ما [٣١١] الرأي عندكم . قالوا له : نحن عبيد طاعتك ومهما أمرتنا به كنا عند طاعتك منه . فامر باحضار فائق فاهانه وقال له [١] عد الى صاحبك وقل له « لستُ ممن يستفزه وعيدك وما بك حاجة الى تجهيز عسكر اليّ فانى سائر اليك وخبرى يأتيك من الرملة . وقدّم قطعة من عسكره الى حمص امامه وعاد فائق الى صاحبه فعرّفه ما سمعه ورآه فازعجه وأقلقه . وأقام سعد الدولة بظاهر حلب أياما ليرتب أموره ويتبع العسكر الذي تقدّمه فعرض له القولنج أشفي منه وعاد الى البلد متداويا وابلّ وهنّي بالسلامة . وعول على العود الى المعسكر فحضرَت فراشه فى الليلة التى عزم على الركوب فى صبيحتها احدى حظاياه وتبعتها النفس الشهوانية المهلكة فواقعها وسقط عنها وقد جف نصفه وعرفت أخته الصورة فدخلت اليه وهو يجود بنفسه واستدعى الطبيب فاشار بسجر الند [٢] والعنبر حوله فافاق قليلا فقال له الطبيب : اعطني يدك أيها الامير لآخُذَ مجسك . فاعطاه اليسري فقال : يامولانا اليمين . فقال : أيها الطبيب ما تركت لى اليمين يمينا . فكانه تذكّر ما فرط من خيانته وندم على نقض العهد ونكثه ومضت عليه ثلاث ليال وقضى نحبه بعد ان قلّد عهده لولده أبى الفضائل ووصّى الى لؤلؤ الجراحى به [٣١٢] وببقية ولده

(١) وزاد ابن القلانسي انه أمر باعطائه الكتاب ولطمه حتى يأكله
(٢) وفي الاصل : النار . والصواب ما قاله ابن القلانسي

﴿ ذكر قيام أبي الفضائل ابن سعد الدولة بعد أبيه ﴾
﴿ وما جرى له مع العساكر المصرية ﴾

جدّ لؤلؤ فى نصب أبي الفضائل في الامر وأخذ له البيعة على الجند. وتراجعت العساكر الى حلب واستأمن منها الى صاحب [مصر] وفاء الصقلي (١) وبشارة الاخشيدي ورباح وقوم آخرون فقبلهم وأحسن اليهم وولّى كل منهم بلداً.

وقد كان أبو الحسن المغربى بعد حصوله فى المشهد بالكوفة كاتب صاحب مصر وصار بعد المكاتبة الى بابه فلما توفى سعد الدولة عظّم أمر حلب عنده وكثّر له أموالها وهون عليه حصولها وأشار باصطناع أحد الغلمان وانفاذه اليها. فقبل منه اشارته وقدّم غلاما يسمى منجوتكين نخوّله وموّله ورفع قدره ونوّه بذكره وأمر القواد والاكابر بالترجل له وولاه الشام واستكتب له أحمد بن محمد القشوري وسيّره الى حلب وضمّ اليه أبا الحسن المغربي ليقوم بالامر والتدبير

﴿ ذكر مسير منجوتكين من مصر الي حلب ﴾
﴿ ونزوله عليها (٣١٣) ﴾

لما وصل الى دمشق تلقاه قوادها وأهلها وعساكر الشام كلها فاقام بها مدة ثم رحل الى حلب وقد استعد واحتشد ونزلها فى ثلاثين الف رجل وتحصن أبو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد. وقد كان لؤلؤ عند معرفته بورود العساكر المصرية كتب الى بسيل عظيم الروم وذكره ما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة وبذل له عن أبي الفضائل ولده الجرى

(١) وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٣٩ : رقى الصقلبي

على تلك العادة وحمل اليه ألطافا كثيرة واستنجده وأنفذ اليه ملكوتا (١) السرياني رسولا. فوصل اليه ملكوتا وهو بازاء عساكر ملك البلغر مقاتلا فقبل ما ورد فيه وكتب الى البرجي صاحبه بانطاكية بجمع عساكر الروم وقصد حلب ودفع المغاربة عنها. فسار البرجي في خمسة آلاف رجل ونزل بجسر الحديد بين انطاكية وحلب وعرف منجوتكين وأبو الحسن ذلك فجمعا وجوه العسكر وشاورهم في تدبير الامر

﴿ ذكر مشورة أنتجت رأيا سديدا كان في ﴾

﴿ أثنائه الظفر بالروم ﴾

أشار ذو الرأي والحصافة منهم بالانصراف عن حلب وقصد الروم (٣١٤) والابتداء بهم ومناجزتهم لئلا يحصلوا بين عدوين فاجمعوا على ذلك وساروا حتي صار بينهم وبين الروم النهر المعروف بالمقلوب. فلما تراءى الجمعان تراموا بالنشاب وبينهم النهر وليس للفريقين طريق الي العبور. فبرز من الديلم الذين في جملة منجوتكين شيخ في يديه ترس وثلاث زوبينات ورمى بنفسه الى الماء والمسلمون ينظرون اليه والروم يرمونه بالنبل والحجارة وهو يسبح قدماً والترس في يده والماء الى صدره وشاهد المسلمون ذلك وطرحوا نفوسهم فى أثره وطرحت العرب خيولهم فى النهر وهجم العسكر عن المخاض وحصلوا مع الروم على أرض واحدة ومنجوتكين يمنعهم فلا يمتنعون. وأنزل الله تعالي النصر عليهم وولّى الروم أدبارهم (٢)

---

(١) فى الاصل: ملكونا. والصواب عند ابن القلانسى ص ٤١ ص ١٤ (٢) وفي ابن القلانسى ص ٤٢: وولت الروم وأعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون ونكوا فيهم النكاية الوافية قتلا وأسراً وفلاّ وقهراً وأفلت البرجى الخ

بين مقتول ومأسور ومفلول . وأفلت البرجى في عدد قليل وغنمت منهم الغنيمة الكثيرة وجمع من رؤس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس وحملت الى مصر . وتمم منجوتكين الى انطاكية ونهب رساتيقها وأحرقها وكان وقت ادراك الغلة فانفذ لؤلؤ وأحرق ما يقارب حلب منها اضراراً بالعسكر المصرى وقاطعا للميرة عليهم . وكرّ منجوتكين راجعا الى حلب

﴿ ذكر تدبير لطيف دبره لؤلو في صرف العساكر المصرية عن حلب (٣١٥) ﴾

لما رأى لولو هزيمة الروم وقوّة العساكر المصرية وضعفه عن مقاومتهم كاتب أبا الحسن المغربى والقشورى ورغبهما في المال وبذل لهما منه ما استمالهما به وسألهما المشورة على منجوتكين بالانصراف عن حلب فى هذا العام والمعاودة في [العام] القابل لعلة تعذُّر الاقوات والعلوفات . فاجاباه الى ذلك وخاطبا منجوتكين به فصادف قولهما منه شوقا الى دمشق وخفض العيش وضجر من الاسفار والحروب وكتبت الجماعة الى صاحب مصر بهذه الصورة واستأذناه في الانكفاء فقبل ان يصل الكتاب ويعود الجواب رحلوا عائدين وعرف صاحب مصر ذلك فاستشاط غضبا ووجد أعداء أبى الحسن المغربي طريقا الى الطعن عليه فصرفه بصالح بن على الروذباري

﴿ ذكر مادبره المتلقب بالعزيز في امداد العسكر بالميرة واعادتهم الى حلب ﴾

آلى على نفسه ان يمدّ العسكر بالميرة من غلاّت مصر فحمل مائة الف تلّيس (والتليس قفيزان بالمعدّل) فى البحر الي طرابلس ومنها على الظهور

الى حصن افامية : ورجع منجوتكين في السنة الثانية الى حلب ونزل عليها وصالح بن على الروذبارى المدبر فكان يوقع للغلمان بجراياتهم وقضيم دوابهم الى افامية على (٣١٦) خمسة وعشرين فرسخا فيمضون ويقبضونها ويعودون بها وأقاموا ثلاثة عشر شهرا وبنوا الحمامات والخانات والاسواق وأبو الفضائل ولولو ومن معهما متحصنون بالبلد وتعذّرت الاقوات عندهم فكان لولو يبتاع القفيز من الحنطة بثلاثة دنانير ويبيعها على الناس بدينار رفقا بهم ويفتح الابواب فى الايام ويخرج من البلد من تمنعه المضرتان عن المقام (١) وأشير على منجوتكين بتتبع من يخرج وقتله ليمتنع الناس من الخروج ليضيق الاقوات عندهم فلم يفعل . وأنفذ لولو في أثناء هذه الاحوال ملكوثا الى بسيل عظيم الروم معاودا لاستنجاده وكان بسيل قد توسط بلاد البلغر فقصده ملكوثا الى موضعه وأوصل اليه الكتاب وقال له : متى أُخذت حلب فُتحت انطاكية بعدها وأتعبك التلافى واذا سرت بنفسك حفظت البلدين جميعا وسائر الاعمال

﴿ ذكر مسير بسيل الى الشام لقتال العساكر ﴾
﴿ المصرية وما جرى عليه أمره في ذلك ﴾

لما سمع بسيل قول ملكوثا سار نحو حلب وبينه وبينها ثلثمائة فرسخ فقطعها في ستة وعشرين يوما وقاد الجنائب بايدى الفرسان وحمل الرجالة على البغال (٣١٧) . وكان الزمان ربيعا وقد أنفذ منجوتكين وعسكره كراعهم الى المروج لترعى فيها وقرب هجوم بسيل عليهم من حيث لايشعرون

(١) كذا في الاصل وعند ابن القلانسى ص ٤٣ : ويخرج من الناس من أراد من الفقراء من الجوع وطول المقام وقد كان أشير الخ . والمضرتان هما الجوع والوبا

﴿ ذكر ما دبره واعتمده لولو من رعاية حرمة الاسلام ﴾
﴿ وانذار منجوتكين بخبر هجوم الروم ﴾

أرسل الى منجوتكين يقول له : ان عصمة الاسلام الجامعة لنا تدعوني الى انذاركم والنصح لكم وقد أظلكم بسيل في جيوش الروم فخذوا الحذر لانفسكم : وجاءت طلائع منجوتكين بمثل الخبر فاحرق الخزائن والاسواق والابنية التي كان استحدثها ورحل فى الحال منهزما . ووافي بسيل فنزل على باب حلب وخرج اليه أبو الفضائل ولولو ولقياه ثم عاد ورحل في اليوم الثالث الى الشام . وفتح حمص ونهب وسبي ونزل على طرابلس فمنعت جانبها منه فاقام نيفاً وأربعين يوما فلما أيس منها عاد الي بلاد الروم .

وانتهى الخبر الي صاحب مصر فعظم ذلك عليه وأمر فنودي بالنفير فنفر الناس

﴿ ذكر مسير المتلقب بالعزيز من (٣١٨) مصر لغزو ﴾
﴿ الروم وما اتفق من موته وجلوس ولده ﴾
(المتلقب بالحاكم فى موضعه)

خرج من داره مستصحبا جميع عساكره وعدده وأمواله وسار منها مسافة عشرة فراسخ حتى نزل بلبيس (١) وأقام بظاهرها . وعارضته علل كثيرة أيس منها من نفسه فاوصى الى ارجوان (٢) الخادم الذى كان خصيصا به ومتوليا لامر داره بولده المتلقب بالحاكم من بعده ثم قضى نحبه . وقام أرجوان بامر الحاكم ودعا الناس الى البيعة وحالفهم على الطاعة وأطلق لهم العطاء

(١) وفى الاصل : بتلبيس . والصواب عندابن القلانسي ص ٤٤ (٢) أو : برجوان

وذلك في شهر رمضان سنة ٣٨٦ وانكفأ الحاكم الى قصر أبيه وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة

وتقدم أبو محمد الحسن بن عمّار وكان شيخ كُتامة وسيدها ويلقب بامين الدولة وهو أول من لقِّب فى دولة المغاربة ونفذت أوامره فى الخزائن والاموال اطلاقا وعطاء حتى على جواري القصر هبة وعتقا واستولى أصحابه وقلّت مبالاتهم وأشاروا عليه بقتل الحاكم فلم يعبأ به استصغاراً لسنِّه واستهانة بامره . وارجوان في أثناء ذلك يحرس الحاكم ويلازمه ويمنعه الركوب والظهور من قصره .

واتفق شكر العضدي معه فتعاضدا وصارت كلمتهما واحدة (٣١٩) حتى تمّ لهما ما أراداه

(ذكر ما دبره ارجوان فى أمر ابن عمار ومكاتبة)
(منجوتكين والاستنصار به عليه)

لما زاد أمر ابن عمار في تمكُّنه كتب ارجوان الى منجوتكين وشكا اليه ما هم فيه ودعاه الي قصد مصر ومقابلة نعمة العزيز عنده وكشف هذه الغمة عن ولده . فتقبل منجوتكين كتابه وركب الي المسجد الجامع بثياب المصيبة وجمع الناس وذكرهم جميل العزيز اليهم ثم خرج الي ذكر ماله عليه خاصة من الاصطناع وما يلزمه من خدمة ولده بعده ثم ذكر تغلُّب ابن عمار على الملك وسوء سيرته وما يلقاه أئمتنا المقيمون بمصر من الذلة والهوان وبكى بكاء شديداً رقّت له القلوب وخرّق ثيابه واقتدى الناس به في البكاء وتخريق الثياب وأجابوه الي الطاعة وبذل المهج من غير التماس عطاء ولا مؤونة . فشكرهم وعاد الي داره وأجمع أمره للمسير فسار الي الرملة

﴿ ذكر ما دبره ابن عمار في تجهيز (٣٢٠) الجيش ﴾
﴿ وما آل اليه أمر منجوتكين من الهزيمة ﴾

لما وصل الخبر الى ابن عمار بما فعله منجوتكين عظم عليه وجمع وجوه كتامة (١) وأخبرهم بما تجدد وأظهر ان منجوتكين قد عصى على الحاكم فبذلوا الطاعة والانتهاء الى ما يأمرهم به. وأحضر أرجوان وشكر العضدى واستمالهما واستحلفهما على المساعدة والمعاضدة فحلفا له اضطرارا. وندب العساكر لقتال منجوتكين وقدّم أبا تميم سالم (٢) بن جعفر عليها وأمدّه من الاموال والعدد ما أسرف فيه. وكان عيسى بن نسطورس على حاله في الوزارة فبلغه عنه ما أنكره فضرب عنقه.

وسار أبو تميم من مصر ورحل منجوتكين من الرملة بعد ان ملكها والتقيا بعسقلان وتواقعا فاجلت الوقعة عن هزيمة منجوتكين وأصحابه وتتبعوا. وجعل أبو تميم لمن يأتيه بمنجوتكين عشرة آلاف دينار ومائة ثوب فانبثّت العرب في طلبه وأدركه على بن الجراح فاسره وجاء به الى أبي تميم فسلمه اليه وقبض المال منه. فحُمل الى مصر وأبقى ابن عمار عليه واصطنعه وأحسن اليه استمالة للمشارقة بذلك. وسار أبو تميم فنزل طبرية وأنفذ أخاه علياً الي دمشق فاعتصم أهلها عليه ومنعوه الدخول وكاتب أخاه بعصيانهم واستأذنه (٣٢١) في قتالهم فكتب أبو تميم الي متقدميهم من الاشراف والشيوخ وحذرهم عواقب فعل سفهائهم فلما وصل الكتاب اليهم خافوا وخرجوا الى على مذعنين بالطاعة ومنكرين لما فعله أهل الجهالة فلم يعبأ بقولهم وزحف الى باب البلد فملكه وأحرق وقتل وعاد الي معسكره. ووافى أبو

(١) وفي الاصل: كتابه (٢) وعند ابن القلانسي ص ٤٦ سليمان. وهو ابن فلاح

تميم في غد فانكر على أخيه مافعله وتلقاه وجوه الناس فشكوا اليه ما أظلهم فاحسن لقاءهم وأمن جناتهم فسكنوا وعادوا الى معايشهم

﴿ ذكر ما اعتمده أبو تميم الكتامى [1] من ﴾
﴿ حسن سيرة ملك بها قلوب الرعية ﴾

ركب الى المسجد الجامع في يوم الجمعة بزي أهل الوقار واجتاز في البلد بسكينة وبين يديه القرّاء وقوم يفرّقون الدراهم على أهل المسكنة وصلّى الجمعة وعاد الى القصر الذى نزله بظاهر دمشق وقد استمال قلوب العامة بما فعله . ثم نظر في الظلامات وأطلق من المحبوس جماعة من أهل الجنايات فازدادوا له حباً واستقرت قدمه واستقام أمره . وعدل من بعد الى النظر في أمور السواحل فهذّبها وولّى أخاه طرابلس وصرف عنها جيش [2] بن الصمصامة وكان جيش هذا من شيوخ (٣٢٢) كُتامة أيضا الا انه كانت بينه وبين أبي تميم عداوة . فلما عزله عن طرابلس مضى الي مصر وجها واحدا واجتمع مع ارجوان سراً ورمي نفسه عليه فقبله وبذل له المعاونة . ورأى أرجوان الفرصة قد أمكنت ببعد كتامة عن مصر الا العدد القليل منهم فقرر مع الاتراك المشارقة الفتك بهم وأحكم الامر فى الاستيثاق . وأحسّ ابن عمار بذلك فعمل على الفتك بارجوان وسبقه الى ما يحاوله منه

﴿ ذكر ما همّ به ابن عمار من الفتك بارجوان وشكر ﴾
﴿ وما دبراه فى التحرّز منه حتى سلما ﴾
(منه وتورّط هو)

رتب ابن عمار جماعة فى دهليزه ووافقهم على الايقاع بارجوان وشكر

(١) وفي الاصل : الكناني (٢) وفي الاصل : حبش

اذا دخلا داره . وكان لارجوان عيون على ابن عمار فصاروا اليه وأخبروه عما قد رتبه فاجتمع ارجوان وشكر وتفاوضا الرأي في التحرز مما بلغهما وقررا بينهما ان يركبا عند ركوبهما جماعة من الغلمان يتبعوهما فان أحسا على باب ابن عمار بما يريبهما رجعا القهقرى وفى ظهورهما من يمنع عنهما . فرتبا ذلك وتوجها الي دار ابن عمار فلما (٣٢٣) قربا من الباب بانت لهما شواهد الشر وما كانا أُخبرا به فكرّا ركضاً ومنع عنهما الغلمان الذين كانوا وراءهما ودخلا قصر الحاكم باكيين صارخين وثارت الفتنة . واجتمع المشارقة وعبيد الشرى على باب القصر وركب الحسن بن عمار في كُتَامة ومن انضاف اليهم من القبائل الى الصحراء وفتح ارجوان الخزائن ففرق الاموال وحثّ الرجال . وبرز ثلاثة من وجوه الاتراك فى خمسمائة فارس لقتالهم فواقعوهم وكسروهم وهرب ابن عمار واستتر عند بعض العامة

(ذكر ما دبر به ارجوان أمر الملك)

لما تمّ له الظفر فتح باب القصر وأخرج الحاكم وأجلسه وأخذ له بيعة مجدّدة على الجند وأمن وجوه كُتامة وقوادها فحضروا وأعطوا أيديهم بالطاعة ومهد الامور في يومه وليلته . وكتب الملطفات الي الاشراف والي وجوه العامة بدمشق بالايقاع بابي تميم ونهبه والي المشارقة بمعاونتهم عليه

(ذكر ما تم على أبى تميم من أهل دمشق (٣٢٤))
(بقلة حزمه وضعف رأيه)

كان أبو تميم مع سياسته مستهترا باللذات ووصلت الملطّفات وأبو تميم مشغول بلهوه فلم يشعر الا بهجوم المشارقة والعامة على قصره فخرج هاربا

على ظهر فرسه ونهبوا خزائنه وأوقعوا بمن كان فيه من كتامة وعادت الفتنة بدمشق واستولي الاحداث . وكان فهد بن ابراهيم النصراني المكنى بابي العلاء يكتب لارجوان من قبل فلما صار الامر اليه استوزره . ولم يزل ارجوان (١) يتلطف للحسن بن عمار حتى أخرجه من استتاره وأعاده الي داره وأجراه على رسمه في اقطاعاته واشترط عليه اغلاق بابه واستحلفه على لزوم الطريقة المستقيمة .

وكان أهل صور قد عصوا وأمّروا عليهم رجلا ملاحا يعرف بالعلاّقة وكان المفرّج (٢) بن دغفل بن الجراح قد نزل على الرملة وعاث في البلاد وانضاف الي هذين الحادثين نزول الدوقس صاحب الروم في عسكر كثير على حصن افامية . فاصطنع ارجوان جيش بن محمد بن الصمصامة وقدّمه وجهز معه عسكراً وسيّره الي دمشق وبسط يده في الاموال ونفذ أمره في الاعمال

(ذكر ما جرى عليه أمر جيش (٣٢٥) بن الصمصامة)
(في هذا الوجه الى ان توفي)

سار جيش ونزل على الرملة وعليها وحيد الهلالي والياً فتلقاه طائعا وصادف أبا تميم بها فقبض عليه قبضا جميلا . وندب أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر الي صور بعد ان كان أنفذ اليها مراكب في البحر مشحونة بالرجال فاحاطت العساكر بها براً وبحراً . وضعف أهل صور عن القتال وأخذ العلاقة فحمل الي مصر فسلخ وصلب بها وأقام ابن حمدان بصور والياً عليها

(١) الاصل محرف والصواب عند ابن القلانسي ص ٥ . (٢) وفي الاصل : الفرج

وسار جيش لقصد المفرّج بن دغفل بن الجرّاح فهرب من بين يديه واتبعه حتى كاد يدركه فضاقت الارض على ابن الجراح وعاذ بالصفح وأنفذ اليه عجائز نسائه يطلب الامان فكف جيش عنه وأمنه واستحلفه على ما قرره معه وعاد سائرا الى عسكر الروم النازل على حصن افامية . فلما وصل الى دمشق تلقاه أهلها في اشرافها ووجوه احداثها مذعنين له بالانقياد راغبين اليه في استصحابهم للجهاد فجزاهم خيراً

﴿ ذكر مكيدة بدأ جيش بها في هذه النوبة مع احداث ﴾
﴿ دمشق الى ان أمكنته [٣٢٦] الفرصة منهم في ﴾
(الكرّة الثانية)

أقبل على رؤساء الاحداث وبذل لهم الجميل ونادى في البلد برفع المؤن واباحة دم كل مغربي يتعرض لفساد فاجتمعت الرعية وشكروه وسألوه دخول البلد والنزول بينهم فلم يفعل وأقام ثلاثة أيام وسار بعد ان خلع على رؤساء الاحداث ووصلهم ونزل بحمص واجتمعت عساكر الشام وتوجه الى حصن افامية . فوجد أهلها وقد اشتد بهم الحصار فنزل بازاء عسكر الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب ويعرف بالعاصى . ثم التقى الفريقان من بعد وتنازعا الحرب وكان المسلمون يومئذ في عشرة آلاف من الطوائف والف فارس من بنى كلاب فحملت الروم على المسلمين فزحزحوهم عن مصافهم وانهزمت الميمنة والميسرة واستولى الروم على كراعهم وعطفت بنو كلاب على أكثر ذلك فنهبوه وثبت بشارة الاخشيدى في خمسمائة فارس ، ورأى من في حصن افامية من المسلمين ما أصاب اخوانهم فأيسوا من نفوسهم وابتهلوا الى الله تعالى يسألونه الرحمة فاستجاب لهم

﴿ ذكر ما أنزل الله تعالى على المسلمين [٣٢٧] من النصر فقتل ﴾
﴿ زعيم الروم على يد أحدهم ﴾

كان الدوقس [١] قد وقف على رابيـة وبين يديه ولد له وعشرة غلمة وهو يشاهد ظفر أصحابه وأخذهم للغنائم فقصده كردي يعرف باحمد بن الضحاك السليل على فرس جواد وبيده اليمنى خشت فظنه الدوقس مستأمنا اليه أو مستجيراً فلم يحفل به فلما دنا منه حمل عليه فرفع الدوقس يده متقياً وضربه الـكردى بالخشت فاصاب خالا في الدرع فخرقه ونفذ في أضلاعه وسقط الي الارض ميتاً . وصاح المسلمون « ان عدو الله قد قتل » ونزل النصر فانهزمت الروم وتراجع المسـلمون ونزل من كان فى الحصـن وقتل من الروم مقتلة عظيمة . وباتوا غانمـين مسـتبشرين بنعمة من الله وفضـل وان الله لا يضيـع أجر المحسنين

ثم سار جيش بن الصمصامة الى باب انطاكية فسبي وأحرق وانصرف عائدا الى دمشق وقد عظمت هيبته فى النفوس .

﴿ ذكر تمام هيبته في المكيدة التى كان بدأ بها جيش في ﴾ -
(تسكين احداث دمشق [٣٢٨] حتى ظفر بهم)

لما عاد الى دمشق استقبله أهلها مهنئين داعين فتلقاهم بالبشاشة والبشر وزادهم من الـكرامة والبر وخلع على وجوه الاحـداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجوارى والغلمان . وعسكر بظاهر البـلد وسألوه الدخول والجواز فى الاسواق وقـد كانوا زينوها اظهاراً للسرور فلم يفعل وقال : هـذه عساكر واذا دخلت لم آمن ان تثقل وطأتهم . والتمس منهم

(١) هو داميانوس ويعرف بالدلاسينوس : كذا فى تاريخ يحيي بن سعيد الانطاكي

ان يخلوا قرية على باب دمشق [١] ليكون مقامه فيها فاجابوه الى ذلك وتوفر على استعمال العدل وتخفيف الثقل فاستخص رؤساء الاحداث واستحجب جماعة منهم. وكان يعمل لهم سماطاً يحضرونه في كل يوم للاكل عنده ويبالغ في تأنيسهم فلما اطمأنوا ومضت مدة على ذلك أحضر قواده وتقدم بان يكونوا على أهبة لما يريد استخدامهم فيه وتوقّع ما يأمرهم به في رقاع مختومة والعمل بما فيها. ثم كتب رقاعا بقسمة البلد وعيّن لكل من قواده الموضع الذي يدخل منه ويفتك فيها وختمها وأعدّها ثم رتب في حمام داره قوما من المغاربة وتقدم الى أحد خواصه بان يراعى حضور رؤساء الاحداث طعامه فاذا أكلوا (٣٢٩) وقاموا الى المجلس الذي جرت عادتهم بغسل أيديهم فيه أغلق بابه عليهم وأمر المتكمنين في الحمام بالخروج على أصحابهم والايقاع بهم. وحضر القوم على رسمهم وبادرجيش بانفاذ الرقاع الي قواده وجلس معهم للاكل فلما فرغ وفرغوا نهض الي حجرته ونهضوا الى المجلس فاغلق الفراش عليهم بابه وخرج من في الحمام فاوقعوا باصحابهم وقتلوهم باسرهم. وركب القواد ودخلوا البلد فقتلوا قتلا ذريعا وثلموا السور من كل جانب ونزلت المغاربة دُور دمشق وركب جيش فدخل دمشق وطافها واستغاث الناس به ولاذوا بعفوه فكفّ عنهم واستدعى الاشراف استدعاء حسن ظنهم فيه فلما حضروا أخرج رؤساء الاحداث وأمر بضرب رقابهم بين أيديهم ثم صلب كل واحد منهم في محلته حتى اذا فرغ من ذلك قبض على الاشراف وحملهم الى مصر واستأصل أموالهم ونعمهم ووظف على البلد خمسمائة الف [٢] دينار

---

(١) وعند ابن الفلانسي ص ٥٢: تعرف ببيت لهيا (٢) زدنا كلمة «الف» من ابن القلانسي

ثم جاءه أمر الله الذى لا يُغلب وقضاؤه الذي لا يوارب ولاقته المنية التى تجعل العزيز ذليلا والكثير قليلا [١] فما أغنت عنه عندها قدرة ولا حيلة ولا نفعته معها فدية ولا وسيلة . وكان سبب منيته علة باطنة حدثت به (٣٣٠)

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الاسباب والداء واحد

وورد الخبر الى مصر بموته فقلد محمد ولده مكانه .

واستقامت الامور على يد ارجوان وجرت بينه وبين بسيل عظيم الروم مراسلات وملاطفات انتهت الى تقرير الهدنة مدّة عشر سنين وصلحت الحال مع العرب .

وكان يواصل النظر فى قصر الحاكم نهاره أجمع الا ساعة في وقت الظهر ثم يعود الي منتصف الليل ويوفى السياسة حقها وفهد بن ابراهيم بين يديه ينفذ الامور أحسن تنفيذ فلم يزل على هذه الوتيرة الى ان قتل

﴿ ذكر السبب فى قتل ارجوان وشرح الحال في ذلك ﴾

كان ارجوان يأخذ الحاكم بتهذيب الاخلاق وينصحه (والنصح مرّ المذاق) ويمنعه كثرة الركوب لفرط الاشفاق ويصده عن التبذير فى غير موضع الاستحقاق فصارت له هذه الاحوال ذنوبا ثم لانّ لكل امرىء أجلا مكتوبا . وكان مع الحاكم خادم يعرف بريدان [٢] الصقلبي قد خصّ به فأنس في شكوى ارجوان اليه فزاده ريدان إغراء به وقال : انه يريد (٣٣١)

---

(١) وأما موت جيش وقصته مع أبى بكر الحرمى الزاهد فليراجع فيه ابن القلانسي ص ٥٤ : وأبو بكر هو محمد بن عبد الله بن حسن بن هرون الوضاحى توفي سنة ٤٣٦ كذا في تاريخ الاسلام (٢) وفي الاصل : زيدان . وهذا غلط وليراجع ابن القلانسى ص ٥٥

ان يجعل نفسه في موضع كافور الاخشيدى ويجريك مجرى ابن الاخشيد
في الحجر عليك . ولم يزل بالحاكم حتى حمله على قتل ارجوان واستقر بينهما
ان يستدعى ارجوان في وقت الظهر بعد انصرافه الى داره وان يؤمّر الناس
بالركوب الى الصيد ليتفرقوا فاذا حضر أمر بقتله ففعل ذلك وقال الحاكم
لريدان اذا حضر ارجوان وتبعنى الى البستان فاتبعهُ فاذا التفتُّ اليك فاغتله
بالسكين : فبينما هما في الحديث اذ دخل ارجوان فقال : يامولاى الحر شديد
والبزاة لا تصيد في مثله . فقال : صدقت ولكننا ندخل البستان ونطوف
ساعة ونخرج . فقام ومشى ارجوان خلفه وريدان بعده فاهوى ريدان عند
التفات الحاكم اليه بالسكين الي ظهر ارجوان فاطلعها من صدره فقال
ارجوان : يامولاى غدرت . وصاح الحاكم بالخدم وتكاثروا وأجهزوا عليه
وخرج الخدم الكبار فردوا الجنائب وبغال الموكب والجوارح . فسألهم
شكر العضدى عن الحال فلم يجيبوه فجاء الناس أمر لم يفهموه وعاد شكر
والموكب وشهر الجند سيوفهم وظنوا حيلة تمت لابن عمار على الحاكم
وأحاطوا بالقصر وعظم الامر واجتمع القواد والوجوه . فلما رأى الحاكم
زيادة الاحتياط ظهر من منظرة على أعلى الباب وسلم على الناس فترجلوا له
وخدموه وأمر بفتح الباب وأنفذ على أيدى أصحاب الرسائل رقاعاً (٣٣٢)
بخط يده الى شكر وأكابر الاتراك والقواد مضمونها : اني أنكرت من
ارجوان أمورا أوجبت قتله وقتلته فالزموا الطاعة وحافظوا على ما في
أعناقكم من الايمان . فلما وقفوا عليها أذعنوا وسلموا واستدعى الحسين بن
جوهر وكان من شيوخ القواد فامره بصرف الناس فصرفهم وعادوا الى
دورهم والنفوس خائفة وجلة من فتنة تثور بين المشارقة والمغاربة . ثم جلس

الحاكم بعد عشاء الآخرة واستدعي الحسين بن جوهر وفهد بن ابراهيم وتقدم باحضار الكتّاب فحضروا وأوصلهم اليه وقال لهم: ان فهداً كان كاتب ارجوان وهذا اليوم وزيرى فاسمعوا له وأطيعوا. وقال لفهد: هؤلاء الكتّاب خدمي فاعرف حقوقهم وأحسن اليهم. وأمر بان يكتب الى سائر وُلاة البلاد بقتل ارجوان وتسكينهم في أعمالهم ونفّذت الكتب وسكن الناس وأمن ما خيف من الفتنة. وكان ذلك فى سنة ٣٨٩

ومضى ارجوان كانه لم يكن ولو علم ان هلاكه على يد الحاكم لأقصر عن ذلك الاجتهاد فى حفظه. ورب حافظ دواء داؤهُ فيه وحامل سلاح حتفه به وضنين بذُخرٍ وبالهُ منه ومع الاحوال كلها فالافراط (٣٣٣) فى منع الملوك عن شهواتهم جناية والاقصار عما يلزم من نصحهم خيانة لكن بشرط الاقتصاد وقد قيل: كثرة المراقبة نفاق وكثرة المخالفة شقاق. وكم من شفيق على الملوك قد هلك بفرط شفقته وحبيب صار بغيضا بكثرة نصحه. ولم يبعد العهد بما شوهد من فعل الملك أبى كاليجار بخادمه المتلقب بالمؤيد وقصته مناسبة لقصة ارجوان

وما أحسن الرواية التي تُروى عن المأمون رضوان الله عليه حين سأل جلساءه عن أرفه الناس عيشاً فقال كل واحد منهم قولا لم يعجبه فقال المأمون أرفه الناس عيشاً رجل أتاه الله كفاية لا يعرفنا ولا نعرفه. وقال بعض العقلاء: مثل السلطان كمثل النار فلا تقرب منها قربا تباشر فيه لهبها ولا تبعد عنها بعدا تفقد معه ضوءها. وجملة القول ان القرب من الملوك عز مع تعب والبعد منهم ذلٌّ مع راحة والعيش في الخمول وتختلف الطباع في هذا الاختيار وكل امرىء ميسّر لما خلق له

﴿ ذكر ما جرت عليه الامور بعد قتل ارجوان [٣٣٤] ﴾

استوزر فهد بن ابراهيم وقدم الحسين بن جوهر ولقبه بقائد القواد ثم استمر الفتك منه بالناس فقتل فى المدة اليسيرة العدد الكثير .

واستحضر بعد أربعة أشهر الحسن بن عمار من داره فلقيه بالاحسان وأعطاه يده بالامان وانصرف مسرورا الى داره وركب الناس اليه يهنئونه بالعفو عنه ثم قتله بعد اسبوع . ثم قتل فهد بن ابراهيم بسعاية كاتبين من كتّاب الدواوين به وولاهما الاعمال ثم قتلهما ثم قتل الحسين بن جوهر ولم يكن في شرح أحوال قتلهما ما يستفاد منه تجربة لانه اختباط واختلاط . ثم قتل علياً ومحمداً ابنى المغربي وأمر باحضار أبي القاسم الحسين بن على صاحب الشعر والرسائل الذى وزر ببغداد وأخويه فظفر باخويه فقتلا واستتر الوزير أبو القاسم وما زال يعمل الحيلة حتى هرب مع بعض البادية وحصل عند الحسّان بن المفرّج بن الجراح واستجار به وأجاره .

وقد كان فى نفس الحاكم ما جرى على عساكر مصر بباب حلب فعول على يارختكين [١] العزيزى للخروج الي الشام وقدمه وكثر أمواله ونعمه وأمر وجوه القواد بتبجيله والترجل في موكبه . وكان في جملة من أمر بخدمته والترجل له على ومحمود ابنا المفرج [وجاءا] الي أبيهما وعرّفاه ما أمرا به من الترجل ليارختكين والمشى بين [٣٣٥] يديه وما لقياه من ذلك من المشقة وان نفوسهما تأبى الصبر على هذه المذلة ثم حذّراه يارختكين وتوجهه وقالا : انك لا تأمن ان ينتهز فيك فرصة ويستفحل أمره فينبوا بك وبنا المقام فى هذه الديار فدبر أمرك في فسحة من رأيك وعاجله في

(١) وعند ابن القلانسى هو « ختكين » والصواب « ياروغتكين » في تاريخ الاسلام

الجفار قبل وصوله الى الرملة واعتضاده بعساكرها . وكان يارختكين سار في عدة قليلة على ان يجمع عساكر الشام ويسير بها الى حلب وصحبه أهله وماله وعدد كثير من التجار فلما توسط الجفار أشار أبو القاسم المغربي على حسان بن المفرج بلقائه وانتهاز الفرصة فيه فسار حسان الى أبيه وسهل عليهما الامر فاجتمع رأيهما على ذلك . وجمعا العرب ورصدا وصول يارختكين الى غزة وعرف يارختكين الخبر فجمع ذوى الرأى من أصحابه وشاورهم

﴿ ذكر رأيين كل منهما سديد لو ساعد القدر فيه ﴾

قال أحدهم له : انك من الرملة على عشرة فراسخ وبها خمسة آلاف رجل وعندك خيول مضمّرة ولو أسريت ليلا لاصبحت الرملة وحصلت فى قصرك آمنا وعرفت العرب خبرك فهابوك وراقبوك وسرنا بعدك على طمأنينة . (٣٣٦) فاعترض آخر وقال : هذا المرء اليوم فى ابتداء أمره فاذ شاع بين الناس انه أشفق وهرب لم تبق له هيبة فى النفوس ولكن الرأي ان يستدعي قائدا من قواد الرملة فى الف فارس ليلقانا بعسقلان . فاستقر الامر على ذلك وكتب يارختكين الى قائد يعرف بابن سرحان يستدعيه وأنفذ الكتاب مع رسول قدر لوصوله وخروج ابن سرحان ثلاثة أيام . فاتفق ان الرسول أخذ فى الطريق قبل وصوله الى ابن سرحان

﴿ ذكر عجلة ضاع الحزم بها ﴾

لما مضى يومان من الثلاثة التى قدّرها يارختكين سار على طريق الساحل وهو لا يشك في تعجيل ابن سرحان اليه . وكان حسان بن المفرج قد عرف خبره فبث الخيل من كل جانب فوقعت على يارختكين وجرت بين الفريقين حرب شديدة كانت الغلبة فيها للعرب وأسر يارختكين

وأخذ ولده وحرمه وأموال التجار وجعل أكثر ذلك في يد حسان . وعادت العرب الى الرملة وشنوا الغارة على رساتيقها وخرج العسكر الذى بها فقاتلوهم قتالا همت العرب معه بالانصراف

﴿ ذكر رأى أشار به ابن (٣٣٧) المغربي في تلك الحال ﴾

قال لهم الوزير أبو القاسم ابن المغربى : ان رحلتم على هذه الصورة وقع الطمع فيكم وان صبرتم حتى تفتحوا البلد خافكم الحاكم وملكتم الشام والرأى أن تبادروا وتنادوا فى السواد وتسمعوا الشراة فى الجبال بإباحة النهب والغنيمة . فقبلوا منه وحشروا فنادوا فوافى خلق كثير وزحفوا الى البلد وملكوه وأساؤا الملكة بالفتك والهتك . وتأدى الخبر الى الحاكم فانزعج وكتب الى المفرج بن دغفل كتابا عاتبه فيه وحذره سوء العاقبة وطالبه بانتزاع يارختكين من يد حسان وحمله الى مصر ووعده على ذلك بخمسين الف دينار

﴿ ذكر رأى لابن المغربى قصد به تأكيد الوحشة ﴾

﴿ بين حسان وصاحب مصر ﴾

قال لحسان : ان والدك سيركب اليك ولا يبرح من عندك الا بيارختكين ومتى أفرجتم عنه وعاد الي الحاكم رده اليكم في العساكر التى لا قبلَ لكم بها . فلما سمع حسان ذلك (وكان في رأسه نشوة) أحضر يارختكين بقيوده فضرب عنقه صبرا وأنفذ رأسه الى المفرج . فشق عليه ما جرى وعلم فوت الامر فامسك . (٣٣٨)

ثم اجتمع الوزير أبو القاسم مع المفرج وأولاده وقال لهم : قد كشفتم القناع فى مباينة الحاكم ولم يبق من بعد للصلح موضع . وأشار عليهم بمراسلة

أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي واستجذابه به اليهم ومبايعته على الامامة فانه لا مغمز في نسبه وسهل الخطب عليهم في ذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي الفتوح العلوي ﴾

كان أبو الفتوح بمكة اميرا فمضى اليه ابن المغربي وأطمعه في الامر فطمع فيه وجمع بني حسن وشاورهم فصبوا الى العز وأعطوه أيديهم بالبيعة ثم عاد[1] الناس اليه وتلقب بالراشد بالله وصعد المنبر وخطب لنفسه . واتفق ان انسانا موسرا توفي تلك السنة بجدة ووصى لابي الفتوح من تركته بمال لكي يسلم الباقي لورثته فمد يده الى التركة فاستوعبها بمشورة ابن المغربي عليه بذلك وسار لاحقا بآل الجراح فلما قرب من الرملة تلقوه وقبلوا الارض بين يديه وسلموا عليه بامرة المؤمنين ونزل الرملة . ونادى في الناس بأمان الخائفين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونسي نفسه في أخذ تركة التاجر بجدة الا ان الناس تراجعوا الى معايشهم (٣٣٩) وظهروا من استتارهم وركب في يوم الجمعة والمفرج وأولاده وسائر أمراء طي مشاة بين يديه حتى دخل المسجد ودعا ابن نباتة الخطيب[2] وأمره بصعود المنبر وأسر اليه بما لا يبدأ به[3] فصعد وقد طالت الاعناق فحمد الله وأثنى عليه وقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعفُ طائفةً منهم يذبِّحُ أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونُريدُ أن نمنّ على الذين استضعفُوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونُمكِّنَ لهم في الارض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم

---

(١) لعله : دعا　(٢) قدكان توفي سنة ٣٧٢ الخطيب المشهور　(٣) يريد بما يبدأ به

ما كانوا يحذرون

ولما فرغ أبو الفتوح من الصلاة عاد الى دار الامارة .

ونرى ان أبا الفتوح اتبع فى هـذا الاستشهاد بهذه الآيات محمد بن عبد الله بن حسن فيما جرى بين المنصور بالله وبينه من المكاتبات فانه استشهد بها . ويتضمن كتاب الكامل الذى صنفه أبو العباس المبرد ذكرها[1] وقد نظر[2] المنصور فيها ولولا شرط الاختصار لذكرناها فانها عجيبة جداً وقد قارعا على الأحساب «والنبع يقرع بعضه بعضا» . وما أحسن أدب القائل حين دخل الى المنصور بالله بعد قتل ابراهيم بن عبد الله بن[340] حسن بن حسن أخى محمد والناس ينالون من ابراهيم والمنصور يكره كثيرا من ذلك فقال : أجرك الله يا أمير المؤمنين فى ابن عمك وغفر له ما استحله من قطيعتك أو ما هـذا معناه فتهلل وجه المنصور سرورا بصوابه وقربه اليه من دون أصحابه . والله تعالى يقول : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم

﴿ ذكر ما دبره صاحب مصر عند وصول الخبر اليه ﴾

لما تأدى الى الحاكم شرح ما جرى عظم عليه وكبر لديه وكتب الى حسان ملطفات وبذل له بذولا كثيرة والى المفرج بمثل ذلك واستمال آل الجراح جميعهم وحمل الى على ومحمود ابني المفرج أموالا جزيلة حتى فلهما عن ذلك الجمع وجعلهما فى حيزه مع جماعة من العرب . وبدأ أمر الحاكم يقوى وأمر أبى الفتوح يضعف وبان له تغير آل الجراح عليه وانضاف الى ذلك ورود الخبر بنزول ابن عمه على ملكه طالبا موضعه

(١) طبع مصر ١٣٠٨ ٢ : ٢٢٠ (٢) لعله : ناظر

﴿ذكر تحاسد بين الاهل عاد بوبال[٤٤١]﴾

كان لابي الفتوح ضد من بني عمه يعرف بابن أبي الطيب يخاطب بالامرة وبينهما تحاسد وتنازع فكتب اليه الحاكم فى هذا الوقت وقلده الحرمين وأنفذ له واشيوخ بنى حسن مالا وثيابا . فسار مع من انضوى اليه من بنى عمه الى مكة وبها صاحب أبى الفتوح فنازله وأسرعت النجُب الى أبي الفتوح بالخبر فازداد قلقا وخاف خروج الحرمين من يده .

وكان حسان قد أنفذ والدته فى أثناء هذه الخطوب الى مصر بتذكرة تتضمن اغراضه وسأل فى جملتها ان تُهدي له جارية من إماء القصر فاجابه الحاكم الى جميع ما سأل من اقطاع وتقرير وامضاه وكتب له أمانا بخط يده وأهدى له جارية جهزها بما بلغ قيمته مالا عظيما . فعادت والدة حسان اليه بالرغائب له ولابيه فسر بذلك وأظهر طاعة الحاكم ولبس خلعه

وعرف أبو الفتوح الحال فأيس معها من نفسه فركب الى المفرج مستجيرا به وقال : انما فارقت نعمتى وأبديت للحاكم صفحتى سكونا الى ذمامك وأنا الآن خائف من غدر حسان فأبلغنى مأمني وسيرنى الي وطنى فحفظ المفرج ذمامه وضم اليه من أجازه وادى القري فتلقاه بنو حسن وأصحابه ومضوا الي مكة واستقامت أموره بها وكاتب الحاكم واعتذر اليه فقبل عذره . وأما الوزير أبو [٤٤٢] القاسم فانه استجار بالمفرج حتى سيره الى العراق

وصبر الحاكم مدة يسيرة ثم جرد العساكر مع علي بن جعفر بن فلاح أخى أبي تميم ولقبه قطب الدولة وسار فى عشرين الف وتلقاه على ومحمود ابنا المفرج طائعين . وكان الحاكم قد خدع كاتبا للمفرج يعرف بابن المدبر

وبذل له بذولا على قتل المفرج بالسم فتوصل الكاتب الى ان سقاه سما فمات وهرب ابن المدبر الى مصر ووفى له الحاكم بما وعده ثم قتله من بعد.

وكذلك عاقبة من خان مولاه وباع دينه بدنياه فهو يخسرهما جميعا ويحتقب اثما عظيما

واضمحل أمر حسان وأخذت معاقله وصار طريداً شريداً مدة حتى ضاقت عليه أرضه فانفذ والدته والجارية الى مصر لائذا بالامان واستشفع الى الحاكم باخته فشفعها فيه وأعطى والدته خاتمه وثياب صوف كانت على بدنه وعمامة على رأسه والحمار الذى يركبه فعادت الجارية بجميع ذلك اليه وأقامت والدته. فبادر حسان الى الورود ودخل البلد على ذلك الحمار بتلك الثياب فعفا عنه وأعطاه أرضه واصطنعه وأقطعه وأعاده الى الشام ولم يتعرض حسان بعدها بفساد الى ان قتل الحاكم. ونعود الى سياقة التاريخ

وفي هذه السنة المقدم ذكرها (٢٤٣) وردت كتب أهل الرحبة والرقة الى الحضرة باستدعاء من يسلمون اليه البلاد فندب خمارتكين الحمصي للمسير

﴿ ذكر ما جري عليه أمره فى ذلك ﴾

سار الى الرحبة وملكها وأقام بها أياما ثم سار الى الرقة وبها سعد السعدي فاعتصم بالرافقة وجرت بينه وبين خمارتكين وقعات ولم يتم فتحها وعاد الى الرحبة. وقد بلغه اضطراب الامور ببغداد فرجع واعترضه قوم من العرب فى رجوعه فاخذوه أسيرا فى أيديهم حتى افتدى منهم بمال.

وفيها خرج أبو جعفر الحجاج بن هرمز الى أعمال الموصل مع عدد كثير من العسكر وحصل بها. واجتمعت بنو عقيل وزعيمهم يومئذ

أبو الدواد محمد بن المسيب على حربه فجرت بينهما وقائع ظهر من أبي جعفر فيها شجاعة سار ذكره بها حتى انه كان يضع كرسيا فى وسط المصاف ويجلس عليه والحرب قائمة بين يديه وتمكنت له فى قلوب العرب هيبة بذلك . واستنجد من الحضرة فانجد بالوزير أبي القاسم على بن أحمد [1] واستقر الصلح مع العرب على المناصفة فيما قرُب من أعمال الموصل وبقى أبو جعفر هنالك الى ان توفي محمد بن المسيب وعاد بنو (٤٤٤) عقيل فاخذوا منه البلد

وفيها وصل الاشراف والقضاة والشهود الى حضرة القادر بالله رضوان الله عليه وسمعوا يمينه لبهاء الدولة بالوفاء وخلوص النية وتقليده ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة وذلك بعد ان حلف له بهاء الدولة على صدق الطاعة والقيام بشروط البيعة

﴿ ودخلت سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ﴾

وفيها خلع على الوزير أبى القاسم على بن أحمد وندب الى الخروج الى الموصل وقتال بني عقيل

﴿ ذكر السبب فى ذلك وما انتهى اليه الامر فيه ﴾

كانت الحال بين أبى القاسم وبين أبى الحسن المعلم قد بدأت في الفساد ودخلت بينهما بلاغات حلت عُرى الوداد وكان أبو القاسم يجرى نفسه معه مجرى الكاتب حتى انه نزل يوما معه في زبزبه فجلس على الكوار بين يديه والناس يشاهدونه ويتعجبون منه . ووردت كتب أبى جعفر الحجاج باجتماع بني عقيل عليه فاشار أبو الحسن على بهاء الدولة باخراج أبى القاسم (٣٤٥)

(١) هو أبو القاسم الابرقوهي

فتقدم اليه بذلك وجرّد معه عددا كثيرا من طوائف العسكر وسار بعد ان ركب اليه بهاء الدولة وودعه. فوصل الى الموصل وخيّم بظاهرها واجتمع مع أبي جعفر وانصرف بنو عقيل وبدأ بإحكام قواعد الامور فلم يمهله أبو الحسن المعلم حتى كاتب أبا جعفر بالقبض عليه

﴿ذكر رأي سديد لابي جعفر نظر فيه للعاقبة﴾

علم أبو جعفر انه ان فعل ذلك اضطرب الامور وطمعت العرب ولم يمكنه الثبات فتوقف وراجع أبا الحسن وأعلمه وجه الغلط فيما رآه. واتصل الخبر بابى القاسم بما يجرى من الخوض [1] فى بابه من عيون له على بهاء الدولة وأبى الحسن وخواصهما [2] وعول على مهادنة بني عقيل وأخذ رهائنهم وعمل على الانكفاء الى بغداد ولما رأى أبو الحسن ان أبا جعفر قد توقف عما كاتبه فيه فاخرج أبا الفتح محمد بن الحسن الحاجب اليه ليلزمه امضاء العزيمة فيما أمره به.

فحكى أبو نصر محمد بن على بن سياجيك وكان كاتب أبى القاسم يومئذ قال: لما وصل الخبر الينا بما تقرر من خروج أبى الفتح محمد بن الحسن على القاعدة المذكورة ثم تلاه كتاب من تكريت بوصوله اليها خاف أبو القاسم وأشار عليه من يثق به بالهرب ففرقت نفسه عنه وعزم على الانكفاء الى بغداد ولم يأمن ان يظهر فيمنعه أبو جعفر (٣٤٦)

﴿ذكر ما رتبه أبو القاسم من الحيلة حتى تم له الانحدار﴾

راسل أباجعفر وقال له: قد توقف محمد بن المسيب عن تفرقة العرب

(١) في الاصل: الخواص (٢) وفي الاصل: من خواصهما

من حوله وتسليم ما ووقف على تسليمه من النواحى وقال « لست فاعلا ذلك الا بعد ان تنحدر أنت ومن معك من العسكر وآمن انتقاض ماتقرر» وقد عزمت على ان انتقل بمعسكرى من موضعه وأظهرَ الانحدار فليكن أدعى الى سكونه . فاستصاب أبو جعفر رأيه وأمر أبا القاسم بالرحيل ليلا وأصبح على عشرة فراسخ من الموصل . فراسله أبو جعفر وعاتبه على فعله فرد عليه جوابا معللا بالاعتذار وقال : ان الاولياء طالبوني بالانحدار ولم يمكن مخالفتهم . ووصل الى الحديثة وقد نزلها أبو الفتح الحاجب فخرج وتلقّي الوزير وخدمه وأعطاه كتابا من بهاء الدولة مضمونه : ان الامور قد (٣٤٧) وقفت ببعدك وخيل لنا ان أباجعفر منعك من العود ولم يقف عند[1] ما تدبره به فانفذنا أبا الفتح ليواقف أبا جعفر على طاعتك والرضاء بماتقرره ليتعجل عودك . فوقف أبو القاسم على الكتاب فلما نزل مخيّمهُ استدعيِ أبا الفتح وراوضه على ان يصدقه عن باطن الامر وبذل له ثلاثة آلاف دينار فخاف له أبو الفتح على تقابل الظاهر والباطن فيما أوصله اليه فقال أبو نصر : فاستدعانى الوزير بعد خروج أبي الفتح من عنده وقال لى : قد ورد هذا الكتاب بما قد علمته وقد كتب أصدقاؤنا ونصحاؤنا بما عرفته فما الرأى ؟ قلت له : ليس الاّ مراسلة أبي الدواد فانه نازل بازائنا وأخذ الذمام منه والعبور اليه والمقام عنده ثم تدبير الامْر مع الامن . فقال : لعمرى ان هذا هو الرأى الذي توجبه الخبرة فى حراسة النفس ولكني أستقبح ذلك وسأدخل بغداد متوكلا على الله تعالى . ثم ورد الخبر فى أعقاب ذلك بالقبض

(١) لعله : علي

على أبي الحسن المعلم وقتله [١] فدخلت الى الوزير فأقرأني الكتاب الوارد بذكر ذلك وعنده من يحتشمه فاظهرتُ وجوما . فلما خلا عدت اليه وفى وجهي آثار الاستبشار ووجدته مفكرا مطرقا فلما رآني قال : أظنك قد سررت بما ورد . قلت : نعم . قال : وما ذاك مما يسرّ لان ملكا قرب رجلا [٣٤٨] كما قرب بهاء الدولة أبا الحسن وفوّض اليه التفويض الذى رأيته ثم أسلمه للقتل بمرأى عينه لحقيق بان تخاف ملابسته

وفيها ورد أبو العلاء عبيد الله بن الفضل قادما من الاهواز وكان أبو الحسن المعلم قد مد عينه الى حاله وماله واستدعاه للقبض عليه

﴿ ذكر تدبير جيد سلم به أبو العلاء ﴾

﴿ عبيد الله بن الفضل ﴾

لما أحس أبو العلاء بما همّ به أبو الحسن ملأ عينه بالتحف والملاطفات وعمل الدعوات المترادفات وسلك معه سبيل التذلل والمخادعة حتى اندفعت عنه النكبة وتجدد من قتل المعلم ما كفى به أمره

وفيها أفرج عن أبي الحسن محمد بن عمر العلوى

وفيها قبض على أبي الحسن المعلم وقتل

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فمن الحوادث في سنة ٣٨٢ ان أبا الحسن على ابن محمد بن المعلم الكوكبي كان قد استولى على أمور السلطان بهاء الدولة كلها فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح وكان كذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة . ووقع أيضا باسقاط جميع من قبل من الشهود بعد وفاة القاضي أبي محمد ابن معروف وان لا يقبل في الشهادة الا من كان ارتضاه ابن معروف وذلك لانه لما توفي كثر قبول الشهود بالشفاعات حتى بلغت عدة الشهود ثلاثمائة وثلاثة أنفس ثم انه فيما بعد وقع بقبولهم في السنة

﴿ شرح حال أبي الحسن المعلم في القبض عليه وقتله ﴾

كان قد استولي على الامور الاستيلاء الذى تقدم ذكره ووتر القريب والبعيد وخنق أبا على ابن شرف الدولة بيده وأفسد نيات وجوه العسكر والرعية (٣٤٩) وفعل الافاعيل المنكرة وأملى له حتى امتلات صحيفته. فشغب الجند في هذا الوقت وبرزوا الى ظاهر البلد وراسلوا بهاء الدولة بالشكوى منه وطالبوه بتسليمه اليهم فاخذهم باللطف ووعدهم بازالة شكواهم وان يتولى بنفسه أمورهم ويقتصر أبو الحسن المعلم على خدمته فيما يخصه . فلم يقنعوا فبذل لهم ان يبعده عن مملكته الى حيث يأمن على مهجته ويبلغ الجند مرادهم ببعده ولا يتقبح هو بتسليمه وقتله فكان جوابهم أخس من القول الاول . فقال بكران لبهاء الدولة وكان السفير بينه وبين العسكر : أيها الملك ان الامر على خلاف ما تقدّره وأنت مخيّر بين بقاء أبى الحسن وبين بقاء دولتك فاختر أيهما شئت. فقبض عند ذلك على أبي الحسن وعلى جميع أصحابه وأسبابه وظن انهم يرضون ويعودون فلم يفعلوا وأقاموا على المطالبة بتسليمه اليهم فتذمم من ذلك وركب بنفسه ليسألهم العود والاقتصار على ماجرى من القبض على المعلم فلم يقم أحد منهم اليه ولا خدمه وأبوا ان يرجعوا الا بعد تسليمه . فسُلم حينئذ الى أبي حرب شيرزيل (١) وسُقى السم دفعتين فلم يعمل فيه فخنق بحبال الستارة ودهمه أحد الغلمان بسكين فقضى نحبه وأخرج ودفن . ثم عاد (٣٥٠) الجند الى منازلهم وسكنت الفتنة

ولو ان بهاء الدولة اقتصد فى أمر هذا المعلم لكان ذلك احسن بداية

(١) في الاصل ﴿ سريرال ﴾ والصواب في تاريخ هلال الصابي

وأجمل توسطا وأحمد عاقبة وآمن مغبّة وأطيب أحدوثة ولكنه أخطأ باختيار من لا خير فيه ثم أفرط فى تقريبه ثم أسرف في تمكينه لا جرم ان السمعة ساءت والرقبة رفعت والحشمة ذهبت والوصمة بقيت ولم يسلم المعلم مع ذلك كله . فيا قرب ما بين ذلك العز وهذا الهوان وذلك الاكرام وهذا الاسلام !

« فما بكت عليهمُ السماء والأرضُ وما كانوا مُنظرين »

وفيها سُلم الطائع الى الخليفة القادر بالله رضوان الله عليه وأنزله فى حجرة من حجر خاصته ووكل به من يحفظه من ثقات خدمه . وأحسن ضيافته ومراعاة أموره حتى انه كان يطالب من الخدمة بمثل ما كان يطالب به ايام خلافته وكان القادر بالله رضوان الله عليه يتفقد ما يقام له ويقدم بين يديه أكثر تفقّد مما يخص به نفسه . وأقام على ذلك الى ان توفى رضوان الله عليه (١)

وفيها ورد الوزير أبو القاسم على بن أحمد والعسكر فى صحبته (٣٥١)

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر الوزير أبى القاسم وما استقر ﴾

(فى أمر النظر بعد القبض عليه)

ورد وعنده انه قد كفى ما يحاذره بهلاك المعلم وكان بهاء الدولة قد

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فكان المخلوع يطالب من زيادة الخدمة بمثل ما كان يطالب به أيام خلافته وانه حمل اليه طيب من بعض العطارين فقال : أمن هذا يتطيب أبو العباس ؟ فقالوا : نعم . فقال : قولوا له « فى الموضع الفلاني من الدار كندوج فيه طيب مما كنت أستعمله فانفذ لى بعضه » وقدمت اليه فى بعض الليالى شمعة قد أوقد بعضها فانكر ذلك فحملوا اليه غيرها وأقام على هذا الى ان توفى .

وقال أيضا انه مات ليلة عيد الفطر سنة ٣٩٣ وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمسا وحمل الى الرصافة وشيعه الاكابر والخدم ورثاه الشريف الرضي بقصيدة (ليراجع ديوانه طبع بيروت ٢ : ٦٨٢)

نقم عليه لاسباب أكدها المعلم فى نفسه أحدها ما كان منه بمقاربة بنى عقيل ثم صح فى نفسه ان الشغب الواقع من العسكر كان بكتبه ورسائله اليهم . فقبض عليه وخلع على أبى عبد الله [1] الحسين بن أحمد ورد اليه العرض وأقر أبا الحسن على [2] بن سهل الدورقي على رسمه فى نيابة الوزارة . وخوطب أبو منصور ابن صالحان على تقلد الامر فاستعفى فاستقر الامر على استدعاء أبي نصر سابور وكان قد صار الى البطيحة مستوحشاً من المعلم فكوتب بالحضور فحضر . وأشير على بهاء الدولة بالجمع بينه وبين أبى منصور ابن صالحان في الوزارة فامر بذلك بعد ان قرره معهما وخلع عليهما جميعا وطرح لهما دستا كاملا وكانا يتناوبان في تقديم اسم أحدهما على الآخر في المكاتبات

وفيها قبض صمصام الدولة على أبي القاسم العلاء بن الحسن بشيراز (٣٥٢)

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال فى ذلك ﴾

كان العلاء بن الحسن غالبا على أمر صمصام الدولة ووالدته كثير الافضال على أصحابه وحاشيته ولم يكن مع ذلك مغضيا لهم على أمر يحل عرى السياسة . وكان قد اصطنع أبا القاسم الدلجى واستصحبه من الاهواز لما أعاده شرف الدولة الى شيراز وقدمه وقربه ثم ولاه ديوان الانشاء حين حصل صمصام الدولة بشيراز وخلع عليه ورتبه فى ذلك ترتيب الوزراء ومضى الامر على هذا زمانا . وتبسط الرضيع وسعادة وكتاب السيدة والدة صمصام الدولة واستولوا وطالبوا العلاء بما تقصر المادة عنه وتضطرب الامور معه . فضاق مجال قدرته عن اقتراحاتهم ففسدت الحال بينه وبينهم

(١) وفى الاصل « أبي عبد الله بن الحسين » وهو غلط (٢) في الاصل : بن على

لاجل ذلك وشرعوا فى فساد أمره فوجدوا عند أبى القاسم الدلجى مساعدة لهم عليه عند صمصام الدولة طمعا في حاله وحال [من] دونهُ فقبض عليه وعلى كتّابه وحواشيه وعلى ابنته زوجة العلوى الرازى وطولبوا أشدّ مطالبة وعوقبوا أشد معاقبة حتى تلفت ابنته وجماعة من أصحابه تحت الضرب . وبقى العلاء معتقلا فى بعض المطامير (٣٥٣) لا يعرف له خبر الى ان فسد أمر أبى القاسم الدلجى فتغير رأى السيدة والدة صمصام الدولة وقُبض عليه فى سنة ثلاث وثمانين وأفرج عن العلاء بن الحسن ورُدّ اليه النظر

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر العلاء بن الحسن ﴾
(فى عوده الى الوزارة)

أخرج من محبسه وقد ضعف بصره وحصل فى دار السيدة وعولج حتى برىء وخلع عليه ورُدّ الى الوزارة وصحب صمصام الدولة الى الاهواز ثم رجع الى ارجان فاقام بها على النظر في أمور فارس . فلما جري ماجرى بتل طاؤوس وعاد الديلم منهزمين وانهزم صمصام الدولة الى شيراز فسار العلاء الى الاهواز وقاتل عسكر بهاء الدولة ثم مات بعسكر مكرم

ولم تخلص نيته لصمصام الدولة بعد ما لحقهُ وابنته وأهله بل أهلك دولته باقطاع الاقطاعات وايجاب الزيادات وتمزيق الاموال وتسليم الاعمال وتأدّت أمور صمصام الدولة الى الاضطراب وأحواله الى الاختلال . وهكذا يسعى فى فساد الامور كل حنق موتور

وفيها ورد الخبر بنزول ملك الروم على خلاط وارجيش وأخذهما وانزعج الناس لذلك . ثم ذكر من بعد (٣٥٤) استقرار الهدنة بين أبى على الحسن ابن مروان وبينه مدة عشر سنين وانصرف عن الاعمال

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر باستيلاء أولاد بختيار على القلعة التى كانوا معتقلين فيها ومسير أبى [على] الحسن بن أستاذ هرمز من شيراز اليهم والقبض عليهم وقتل نفسين منهم

﴿ ذكر الحال فى ذلك وما انتهى اليه أمرهم ﴾

قد تقدم ذكر حال هؤلاء القوم واحسان شرف الدولة اليهم بالافراج عنهم ولما همّ بقصد العراق أخرجهم الى بعض دُور شيراز وجعل معايشهم واقطاعاتهم منها . فلما تُوفى قُبض عليهم وحبسوا فى قلعة خرشَنة فكانوا فيها الى ان مضى صدر كبير من أيام صمصام الدولة

(ذكر حيلة عملها أولاد بختيار ملكوا بها القلعة (٣٥٥))

استمالوا حافظ القلعة ومن كان معه من الديلم فطاوعوهم فافرجوا عنهم ثم أنفذوا الى أهل تلك النواحى المطيفة بالقلعة وأكثرهم رجّالة أصحاب سلاح ونجدة فاجتذبوا منهم عدّة كثيرة واجتمعوا تحت القلعة . وعرف صمصام الدولة الخبر فاخرج اليهم أبا على ابن أستاذ هرمز في عسكر وسار فلما قرب من القلعة تفرق من كان اجتمع تحتها من الرجال وتحصن بنو بختيار والديلم فيها ونزل أبو على عليها محاصراً ومحاربا .

(ذكر ما دبره أبو على ابن أستاذ هرمز في فتح القلعة)

راسل أحد وجوه الديلم الذين فى القلعة وأطمعه فى الاحسان والزيادة في المنزلة فاستجاب له ووافقه على ان ينزل اليه حبلا من أعلى القلعة ليرتقي به الرجال الى بابها وكان على سن من الجبل . فلما دنا الحبل خاطب أبو على ابن أستاذ هرمز جماعة من الذين معه على الصعود فتوقفوا حتى ابتدر (١) أحد

(١) لعله : انتدب

أصحابه فصعد . فلما دنا يقرب من الباب اضطربت يده على الحبل فخرّ مترديا وأحجم الباقون فصب بين أيديهم أموالا وبسط (٣٥٦) منهم آمالا وابتدر (١) قوم من أصحابه فيهم لوثة وجُرأة فصعدوا الى القلعة واحد بعد واحد حتى حصل عدد منهم على الباب ففتح لهم ودخلوا القلعة وملكوها فقبض على أولاد بختيار وكانوا ستة . وكتب كتابا بالفتح الى صمصام الدولة فانفذ فرّاشا تولّي قتل نفسين من أولاد بختيار وأنفذ الباقون الى قلعة الجنيد فاعتقلوا فيها .

وفيها ندب أبو العلاء عبيد الله بن الفضل للخروج الى الاهواز وخلع عليه

(ذكر السبب فى ذلك)

كانت بين الشريف أبي الحسن محمد بن عمر وبين [أبي] العلاء عبيد الله عداوة ومباينة وتقدم أبو العلاء عند بهاء الدولة وقرب منه بخدمته له . فاجتمع أبو الحسن محمد بن عمر وأبو نصر سابور الوزير واتفقا على الشروع في ابعاده فارسل الوزير أبو نصر سابور الاستاذ الفاضل أبا نصر الحسين بن الحسن الى بهاء الدولة وقال له . قل للملك : أنا أعلم ما فى نفسك من أمر فارس وقد انحلّ أمر صمصام الدولة ومضى أكثر أعوانه ولك عشرون ألف الف درهم معدّة منها ما آخذه من أبي محمد ابن مكرم والمتصرفين بالاهواز ومنها ما وجوهه لائحة والتدبير في هذا الامر ان يخرج أبو العلاء الي الاهواز كانه عائد (٣٥٧) اليها للمقام بها ويجرد معه قطعة من العسكر ثم تتبعه بعد مدة بطائفة أخرى فاذا تكاملت العساكر هناك أظهرنا حينئذ ما نظهره وسار أبو العلاء من الاهواز فأعجل القوم عن أهبة واستعداد .

---

(١) لعله : وانتدب

فاعاد الاستاذ الفاضل أبو نصر على بهاء الدولة ما ذكره سابور فتشوّفت نفسه اليه وتعلق طمعه به وأمر في الجواب بما يجب ترتيبه وكتب بالقبض على أبي محمد ابن مكرم وأصحابه وتقدم الي أبي العلاء بالمسير بعد ان أعلم بباطن التدبير واستكتمه .

(ذكر تفريط من أبي العلاء فى اذاعة سر عجل به)

قال الاستاذ الفاضل : فوالله لقد خلع عليّ وسرت في موكبه الى داره فما استقر فى مجلسه حتى دخل أبو الحسين شهرستان بن اللشكرى لتهنئته فقال : ياابا الحسين أى دار تريدها بشيراز . فغمزته فتنبه واستدرك وقال لشهرستان : انما أردت بالاهواز . ولم يخف الخبر وشاع فان القول كالسهم اذا نفذ على كبد القوس فات .

وأقام أبو العلاء في معسكره أياما كثيرة ولم يخرج معه أحد وبطل ما كان سابور بذله في أمر المال (٣٥٨) وحصوله . وخرج أبو العلاء بعد ذلك فى شرذمة قليلين فسار الي الاهواز فما وصلها الا وقد عرف الخبر بفارس ووقع الشروع من هناك فى المسير الي العراق

وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه لاهل خراسان عند عودهم من الحج وخوطبوا على أمر الخطبة واقامتها وحملوا رسالة وكتبا الي صاحب خراسان فى المعنى

وفيها شغب الديلم لاجل النقد وفساد السعر وغلائه (١) وتأخُّر العطاء ونهبوا دار الوزير أبى نصر سابور وأفلت منهم ناجيا بنفسه . وراسلوا بهاء الدولة بتسليمه وتسليم أبى الفرج محمد بن على الخازن (٢) وكان ناظرا فى

(١) وفى الاصل : وغلاته (٢) تقلد البصرة في أواخر سنة ٤٠٢ : ارشاد الاريب ٢ : ١٢٠

خزانة المال ودار الضرب وتردد القول بينهم الى ان وُعدوا بالاطلاق وتجويد النقد وسكنت الفتنة . واستمر سابور على استتاره وروسل وهو مستتر بتسليم أبى القاسم على بن أحمد وكان يُسلِّم اليه ليعتقله عنده فسلمه وحمل فى هذا الوقت الى الخزانة فى دار المملكة

ولما جرى على سابور ما جرى استعفى أبو منصور ابن صالحان من التفرّد بالنظر وأظهر العجز عنه . وكانت الاقامات قد زادت على قدر المادة وأحوجت النظّار الى التسكع فيها وصارت الهمة جميعها مصروفة الى ما يحصل لابى العباس أحمد بن على وهو الوكيل فى هذا الوقت . فبدأ عند ذلك أبو القاسم على بن أحمد (٣٥٩) فى طلب العود الى الوزارة وراسل بهاء الدولة وبذل له ان يكفيه الاهتمام بامر الاقامة متي مكنه وبسط يده فاشرأبّت نفس بهاء الدولة لذلك فاحاله اليه واستوزره وخلع عليه

﴿ ذكر ما جري عليه أمر أبي القاسم على ابن أحمد في هذه الوزارة ﴾

قبض على جماعة من الكتاب والمتصرفين وأخذ منهم مالا مبلغه ستة آلاف (١) درهم وأحضر أبا العباس الوكيل وقرّر عليه تقريرا صالحا عن نفسه وأعطاه وأقام له وجوها بالاقامة لمدة أربعة أشهر وأخذ خطه باستيفاء ذلك وأنفذه الى بهاء الدولة فحسن موقعه عنده وملك به رأيه وقلبه لكنه أفسد قلوب الحواشى وأبعد بعضهم ومضت على ذلك مدة وحاله تزداد عند بهاء الدولة تمكنا واستقرارا وتزداد قلوب الحواشى منه استيحاشا ونفاراً .

وكان قد قلد أبا محمد الحسن بن مكرم البصرة حربا وخراجا في اعجاز نكبته بالاهواز وأمره بالقبض على أبي عبد الله ابن طاهر وكان ناظراً

---

(١) لعله سقط : الف

بالبصرة فقبض عليه وحبسه

﴿ذكر سبب وجد به الحواشي طريقا (٣٦٠) الى فساد حال الوزير أبي القاسم﴾

وزد الخبر ان أبا عبد الله ابن طاهر قُتل في محبسه وانه وضع عليه قوما دخلوا اليه وفتكوا به فوجد الحواشي سبيلا الى الوقيعة في الوزير وعرفوا بهاء الدولة من قتل (١) أبي عبد الله على الوجه القبيح ما غيّر رأيه فقال: قد قتل في تلك الكرة المعلم وفي هذه الكرة ابن طاهر أفتراه بمن يثلث ؟ وانتهى هذا القول الي أبي القاسم من عيون كانت له في الدار بحضرة بهاء الدولة. فخاف وهرب في ليلة يومه

﴿ذكر ما جرت عليه الامور بعد هرب الوزير أبي القاسم﴾
(على بن أحمد وعود أبي نصر سابور (٢))

قصد أبو نصر سابور دار بكران واستعاذ به حتي أصلح له قلوب الديلم وأمن جانبهم وظهر من داره . وأفرج عن الجماعة الذين اعتقلهم الوزير أبو القاسم ورتب في كل من الدواوين كاتبا يتولى أمره ونظر هو في الخبر والبريد والحماية ظاهرا وفي تدبير الامور وتقريرها وتنفيذها باطنا فكانت الجماعة يصدرون عنه ويوردون اليه وجرت الحال على هذا الترتيب (٣٦١) أشهرا ثم تظاهر بالعمل .

وفيها وردت كتب أبي العلاء عبيد الله بن الفضل ويذكر فيها مسير عساكر فارس مقبلة الى الاهواز ويحث على امداده بالعساكر

(١) وفي الاصل: قبل (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام: وفي هذه السنة ابتاع الوزير أبو نصر سابور دارا بالكرخ وعمرها وسماها دار العلم ووقفها على العلماء ونقل اليها كتبا كثيرة .

﴿ ذكر ما دبره بهاء الدولة في ذلك ﴾

ندب أبا طاهر دريده شيرى (١) للخروج الى الاهواز في جماعة من الديلم وجرد أبا حرب شيرزيل الي البصرة . وورد الخبر بانفصال عسكر فارس من ارجان فامر بهاء الدولة باخراج مضاربه ثم ورد الخبر بحصولها برامهرمز . فندب طغان الحاجب في عدد كثير من الغلمان وخلع عليه وأخرج معه عيسي بن ماسرجس (٢) ناظرا في خلافة الوزارة وأخرج ما في الخزائن من الاواني الذهب والفضة فكسرت وضربت دنانير ودراهم وفرقت عليهم . ثم ورد الخبر بدخول عساكر فارس وعليهم أبو الفرج محمد ابن علي بن زيار الي الاهواز وهزيمة أبي العلاء عبيد الله بن الفضل وحصوله أسيرا في أيديهم

(ذكر ما جري عليه أمر أبي العلاء بعد الاسر)
(والاتفاق الذي سكن به (٣٦٢))

لما أسره أبو الفرج ابن زيار حمله اني شيراز وصمصام الدولة بدولتاباد (٣) للتوجه علي سمت العراق فأدخل المعسكر على جمل وقد ألبس ثيابا مصبغة وطيف به وكل أحد لا يشك انه مقتول . فاتفق انه أجيز على خيم السيدة والدة صمصام الدولة فاومى بيده كالمستغيث المسترحم فبدرته قهرمانة من الديلميات بالسب فسمعتها السيدة فانكرت قولها عليها وتقدمت بحطه عن الجمل ونزع الثياب المصبوغة عنه والباسه غيرها وحمله الى القلعة واعتقاله بها

(١) وفي الاصل درير شيرى . (٢) وفي الاصل : ماسرجيس . هو أبو العباس وله قصة مع أحمد النهرجوري الشاعر ومع ابن حاجب النعمان : ارشاد الاريب ٢ : ١٢٠ و ٥ : ٢٦٠ (٣) قال ياقوت في معجم البلدان : دولتاباذ موضع ظاهر شيراز تسير اليه العساكر اذا أرادوا الاهواز

واحسان مراعاته فيها . فكان فعل هـذه المرأة سبب حياته والابقاء عليه
ولما ورد على بهاء الدولة خبر كسر عسكره بالاهواز وأسر أبي العلاء انزعج انزعاجا شديدا وتقدم الى طغان بالمسير . ورأي خلو خزائنه من المال وحاجته اليه فامر الوزير أبا نصر بالانحدار الى واسط واجتذاب ما يلوح له وجه منه ومراسلة مهذب الدولة والاستدانة منه على رهن يجعل له عنده وسلم اليه من الجوهر والآلات كل خطير

وفيها عقد القادر بالله رضوان الله عليه على ابنة بهاء الدولة (١) بصداق مائة الف دينار بحضرته والولي الشريف أبو أحمد ابن موسى الموسوى وتوفيت قبل النقلة (٣٦٣)

﴿ ودخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيها وقع العقد لمهذب الدولة أبى الحسن على ابنة بهاء الدولة وللامير أبى منصور ابن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة وكل عقد منهما كان على صداق مائة الف دينار وحمل المهذب بالمبلغ مالا وغلة وخطب له بواسط وأعمالها واحتسب له من مال ضماناته باسفل واسط بالف الف وثلاثمائة الف درهم غياثية منسوبة الى الاقطاع . وكان عيار الدرهم الغياثى ثمانية ونصف حرفا في كل عشرة .

وفيها أشار أبو نصر خواشاذه على بهاء الدولة بمراسلة فخر الدولة باستصلاحه واستكفافه عن مساعدة صمصام الدولة فاستصوب ذلك ورسم

---

(١) وفي تاريخ الاسلام ان اسمها « سكينه » وفيه أيضا ان هذه السنة بلغ كر القمح ستة آلاف وستمائة درهم غياثية والكارة الدقيق مائتين وستين درهما

له السفارة فيه . فاختار أبا الحسن الاقسيسي [1] العلوي للخروج في الرسالة نيابة عن أبي نصر خواشاذه وخرج الاقسيسى فقبل ان يصل الى مقصده قُبض عليه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان بين أبي نصر خواشاذه وبين أبي نصر سابور صداقة ومخالطة
(٣٦٤) فلما انحدر أبو نصر سابور الى واسط هرب الى البطيحة فوجد أعداء أبي نصر خواشاذه طريقا الى السعى فحسّنوا لبهاء الدولة القبض عليه .

فتأمل هذه الآراء الطريفة والاهواء العجيبة في تقارب ما بين القبض والاطلاق والعزل والتولية حتى صار الامر عجبا والجد لعبا على ان الحياة الدنيا لعب ولهو ولكن في اللعب مستقيم ومختلّ . وهذا من المختل الذى تخالفت أعجازه وبواديه وتناقضت أواخره ومباديه فهل ترى في جميع ما شرد من أخبار الدولة البهائية نظاما مستقيما تحمد سلوك مذاهبه وتدبيرا جيداً ينتفع بمعرفة تجاربه ؟ كلاّ فجميعه واهي الاسباب وما يجري فيه من صواب فانما هو بالاتفاق . ونعود الى سياقة التاريخ

وفيها سار طغان والغلمان من واسط الى خوزستان

﴿ شرح ما جري عليه أمره في هذا الوجه وظفرهم بعساكر ﴾

﴿ صمصام الدولة وانهزامه من بين أيديهم ﴾

لما شارفوا السوس انهزم أصحاب صمصام الدولة عنها ودخلوها .
(٣٦٥) وتقدم ارسلان تكين الكركيري في سريّة من الغلمان الى جندي سابور ودفعوا من كان بها وانتشرت الاتراك فى أعمال خوزستان وعلت كلمتهم وظهرت على الديلم بسطتهم . ووصل صمصام الدولة الى الاهواز

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان . الاقساس قرية بالكوفة ينسب اليها جماعة من العلويين

وقد اجتمعت معه جيوش الديلم وبنو تميم وبنو أسد فلما حصل بدستر رحل ليلا على ان يسري فيكبس معسكر الاتراك

﴿ ذكر اتفاق سيء عاد بضد التقدير ﴾

ضل الادلاء الطريق وساروا طول ليلتهم على حيرة وأسفر الصبح عنهم وبينهم وبين معسكر الاتراك مدى بعيد. وشاهد [1] بعض طلائع طغان بسواد العسكر فكر اليه راجعا وأخبره وقال: تأهب لامرك فان الديلم قد صبحوك موكبا. فركب وتلاحق به الغلمان واستعاد كل من كان قد ذهب ممتارا فاجتمعوا حوله فكانوا نحو سبعمائة غلام والديلم ومن معهم في ألوف كثيرة. فصعد ارسلان تكين الكركيري تل طاؤوس فوقف عليه وقسم طغان الغلمان كراديس وأنفذ كردوسا مع يارغ [2] وقال له: سر عرضا واخرج على الديلم من ورائهم وبابلهم في سوادهم لنشاغلهم نحن عن امامهم فاذا حملت (٣٦٦) حملنا عليهم. فسار على ذلك ووقف طغان والغلمان بين يديه يطاردون الفرسان وزحف الديلم فملكوا التل ونزل ارسلان تكين الكركيري عنه ووقف صمصام الدولة عليه ووقع يارغ وكردوسه على السواد وحمل على المصاف وحمل طغان والغلمان وكانت الهزيمة. ووقف سعادة وعنان صمصام الدولة في يده متحيرا ما يدرى ما يصنع فقال له يارغ بالفارسية: ما وقوفك ياحجّام خذ صاحبك وانصرف. فولى عند ذلك صمصام الدولة ومضى ولم يتمكن رجالة [صمصام] الدولة من الهرب مع ارهاق الامر واشتداد الطلب وكدّ السير فاستأمن منهم أكثر من الفى رجل وتقطع الباقون وغنم الاتراك غُنما عظيما

(١) لعله: وشعر (٢) وفي الاصل يارخ

﴿ ذكر ما دبره الغلمان في قتل المستأمنة اليهم من الديلم ﴾

لما اجتمع الديلم المستأمنون الي خيم ضربها طغان لهم تشاور الغلمان فيهم فقالوا: هؤلاء قوم موتورون وعدّتهم أكثر من عدتنا وان استبقيناهم معنا خفنا ثورتهم وان خلينا عنهم لم نأمن عودتهم. فاستقر رأيهم على القتل وطرحوا الخيم عليهم ودقوهم بالاعمدة حتى أتوا عليهم

فكانت هذه (٣٦٧) الوقعة أخت وقعة الحلبة في كثرة من قُتل من الديلم (١) ووردت الاخبار بذلك على بهاء الدولة بواسط وأظهرت البشارة على حسب العادة في أمثالها وسار طغان الى الاهواز فدخلها واستولى على جميع أعمالها وعادت طائفة من الغلمان الى مدينة السلام

﴿ ذكر ما فعله بهاء الدولة عند حصوله بواسط ﴾

استقرض من مهذب الدولة مالا بعد القرض الاول واستقر بينهما في أمر البصرة ان يحدر بهاء الدولة عسكرا ويضم مهذب الدولة اليهم عددا من رجاله فجرد أبا كاليجار المرزبان لذلك في طائفة من الجند ورتب مهذب الدولة أصحابه معهم وانحدر الجماعة.

وكان أبو الطيب الفرُخان قد وصل من سيراف في البحر وملك البصرة فواقعوه بنهر الدير وكان الظفر لهم ودخل المرزبان بن شهفيروز البصرة وخطب لمهذب الدولة بها تاليا لبهاء الدولة.

ولما ورد الخبر على بهاء الدولة بهزيمة صمصام الدولة رحل سائرا الى الاهواز وآثر ان يبتدىء بالبصرة فقصدها ونزل بها (٣٦٨)

(١) ووقعة الحلبة انهزم فيها قوم خرجوا من بغداد لقتال البساسيري في سنة ٤٥٠ وقتل منهم جماعة. ليراجع الكامل لابن الاثير ٩ : ٤٤١

﴿ذكر ما جري عليه أمر الوزارة في البصرة في هذه السنة﴾

استوزر بهاء الدولة عند حصوله بها أبا الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه ونظر في السابع من شعبان واعتزل في الثالث والعشرين منه. وبان من ركاكة أفعاله في هذه الايام القريبة كل أمر سخيف منها انه كان في مجلس نظره يوما وهو حفل بالناس وأبو العباس الوكيل حاضر فقال: ادعوا لي أبا العباس الوكيل. فقال له أبو العباس: ها أنا أيها الوزير. فتشاغل ساعة ثم قال: ألم أطلب أبا العباس فاين هو؟ فقال: ها أنا يا مولانا. فقال: نعم. والحاضرون يتغامزون عليه. ومنها انه ركب الى دار الفاضل يعوده فوقف على مزملة العامة فاستسقى منها ماءً. ثم لما وصل الى باب الفاضل حجب وانكفأ وعرف الفاضل حضوره فانفذ أصحابه اليه حتى لحقوه في بعض الطريق فاعادوه ودخل اليه فشكا في أثناء الحديث حاله اليه وأراه قميصا رثاً تحت ثيابه يلتمس بذلك مراعاة من بهاء الدولة ومعونة

ثم استعفى بعد أيام من النظر وشرع أبو العباس عيسى بن ماسرجس في خطبة الوزارة وراسل الفاضل أبا نصر في السفارة فيها بعد ان كان قد بذل أبو علي الحسن الانماطي لبهاء الدولة عنه بذولا ووعده بملاطفات (٣٦٩) يحملها[1] وعشرة آلاف دينار يخدمه بها

﴿ذكر رأي سديد أشار به الفاضل على (ماسرجس فلم يعمل به)﴾

أشار عليه في جواب رسالته بان يلاطف أبا علي الحسن بن محمد بن نصر صاحب البريد وأبا عبد الله الحسين بن أحمد العارض ومكاتبتهما ويسألهما

(١) في الاصل: نحملها

النيابة عنه ويخاطب أبا عبد الله العارض بسيدنا ليكون عونا له على تقرير أمره فلم يقبل . قال الفاضل : فما راعني الاحضور من أخبر بوروده ونزوله في بعض البساتين ثم جاءني رسوله يستقرض مني مائة دينار فحملتها اليه في الحال وعجبت من التماسه هذا القدر النزر مع ما بذل عنه [أبو علي] لبهاء الدولة . ثم حضر عند بهاء الدولة وترك بين يديه دينارا ودرهما وخدمه وانكفأ فانكر بهاء الدولة ذلك من فعله فقال للانماطي : أين ماوعدتنا به ؟ فعنوان خدمته يدل على ما وراءه . فقال الانماطي : يحمل ما أعده من بعد. فمضى ذلك اليوم وغيره ولم يحمل شيأ وكاتب أبا عبد الله العارض بمولاي ورئيسي فاجتمع هو وأبو علي الحسن بن محمد بن نصر على افساد أمره (٣٧٠)

﴿ ذكر ما رتباه من الحيلة في أمره حتى انحل ﴾

وضعا منصور بن سهل وكان هو العامل في الوقت [١] على ان أشاع في البلد ان ابن ماسرجس قد بذل بذولا كثيرة في مصادرات التجار وفتح المخازن وأخذ أمتعة المجهزين والبحرانيين [٢] فماج الناس وكادت الفتنة تثور ورفع أبو علي ذلك الخبر الى بهاء الدولة وعظم الامر في نفسه . واتفق ان الفاضل أبا نصر غاب أياما في بعض الاشغال فخلا أبو عبد الله وأبو علي ببهاء الدولة وقالا له : قد ورد هذا الرجل بيد فارغة وما وفى بشيء مما بذله والبلد على ساق خوفا منه ولا يؤمن حدوث فتنة يبعد تلافيها وأبو الحسين ابن قاطرميز يبذل ان يأخذ منه مالا يخفف به عنك اثقالا . وسهلا عليه الامر في ذلك فاحالهما على الفاضل أبي نصر في الجواب وقال : اجتمعا به

(١) هو عامل البصرة في حدود سنة ٤٠٠ : ارشاد الاريب ٢ : ١٢٢ (٢) كانه يريد : البحريين

اذا عاد وقرّرا الامر. فلما عاد الفاضل اجتمعا معه وقالا: ان الملك قد أمرنا بالقبض علي أبي العباس. فقال: لأيّة حال. قالا: لما ظهر من نفور الرعية منه ولنكوله عما كان بذل عنه. فقال لهما: هذا مما لا يسوغ فعله وكيف يصرف اليوم رجل مستدعى بالامس بغير سبب يقوم به العذر وهل يجلب ذلك الا سوء المقالة من الناس فينا [٣٧١] ونسبتهم ايانا الى سخافة الرأى وضعف النحيزة وان خدمة هذا الملك لا تستقيم على أيدينا؟ وأنا أحضر عند الملك وأعرّفه ما في ذلك. فقالا له: تعرفه ماذا؟ وقد أنفذنا أبا الحسن السكراى كاتبك وأصحابك الى الرجل ووكلنا به. فوجم أبو نصر وأطرق ونفذ السهم وسلم الرجل الى الحسن بن قاطرميز فطالبه واستقصي عليه

﴿ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد انصرافه من الوقعة﴾

لما انصرف به سعادة من المعركة سار عائدا الى الاهواز فلما عبر به وادى دستر كاد يغرق فاستنقذه أحد بنى تميم ووصل الى الاهواز فى عدد قليل من الديلم وترحّل عنها طالبا ارجان. فتلقاه أبو القاسم العلاء بن الحسن وحمل اليه من الثياب والرحل ما رمّ به شعثه وسيّره الى شيراز ومعه الصاحب أبو على ابن أستاذ هرمز وتلقته والدته بما يجب تلقيه به من المراكب والثياب والتجمل. وكان بينها وبينه نفرة فلما رأته بكت بكاء شديدا وكان صمصام الدولة فى عمارية وعليه ثياب سود حزنا وكآبة لا يطعم فى الايام الا اليسير من الطعام فسكنت [٣٧٢] والدته منه وقالت له: مازالت الملوك تغلب وتغلب واذا سلمت المهجة رجوت الأوبة. فغيّرت ثيابه وأصلحت حاله وحصل بشيراز ثم تلاحق الناس به وتكامل الديلم عنده

من بعد . ولم نجد في بقية شهور هذه السنة ما يستفاد منه تجربة [(١)]

﴿ ودخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها توفى الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عبّاد بالري ونظر فى الامور بعده أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي ويلقب بالكافى الاوحد

﴿ شرح ما جرت عليه الحال في ذلك ﴾

لما اعتلّ ابن عباد كان أمراء الديلم وكبراء الناس يروحون الى بابه ويغدون ويخدمون بالدعاء وينصرفون . وعاده فخر الدولة عدّة مرات فيقال انه قال لفخر الدولة أول مرة وهو على يأس من نفسه : قد خدمتك أيها الامير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرتُ فى دولتك سيرة جلبتُ لك حسن الذكر بها فان أجريت الامور بعدى على نظامها وقررت القواعد على أحكامها نسب [(٢)] ذلك الجميل السابق اليك ونسيت أنا فى أثناء ما يثنى به عليك ودامت [(٣٧٣)] الاحدوثة الطيبة لك . وان غيرت ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشكور على السيرة السالفة وكنت أنت المذكور بالطريقة الآنفة وقدح فى دولتك ما يشيع فى المستقبل عنك . فاظهر فخر الدولة

---

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها قوى أمر العيارين ببغداد وشرع القتال بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة وظهر المعروف بعزيز من أهل باب البصرة واستفحل أمره والتزق به كثير من المؤذين وطرح النار في المحال وطلب أصحاب الشرطة ثم صالح أهل الكرخ وقصد سوق البزازين وطالب بضرائب الامتعة وجبي الاموال وكاشف السلطان وأصحابه وكان ينزل الى السفن ويطالب بالضرائب فامر السلطان بطلب العيارين فهربوا عنه

(٢) وفي الاصل . نسبت . والصواب فى ارشاد الاريب ١ : ٧٠ فى ترجمة أبي العباس الضبي رواية عن هلال الصابي

قبول رأيه.

وقضى ابن عباد نحبه في يومه. وكان أبو محمد خازن الكتب ملازما داره على سبيل الخدمة له وهو عين لفخر الدولة عليه فبادر باعلامه الخبر فانفذ فخر الدولة ثقاته وخواصه حتى احتاطوا على الدار والخزائن. ووجدوا كيسا فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين الف دينار مودوعة له عندهم فاستدعاهم وطالبهم بالمال فاحضروه وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة. فرجّمت الظنون في ذلك فمن مقبح لآثاره ينسبه الى الخيانة فيه ومحسن لذكره يقول « انما أودعه مؤيد الدولة لاولاده » ونقل جميع ما كان في الدار والخزائن الى دار فخر الدولة.

وجهز ابن عباد وأخرج تابوته وقد جلس أبو العباس الضبي للصلاة عليه والعزاء به فلما بدا على أيدي الحمالين قامت الجماعة اعظاما له وقبلوا الارض ثم صلوا عليه وعلق بالسلاسل في بيت الى ان نقل الى تربة له باصفهان وقال القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد [1] انني لا أرى الترحم عليه لانه مات [٣٧٤] عن غير توبة ظهرت عليه فنسب عبد الجبار في هذا القول الى قلة الرعاية. ثم قبض فخر الدولة عليه وعلى المتعلقين به وقرر أمرهم على ثلاثة آلاف الف درهم فباع في جملة ما باع الف طيلسان والف ثوب من الصوف المصري

(١) وردت هذه الحكاية في ارشاد الاريب ١ : ٧٠ وفي ترجمة الصاحب ٢ : ٣٣٥ والقاضي هو ابن الخليل الاسدابادى المعروف بالهمداني ذكر أبو بكر الخطيب في تاريخه أنه كان يتخذ مذهب الشافعي في الفروع ومذهب المعتزلة في الاصول وله في ذلك مصنفات ولي القضاء بالري وتوفي سنة ٤١٥. كذا في الانساب للسمعاني ص٣٢

فهلاّ نظر هذا القاضي في شأن نفسه ثم أفتى في شأن غيره مثل ابن عباد الذي قدم قدمهُ وأثّل نعمته وراش جناحه ومهد أحواله ! صدق المثل « تبصر القذى في عين غيرك وتدع الجزع المعترض في حلقك »[1] فرحم الله من أبصر عيب نفسه فشغل بستره عن عيب غيره .

وبلغنا ان رجلا من الصالحين لقى أخا له فقال له : اني أحبك في الله . فقال الآخر : لو تظهر لك عيوبي لابغضتني في الله . فقال له : عيبي يشغلني عن تأمل عيب غيري . نسأل الله توفيقنا بما يعصم جوارحنا وقلوبنا وصنعا جميلا يستر مساوينا وعيوبنا .

وقلد فخر الدولة أبا الحسن ابن عبد العزيز قضاء القضاة وطالب أبا العباس الضبي بتحصيل ثلاثين الف الف درهم من الاعمال ومن المتصرفين فيها وقال له : ان الصاحب أضاع الاموال وأهمل الحقوق وقد ينبغي ان يستدرك ما فات منها . فامتنع أبو العباس من ذلك مع تردد القول فيه . وكتب أبو علي ابن حمولة يخطب الوزارة وضمن عنها ثمانية آلاف الف درهم وأجيب الى (٣٧٥) الحضور فلما قرب قال فخر الدولة لابي العباس : قد ورد أبو علي وقد عزمت على الخروج في غد لتلقيه وأمرت الجماعة بالترجل له فلا بد ان تخرج اليه وتعتمد مثل ذلك معه . فثقل ذلك على أبي العباس وقال له خواصه ونصحاؤه : هذا ثمرة امتناعك عليه وقعودك عما دعاك اليه وسيكون لهذه الحال ما بعدها . فراسل فخر الدولة وبذل ستة آلاف الف درهم عن اقراره على الوزارة واعفائه من ان يلقى أبا علي وخرج فخر الدولة وتلقاه ولم يخرج أبو العباس . ورأى فخر الدولة ان من الصلاح الاشراك

(١) عبارة المؤلف أقرب الى الموجود في التلمود منها الى الموجود في الانجيل

بينهما فى النظر فسامح أبا على ابن حمولة بالفى الف درهم من جملة الثمانية التى بذلها وسامح أبا العباس بمثلها من الستة وقرر عليهما جميعا عشرة آلاف الف درهم وجمع بينهما فى النظر وخلع عليهما خلعتين متساويتين ورتب أمرهما على ان يجلسا في دست واحد ويوقعا جميعا فيوما يوقع هذا ويعلم ذاك ويوما يوقع ذلك ويعلم هذا ووقع التراضى بذلك ونظرا فى الاعمال .

وقبضا على أصحاب ابن عباد وتتبعا كل من جرت مسامحة باسمه في أيامه وقررا المصادرات فى البلاد وأنفذا أبا بكر ابن رافع الى استراباذ ونواحيها بمثل ذلك فقيل انه جمع الوجوه وأرباب الاحوال وأخر الاذن لهم (٣٧٦) حتى تعالى النهار واشتد الحر ثم أطعمهم طعاما أكثر ملحه ومنعهم الماء عليه وبعده وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصححونه فلم يزل يستام عليهم وهم يتلهفون عطشا الى ان التزموا عشرة آلاف الف درهم .

واجتمع لفخر الدولة في الخزائن والقلاع ما كثره المقللون ثم تمزق بعد وفاته فى أقرب مدة فلم يبق منه بقية . وكذلك مال كل ثروة ذميمة المكاسب ومصير كل زهرة خبيثة المنابت فلئن عمر خزائنه لقد خرب محاسنه ولئن جمع المال الجزيل لقد ضيع الذكر الجميل . ثم لم يحظ من ذلك الا بالاوزار التى احتقبها والآثام التى اكتسبها وقبح الاحدوثة التى علقت باخباره سماتها وبقيت على الايام عظاتها اذ لم يبق من عظامه رفاتها . وما يغنى عنه ماله اذا تردّي فيا ندم النادم اذا ترك ما اكتسبه وراء ظهره وانقلب بثقل الوزر وسوء الذكر الي قبره . وأصعب من ذلك ما بعده «يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم»

وفيها أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الاتراك فقتل قوم منهم

بشيراز وأجفلت طائفة منهم فمالوا في بلاد فارس فجرّد صمصام الدولة اليهم من دفعهم عنها وانصرفوا الى كرمان وبها أبو جعفر استاذ هرمز فدفعهم أيضا فدعتهم الضرورة (٣٧٧) الى قصد بلاد السند واستأذنوا ملكها فى دخول بلده

﴿ ذكر الحيلة التى عملها صاحب السند على الاتراك حتى قتلهم ﴾

أظهر لهم القبول وخرج لاستقبالهم ورتب أصحابه صفين وهم رجالة وواقفهم على الايقاع بهم اذا دخلوا بينهم ففعلوا ذلك ولم يفلت منهم الا نفر حصلوا بين القتلى وهربوا تحت الليل

وفيها توفى أبو نصر خواشاذه بالبطيحة وسبب حصوله بها انه لما قبض عليه أخرج فى الصحبة الى واسط واعتقل بها فتوصل الى الهرب. قال صاحب الخبر [1] : فاذكر وقد انحدرت الى مهذب الدولة واجتمعت مع أبى نصر فرأيت كتب فخر الدولة وصمصامها وبهائها وبدر بن حسنويه اليه يستدعيه كل واحد منهم ويبذل له من المعيشة والاحسان مارغب فى مثله لكن فخر الدولة قال له فى كتابه : لعلك تسىء الظن بمعتقدنا للقبيح الذى قدمته في خدمة عضد الدولة عندنا وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدّمك واصطنعك ومناصحة من كان (٣٧٨) يصنعك ويرفعك وان نعتدّ لك من وسائلك لم نجعله ذنوبك [2] وقد علمت ما عملنا [3] به أبو القاسم اسمعيل ابن عباد واننا طوينا جميع ما كان بيننا وبينه واستأنفنا معه من الاكرام والتفويض مالم يقدره ويظنه . ولك علينا عهد الله وميثاقه فى ايماننا من كل ماتخافه وتحذره وانا لك بحيث تحبه وتوثره فان أردت الخدمة قدمناك الى

(١) وهو هلال الصابي (٢) الجملة محرفة (٣) لعله : عاملنا

أعلى رتبها وأرفع درجها وان رأيت الاعتزال والدعة أوجبنا الك مائة الف درهم معيشة من أصفهان ووفرناك على المقام في دارك بها . فقال له : فالى أي جهة ميلك . فقال : ما كنت أثر الا من جهة فخر الدولة وقد وثقت به ولم يعلق قلبي الا به وأنا عازم على قصد الري عند ورود من أستدعيه من أصحاب بدر بن حسنويه . فعاجلته المنية المريحة من الحل والترحال القاطعة للحاجات والاشغال

وفيها ورد الخبر بمسير العلاء بن الحسن والديلم من ارجان ووفاة طغان بالاهواز فسار بهاء الدولة على سمت الاهواز

﴿ذكر ما جرى عليه الامر مع العلاء بن الحسن واستيلائه على الاهواز﴾

لما توفى طغان الحاجب كوتب بهاء الدولة بخبره وبما عول عليه الغلمان (٣٧٩) وما حدثوا به أنفسهم من العود الى بغداد فانزعج لذلك وعلم ما فى أثنائه من ذهاب الدولة مع استعداد العلاء للمقارعة وقدم تسيير أبي كاليجار المرزبان بن شهفيروز الى الاهواز للنيابة عنه ورمّ العسكر بها وكان بينهما تذمما [1] في جميع الامور مستقلا للتوقيع والتدبير. وأنفذ أبا محمد الحسن بن مكرم الى الفتكين الخادم للمقام بموضعه وكان حصل برامهرمز منصرفا مرتين الى عساكر فارس فلم يستقر بالفتكين قدم وانكفأ الى الاهواز وكوتب أبو محمد ابن مكرم بالنظر في الاعمال والجد فى استخراج الاموال وارضاء الجند . وقرب العلاء بن الحسن فعرج على عسكر مكرم ونزل بهاء الدولة بطلا وترددت بينه وبين العلاء مراسلات ومكاتبات سلك فيها العلاء سبيل الليقة والاطماع والمكر والخداع ثم سار على نهر المسرقان

(١) لعله : وكان بينهما قديما

لازماله الى ان حصل بخان طوق. ووقع الحرب بينه وبين أبي محمد ابن مكرم والفتكين ومن فى جملتهما من الغلمان وصدق الفريقان وزحف الديلم بين البساتين والنخيل حتى دخلوا البلد ودفعوا أبا محمد والفتكين منه . وأرسل أبو محمد والفتكين الى بهاء الدولة وأشاروا عليه بالعبور والبدار فتوقف عن ذلك ووعد وسوّف ثم أمدّهما بثمانين غلاما من غلمان داره مع خدم للخيل فعبروا وحملوا على الديلم من ورائهم بغرّة الصبوّة وقلة التجربة ففرج الديلم لهم حتى توسطوهم ثم انطبقوا عليهم فقتلوهم [٣٨٠] . وعرف بهاء الدولة ما جرى على غلمانه فضعفت نفسه وهمّ بالهزيمة وخاف ان يظهرها فيطمع فيه بنو أسد فتقدّم بان تُسرج الخيل ويطرح عليها السلاح وتحمل الاثقال وأظهر انه يقصد الاهواز . فلما رتب ذلك جميعه ركب وأخذ سمت الاهواز قليلا ثم عطف فتوجه تلقاء الجزيرة وأمن ما خافه من اختلاط العسكر عند الهزيمة وتعسف فى طريقه حتى عاد الى عسكره بظاهر البصرة

﴿ ذكر ما جري عليه أمر أبي محمد ابن مكرم والغلمان ﴾

لما عرف أبو محمد والغلمان خبر بهاء الدولة في انصرافه ساروا الى عسكر مكرم وتبعهم العلاء بن الحسن والديلم ورفعوهم عنها فارتفعوا ونزلوا براملان بين عسكر مكرم ودستر . وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة لان الاتراك كانوا يركبون الى باب البلد ويخرج الديلم اليهم ويقاتلونهم قتال المحاجزة لا المناجزة ومع الاتراك دُستر وسوادها يمتارون منها . ثم سار الاتراك الى رامهرمز ومنها الى ارجان واندفع من كان فيها من بين أيديهم واستولوا عليها واستخرج أبو محمد لهم الاموال منها وأقاموا بها ستة [٣٨١] أشهر ثم كروا راجعين الى الاهواز

وبلغ العلاء خبرهم حين قربوا فانفذ الى قنطرة اربق من قطعها ووصل أبو محمد والغلمان اليها فطرحوا الاجذاع وأعمدة الخيم عليها وعبروها وحصلوا مع الديلم على أرض واحدة ونزلوا بالمصلى وخيّم العلاء نحو شهرين ثم رحل الاتراك من معسكر مكرم وتبعهم العلاء فوجدهم قد امتدوا واسطا وكان العلاء بن الحسن قد رتب مناجزة أبي جعفر بالسوس عند مصير الاتراك الي ارجان وفرّق مقطعي كل كورة فيها .

فلما عاد بهاء الدولة الى واسط على ما يأتي ذكره ولم يبق بينه وبين الديلم من يحول دونه جرّد قُلّج في عدة من الغلمان وسيره الى السوس . وكتب الي أبي محمد ابن مكرم ومن فى جملته من الغلمان بالتوقف عن الاتمام فلقيهم قلج والكتب في الطريق فرجعوا وحصل المعسكر جميعه مع أبي محمد وأقاموا ببصنى

وفيها عاد أبو القاسم على بن أحمد من البطيحة الى حضرة بهاء الدولة للوزارة

﴿ ذكر ما جرت عليه حاله فى هذه النوبة ﴾

قال الاستاذ الفاضل أبو نصر : لما عاد بهاء الدولة الى معسكره بظاهر البصرة وقفت أموره فترددت بينه وبين أبى القاسم مراسلة في العود الى خدمته فاستقر ذلك بوساطة مهذب الدولة بعد ان اشترط على بهاء الدولة انه ان مشى الامر على يديه والا أعاده محروسا الى البطيحة . وكان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوي ولم أعرف ذلك الا بعد استقراره وكنت في بقايا علة واستأذنت بهاء الدولة في الاصعاد الي بغداد للمداواة فلم يأذن فلما ورد الرجل ومضى على وروده ثلاثة أيام راسلنى الملك وقال : كنت

استأذنتا فى الاصعاد الى بغداد للمداواة وقد أذنّا لك . فعلمت ان هذا القول على أصل وان الغرض ابعادى فقبلت الارض وقلت : السمع والطاعة وانصرف الرسول

﴿ ذكر رأى سديد رآه الفاضل في استمالة قلب بهاء الدولة ﴾

قال الفاضل : أخذت دواة ودرجا وأثبتُّ ما كان لى بالبصرة من صامت وناطق حتى لم أترك الا ما كان على جسدى وحملت جميعه على التذكرة به الى الخزانة وقلت : هذا ما أملكه وأنا مع اصعادى مستغن عنه والخزانة مع كثرة الخرج محتاجة اليه . واستأذنت في الحضور للوداع فوقع ذلك (٣٨٣) موقعا جميلا وأذن لي في الحضور . وجاءني فى أثناء ذلك الشريف أبو أحمد الموسوي وكان يتهمنى بالميل الى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر ويستوحش منى لاجله فقال : قد بلغني انك تصعد الليلة الى بغداد وما كنت أوثر البعد عن سلطانك ولو وقفت وتركتني أتوسط ما بينك وبين هذا الوزير الوارد وأتوثق لكل واحد من صاحبه لكان أولى . فقلت : قد كنت على العزم الذى بلغ الشريف واذ قد رأى لى الصواب في المقام أقمت يومين [أو] ثلاثة معولا على تفضله فيما يقرره . وأردت بهذا القول كتمان حقيقة أمرى عنه اشفاقا من ان يعرف الوزير خبرى فراسل بهاء الدولة فيما تعرفني به (١) وربما بلغ غرضه فى تعاجل الحال .

وانصرف الشريف أبو أحمد ولم تقلنى الارض حتى مضيت الى المضرب وودعت بهاء الدولة وقبلت الارض وبكيت فبكى لبكائى وقال : لا تشغل قلبك فاني لك على أجمل نية وما أنفذتك الا الى مملكتي وأين كنت فانك

(١) لعله : فيراسل بهاء الدولة فيما يقرفني به

على بال من مراعاتي وملاحظتي . وخرجت فاتبعني بعض خواصه وقال : ان الملك يأمرك أن تتوقف ليسلم اليك رهونا تحملها الى مهذب الدولة وتستقرض عليها مهما أمكنك . فاشفقت من أن أتربث فتتجدد من الوزير في أمري مراسلة بهاء الدولة بما أتقيه فقلت للرسول : تقول لمولانا انني قد أحسست [٣٨٤] بأول دور الحمى وأنا أصعد وأتوقف بنهر الدير الى ان يلحقني ما يرى إنفاذه . فدخل وخرج وقال : امض فإنا نحمل على أثرك ما يصحبك . فاغتنمت الفرصة وأسرعت ولم أتوقف ووصلت الى واسط فما استقررت بها حتى ورد على الطائر كتاب من عبد العزيز بن يوسف يقول فيه ان الرجل (يعني الوزير أبا القاسم على بن أحمد) وقف أمره وعاد الى البطيحة فبادرت فى الحال الى الاصعاد عالما بان الكتب سترد بالعود الي فما بلغت فم الصلح حتى صاح بنا ركابيان وردا من البصرة ومعهما كتاب بهاء الدولة الي بالانحدار . فاعتذرت فى الجواب بقربى من مدينة السلام وانى أدخلها وأحصل من المال والثياب ما أعلم ان الحاجة داعية الى تحصيله وأعود .

فاما سبب فساد أمره فانه عامل أبا العباس الوكيل بما أوحشه به واستشعر أبو عبد الله العارض وأبو الفرج الخازن منه واجتمعت كلمة الحاشية عليه وتطابقوا على فساد أمره خوفا من بوادره . وعول بهاء الدولة على القبض عليه فذكره الشريف أبو أحمد العهد الذى استقر مع مهذب الدولة بالقبيح وأخرج عن اليد فعند ذلك فسح في عوده مع الشريف أبي أحمد الي بغداد .

﴿ ودخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة [(٣٨٥)] ﴾

وفيها ملك لشكرستان بن ذكى البصرة وانصرف أصحاب بهاء الدولة عنها

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

كان لشكرستان ذا نفس أبية وهمة علية ولم يزل يلوح من شمائله في بدء أمره ما يدل على ارتفاع منزلته وقدره وهو من جملة من انحاز عن بهاء الدولة الى صمصام الدولة وحصل مع العلاء بن الحسن بالاهواز فلما انصرف الاتراك الى ارجان على ما تقدم ذكره حدثته نفسه بالخروج الى البصرة ودفع بهاء الدولة عنها والتمس من العلاء بن الحسن مساعدة على ذلك فاحجم العلاء عن افراد بعض العسكر عن نفسه لحاجته الى الاستظهار بكثرة العدد. فبينا تردد الخطاب بينهما اذ ورد اليهما نحو أربعمائة رجل من الديلم مستأمنين من ديلم بهاء الدولة. فضمهم لشكرستان اليه وفرّق فيهم خمسة آلاف دينار من ماله وسار بهم الى حصن مهدي . وجرد بهاء الدولة أبا مقاتل خمارتكين البهائي لقتاله فجرت بينهما مناوشات واعتصم الديلم بالبلد ولم يقدر خمارتكين على مواقعتهم فيه . فلما كان في بعض الايام عاد منهم وخرج لشكرستان على أثره وحمل نفسه على الصعب وسار على التعسّف [(٣٨٦)] حتى حصل هو ومن معه بالشكراباذ . وتسلل اليه من بقي مع بهاء الدولة من الديلم ولم تكن لاصحاب بهاء الدولة قدرة عليهم لاعتصامهم بالبساتين والمياه التي يضيق مجال الفرسان فيها ثم ضاقت عليهم الميرة وانقطعت عنهم المادّة فقطعوا النخل وأكلوا جمّارها وأكلوا الزرع

وكان أبو العباس ابن عبد السلام وطائفة من أهل البصرة مائلين الى

بهاء الدولة ونزلوا بازاء الديلم يصدقونهم القتال . وكان أبو الحسن ابن أبى جعفر العلوي مائلا الي لشكرستان بن ذكي مضادة لابن عبد السلام لما بين الفريقين من المباينة فحمل العلوى الى الديلم فى السماد دقيقا أمارهم به ونفّس عنهم كربهم وعرف بهاء الدولة ذلك وظفر ببعض السفن التى حملت فيها الميرة فانفذ من يقبض عليه فهرب وكبست داره ونُهبت . وطنات هذه الطائفة فاستوحشوا وصار منهم عدد كثير مع أبي جعفر الى لشكرستان وقويت بهم شوكته وجمعوا له سفُنا وحملوا الديلم فيها على ركوب أخطار وشدائد حتى جعلوهم على أرض البصرة ووافوا بهم الى محالهم وواقعوا أصحاب بهاء الدولة فهزموهم ونهبوا دوَر بني عبد السلام وطائفته وخربوها وجلا (١) ناس كثير من البصرة ونبا ببهاء الدولة مكانه (٣٨٧) وخرج البلد عن يده وأصعد الى واسط على الظهر فوصل اليها وقد تقطع عسكره وتمزّق سواده .

﴿ ذكر ما جرى عليه امر لشكرستان بالبصرة الي ان ﴾
﴿ استقر ما بينه وبين مهذب الدولة من الصلح ﴾

لما حصل لشكرستان بالبصرة بطش باهلها فقتل وسفك وخرج الناس على وجوههم لفرط الهيبة الواقعة فى نفوسهم ومد يده الى أموال التجار فخرب البلد وتشرد كل من فيه وكتب بهاء الدولة الى مهذب الدولة يقول له: اذا كان لشكرستان قد غلب على البصرة فانت أحق بها منه . فاستعد مهذب الدولة للقتال وجرد أبا عبد الله ابن مرزوق اليه فى عدة كثيرة من الرجال وكاتب أبا العباس ابن واصل وكان بعبّادان وغيره من أصحاب الانهار

(١) وفي الاصل : وخلا

بالاحتشاد والاستظهار والاجتماع مع ابن مرزوق على حرب لشكرستان وانحدر ابن مرزوق ودفعه عن البصرة .

فاختلفت الرواية فى دفعه عنها فقيل ان أهل البصرة قويت نفوسهم فوثبوا على الديلم وانصرف لشكرستان من غير حرب الى أسافل دجلة وقيل بل عقد جسرا (٣٨٨) في الموضع المعروف بالجل وقال : الديلم يرمون كل من يرد من نهر عمر . وجعل أمامه سلسلة حديد ممتدة من احدى حافتي نهر ابن عمر الى الاخرى ليدفع عن الجسر ما يرسل على الماء من شاشات القصب المضرمة بالنار تغوص بثقلها فتعبر الشاشات عليها فتغرقها . فوافى عسكر البطيحة من نهر ابن عمر وجمعوا قصباً كثيراً بعرض النهر وأرسلوه مضرما بالنار وجعلوا سفنهم التى فيها مقاتلتهم من ورائه فوقع على السلسلة وتقطعت وعلى السفن الصغار فاحترقت ووصل الي الجسر ودخل عسكر البطيحة البصرة يقدُمهم ابن مرزوق وعسكره الي الجزيرة . وحصل لشكرستان بسوق الطعام وهى فسيحة واستمر القتال بين الفريقين وكان للديلم الاستظهار في الحرب ولهؤلاء قطع الميرة . فراسل لشكرستان مهذب الدولة وسأله المصالحة والموادعة وبذل له الطاعة والمتابعة على ان يقيم له الخطبة ويسلم ابنه اليه رهينة فمال مهذب الدولة الى الصلح وسلم لشكرستان ابنه أبا العز واتصل الصفاء واستمر الوفاء زمانا طويلا

وأظهر لشكرستان طاعة صمصام الدولة وبهائها وأمّر نفسه واعتضد بما عقده بينه وبين مهذب الدولة من المودة وعسف أهل البصرة مدة ثم عدل فيهم وأحسن السيرة بهم وخفف (٣٨٩) الوطأة عنهم بعد ان قرر نصف

العشر عليهم وكان يؤخذ من سائر ما يتبايع حتى من المأكولات وعاد البصريون الى دورهم ومنازلهم . والذى تكثر به العشرة وتطول فيه الفكرة ويستفاد منه التبصر وتنتفع بمثله التجربة خامل حالتي بهاء الدولة ومهذبها كيف اختل أمر ذلك وهو عريق في الملك صاحب مملكة لسوء سيرته ! وكيف استقام أمر هذا وهو دخيل فى الامارة صاحب بطيحة لحسن طريقته !

لقد ضل من ظن ان الملك يستقيم بالظلم والمال يثمر بالجور أو الارتفاع يكثر بالحيف أو الضرع يدُرّ بالعسف لا ورافع السماء ومؤتي الملك من يشاء ما يصلح الملك الا باحسان السيرة واحكام السياسة وترتيب الخاصة وتهذيب العامة والهيبة فى الجند والعدل فى الرعية . وهيهات ان يصلح الملك تدبير مملكته الا بعد تدبير مدينته أو تدبير مدينته الا بعد تدبير داره أو تهذيب رعيته الا بعد تهذيب جنده أو تهذيب جنده الا بعد تهذيب حاشيته أو تهذيب حاشيته الا بعد تهذيب نفسه . ولولا اننا لا نباهي أصحاب عصرنا أطال الله بقاءهم من الملوك والوزراء الماضين الا كلٌّ من كان عالى الرتبة فى العلاء والمجد طيب الاحدوثة بالثناء والحمد لاوردنا في هذا الفصل ما تتبين به مقادير (٣٩٠) التفاوت والفضل ويقوي معه الدليل على ما قدمناه فى صدر كتابنا هذا من تفضيل زماننا بهم . لكننا لا نقيس الفاضل بالناقص ولا المخدج بالكامل ولا العاجز بالقادر ولا النابى بالباتر لان الشىء يقاس بما يناسبه ويشبَّه بما يقاربه . ونعود الى سياقة التاريخ

وفيها عاد أبو نصر سابور بن أردشير الى الوزارة ونظر نحوا من شهرين ثم هرب

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر سابور في هذه النوبة ﴾

كان بهاء الدولة أنفذ أبا عبد الله العارض وأبا نصر الفاضل الى مهذب الدولة واستقرضا منه قرضا وتطيبا الى سابور وقررا معه العود الى الوزارة. فلما حصلا بالبطيحة وقررا الامر مع سابور حضرا عند مهذب الدولة ليعلماه بحال ما استقر فقال مهذب مدولة : أنتما في طرف والملك في آخر وأخرج كتابا بخط بهاء الدولة يسأله انفاذ أبي القاسم على بن أحمد فلما شاهداه وجما وقالا : قد يجوز أن يكون هذا قد بدا له بعدنا رأى آخر . وانصرفا فقال أبو عبد الله العارض للفاضل : ما فعل الملك ما فعله الا على أصل والصواب القعود هاهنا والاخذ بالحزم . فقال له الفاضل : لا يضعف [٣٩١] قلبك واصعد معى ودعنى ألقى الملك وأحل ما عقد بعدنا معه فاني أعرف باخلاقه منك ومتى تأخرنا بلغ أعداؤنا منا مرادهم . وما زال به حتى أصعد معه فلما وصلا الي بهاء الدولة قال لهما : ما وراءكما . قالوا : كنا قررنا مع مهذب الدولة أمر القرض ومع سابور أمر النظر فوافى كتابك باستدعاء أبي القاسم على بن أحمد فانتقض جميع ذلك وانصرفنا بعد النجاح بالخيبة . فلما سمع ذلك وجم (ولم يكن لاكثر ما قالاه من أمر القرض حقيقة لكنهما قصدا بذلك تفديته) فقال لهما : ما كتبت ما كتبته الا بما ألزمنيه أبو أحمد الموسوى واذا كنتما قد قررتماه فالرأي المعدول اليه . وأمر بكتب الكتب الى مهذب الدولة بالشكر على ما أورداه عنه وباخراج سابور الي الحضرة [١] وتطييب نفسه وحثه على البدار . وانصرف الفاضل الى داره ليغير ثياب السفر وواقف

(١) وفي الاصل : الى سابور

أبا عبد الله على المقام بحضرة بهاء الدولة الى ان تنفذ الكتب لئلا يدخل اليه من يثنيه .

ونفذت الكتب وورد أبو نصر سابور وقد استوحش الشريف أبو أحمد الموسوى منه لما أسلفه اليه فقال لبهاء الدولة : بينى وبين العلاء بن الحسن مودّة وأنا أخرج اليه والى صمصام الدولة وأستأنفُ أمر الصلح . فمال بهاء الدولة الى قوله واستروحت (٣٩٢) الجماعة الى بعده وأذن له في ذلك ونظر سابور الى الامور

وبدأ أبو القاسم على بن أحمد يكتب الى بهاء الدولة ويشرع معه في تقلد الامر وبلغ أبا [1] نصر من ذلك ما ازعج منه وأراد الاختبار لما عند بهاء الدولة فيه

﴿ ذكر الحيلة التى عملها سابور فى اختبار بهاء الدولة ﴾

خلا به وقال له : أيها الملك قد علمت انني قصير اللسان في خطاب الجند وقد استشعروا فيّ الطمع واستشعرت منهم الخوف ولولا تدعيت أبا القاسم على بن أحمد وعوّلت عليه في منابذتهم ومعاملتهم ووفرتني على جمع المال واقامة وجوهه لكان ذلك أدعى الي الصواب . فقال له بهاء الدولة : هذا هوالرأى وقد أردت أن أبدأك به فاذ قد سبقت الى القول فيه فهذا كتاب أبى القاسم يخطب الخدمة وقد تقرر الامر معه على هذه القاعدة . فسمع أبو نصر ذلك وانصرف من حضرته وأطلق يده للتوقيمات في الجند ولم يبق وجها الا أحال عليه أكثر مما فيه فلما علم انه لم يبق بواسط ما تمتد اليه

(١) فى الاصل : أبو

يد فارق مكانه وهرب الى الصليق وكتب بهاء الدولة الى أبي القاسم يستدعيه. (٣٩٣)

وأنفذ اليه أبا الفضل الاسكافي رسولا بما بذله له من بسط اليد والتمكين وانحدر أبو الفضل واجتمع معه وأصعدا. فلما حصلا في بعض الطريق عدل أبو القاسم على بن أحمد عن السمت فقال له أبو الفضل: الي أين أيها الوزير قال: الى حيث أبعد به عنكم أما علم بهاء الدولة ان أبا نصر فرّق أمواله وأفسد أمره وأبطل مملكته؟ وانا رغبت فيما رغبتُ فيه أولا لانه كان هناك ما يمكن تمشية الامور به فاما الآن فلم يبق الا شجي الحلوق وقذى العيون ولقاء المكروه فما أنشط لذلك. وفارقه ومضى الى الجبل وبقى مجلس النظر خاليا حتى ورد أبو العباس عيسى بن ماسرجس ونظر فى الامور

وفيها استكتب القادر بالله رضوان الله عليه أبا الحسن على بن عبد العزيز حاجب النعمان (١)

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان رجلان من التجار خرجا للحج فتبايعا عقارا فى الكرخ وهما بمكة وأشهدا انسانا من الذين حضروا الموسم وردّ (٢) المشترى الى مدينة السلام فحاول ثبوت كتابه عند القضاة الاربعة وهم أبو عبدالله الضبي وأبو محمد ابن الاكفانى وأبو الحسين ابن معروف وأبو الحسين الجوزي (٣٩٤) بشهادة من شهد من التجار. وقد كان القادر بالله رضى الله عنه أمرهم ان لا يقبلوا في

(١) ليراجع قصة صرف القادر بالله ابن حاجب النعمان عن كتابته بابي الحسن أحمد بن على البتى الذى كان يكتب له عند مقامه بالبطيحة. ارشاد الاريب ١ : ٢٣٧ — ٢٣٨ (٢) لعله: ثم ورد

مثل ذلك الا شهادة الشهود المعدّلين . فتنجّز المشتري كتبا من بهاء الدولة الى القضاة باستماع قوله والى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبي منصور ابن صالحان (وكان نائبا عن بهاء الدولة ببغداد) بالزامهم ذلك فخاطباهم فقالوا السمع والطاعة : الا أبا عبد الله الضبي فانه امتنع واحتج بما رُسم له من دار الخلافة . وغاظ الشريف أبا الحسن فعله فأطلق لسانه بالوقيعة فيه . وفارق الضبي داره بالكرخ وعبر الى الحريم معتصما به . وسمع أبو محمد الاكفاني شهادة القوم وعزم القاضيان الآخران على مثل ذلك فاستدعوا الى دار الخلافة وأغلظ القول عليهم واعتيقوا الي آخر النهار ثم اذن لهم في الانصراف والعود من غد

وكان قوم من الشهود زكوا التجار الذين شهدوا في الكتاب منهم ابن النشاط وأبو اسحق بن أحمد الطبري فطعن الضبي عليهم عند الخليفة فخرج التوقيع باسقاطهم وأمر بقراءته على المنبر فى المسجد الجامع . وعرف الشهود ذلك ومضى أبو اسحق الطبري الى أبي الحسن محمد بن عمر مستصرخا وكان خصيصا . وبلغ أبا الحسن على بن عبد العزيز ما يجري من الخوض في الامر .

﴿ ذكر تدبير لطيف توصل (٣٩٥) به ابن حاجب النعمان ﴾
﴿ الى خدمة دار الخلافة ﴾

استدعي القاضى أبا محمد ابن الاكفانى وأبا اسحق الطبرى سراً وقال لهما : قد علمت ما أنتم عليه وانطويتموه عني ومتى روسل الخليفة في توصلت الى مرادكم فصار ابو اسحق الى ابن عمر وأشار عليه بانفاذ على بن عبد العزيز الي دار الخلافة فراسل أبا منصور ابن صالحان فى ذلك فكان جوابه :

انك عارف بما وردت به كتب بهاء الدولة من منع ابن حاجب النعمان عن دار الخلافة واخراجه الى حضرته فكيف يجوز ان تنفذه فيما هذه سبيله ؟ فعاد مراسلة ثانية وسهل الامر فأذن أبو منصور في ذلك من غير اختيار. وانحدر أبو الحسن على بن عبدالعزيز الى دار الخلافة ووصل الى حضرة القادر بالله رضى الله عنه وأعاد ما حمله من الرسالة وكانا قالا له تخدم الحضرة الشريفة عنا بالدعاء وتقول « ان الذى جرى في هذه القصة مما يوحش بهاء الدولة ويشعره التغيرله والعدول عنه فيما كان مستخدما فيه » وأتبع مايورده عنهما من نفسه بان قال: ياأمير المؤمنين ما الذى فعل (٣٩٦) هؤلاء القضاة مما خرجوا به عن حكم الشريعة أو حدث من الشهود حتى أسقطوا الاسقاط الذى يقرأ على المنابر ؟ أو ليس ابن النشاط أحد الشهود الذين شهدوا على المخلوع بخلع نفسه وتسليمه الامر الى أمير المؤمنين ؟ ولو أردنا اليوم شهادة حاضرة بذلك لما وجدنا غيره فيها فان الشريف أبا أحمد الموسوي غائب بشيراز وأبا القاسم ابن أبى تمام قد مضى لسبيله وأبا محمد ابن المأمون من أهلك وأبا الغنائم محمد بن عمر ممن لا تقوم به بينة . ونحن الى الآن نزكي هذا الشاهد ونعدله أولى من أن نقدح فيه ونجرحه[1] وهذا أبو اسحق الطبرى واحد القراء المتقدمين وأهل العلم المشهورين ولم يبق من يحضر الحرمين ويصلى فيها[2] بالناس مثله وهو الى هذه الدولة منسوب وفى شعبها محسوب والباقون منهم أقل من ان يعرفهم أمير المؤمنين ويسميهم فضلا عن ان يذكرهم على المنابر ويقع فيهم . وما الذي يؤمننا من ان ينفذ الى الجامع من ينفذه فيعترض عما يحول بينه وبين مايحاوله ويلحقنا من ذلك ما لا خفاء به ؟

(١) وفى الاصل : ونخرجه (٢) لعله : فيهما

فلما سمع القادر بالله رضي الله عنه ما قاله تبين الصواب فيه فأضرب عما عزم عليه وهمّ وردّه بجواب جميل سكن اليه القضاة والشهود وتوقيع فيه علامته باجرائهم على رسومهم

وعاد أبو الحسن الى الشريف والوزير فأعلمهما بما فعل (٣٩٧) وبزوال ما كان الخوض واقعا فيه وأشار بان يعود برسالة ثانية محدودة تتضمن الشكر والدعاء والاستئذان في حضور القضاة . فتقدّما اليه بذلك ومضى وعاد بالاذن في حضور القضاة ورجع ثالثا والقضاة معه فجمع بينهم وبين القاضى أبي عبد الله الضبي واستطال أبو عبد الله فى القول عليهم فمنهم من أجاب ومنهم من أمسك عنه . وانصرف القوم وتأخر أبو الحسن فاقام في الدار وقرر أمر نفسه واستعطف الشريف أبا الحسن ابن عمر واستكف كل من كان يقصده واستصلح فتم له الامر واستتب

وفيها عاد أبو جعفر الحجاج من الموصل

﴿ ذكر السبب فى ذلك وما جرى الامر عليه ﴾

لما توفي أبو الدواد محمد بن المسيب طمع المقلد أخوه في الامارة فلم تساعده العشيرة لان من عادتها تقديم الكبير من أهل البيت وكان على (١) أسن منه فاجمعوا عليه وولوه . وأيس المقلد من الامارة فعدل الى طلب الموضع وبدأ باستمالة الديلم الذين كانوا مع أبي جعفر واستفسادهم عليه وثنى برسالته بهاء الدولة خاطبا لضمان الموصل بالفي الف درهم (٣٩٨) في كل سنة وبذل تقديم مال عنها واستصلح قلوب الحاشية .

(١) وفي الاصل : أبو علي

ثم عدل لي علي أخيه وأظهر له ان بها الدولة قد ولاه الموصل وان أبا جعفر يدافعه عنها وسأله النزول معه بالحلل عليها فان أبا جعفر اذا علم اجتماع الكلمة خاف واندفع عنها . فلبي علي دعوة أخيه وأجابه الى سؤاله قاضيا حقه فيه فلما نزلت الحلل على باب الموصل استأمن عدد من الديلم الذين استفسدوا من قبل وعلم أبو جعفر ان لا طاقة له بالقوم فاعتصم بقصر كان استحدثه ملاصقا الى دار الامارة مع سبعين رجلا من خاصته وسألهم ان يفرجوا له عن الطريق ليسلم الديلم اليهم فاجابوه الى ذلك

﴿ ذكر مكيدة عملها أبو جعفر سلم بها في انحداره ﴾

واعدهم في خروجه يوما معلوما واستظهر هم عليه وكانوا أجمعوا أمرهم على ان يأخذوه يوم مسيره . فاستذم أبو جعفر من على بن المسيب وأنفذ اليه كراعه ليسير من عنده ثم جمع سفنا حط فيها رحله وصناديقه وسلاحه وأصحابه بجماعة وانحدر قبل اليوم الموعود وما عرفوا خبره الا بعد انحداره فتبعوه ودافعهم عن نفسه حتى خلص ووصل الى [399] مدينة السلام

﴿ ذكر ما جري عليه الامر بالموصل بعد انحدار أبي جعفر ﴾

لما خرج أبو جعفر من البلد تقدم المقلد الى أصحابه بالدخول وعمل على ابن المسيب في الرحيل فحسن له أبو الفضل طاهر بن منصور وكان كاتبه ووزيره وجماعة من أصحابه ان يلتمس من المقلد مشاركته في البلد فتذمم علي من ذلك حياء من أخيه فقالوا له : اذا كان البلد لاخيك كان هو الامير وكنت أنت الصعلوك . وما زالوا به حتى راسلوه واستقرت الحال بينهما تذكرة من المقلد على اقامة خطبة لهما جميعا وتقديم علي بحكم الامارة واقامة عامل من قبلهما لجباية الاموال وجرى الامر على ذلك مديدة

ثم زاد التشاجر والتجاذب بين أصحابهما وانتهى الى الافراط. واتصلت الشكاوي من الفريقين وسيأتي ذكر ما جرت عليه الحال من بعد ان شاء الله

﴿ ذكر الحال في ذلك ﴾

كان أبو على [1] خدم بهاء الدولة في أيام امارته فلما ولي الملك قدّمه وكاد [400] ينوّه به فنكبه أبو الحسن الكوكبي المعلم وبقى على العطلة ثم استخدم فى الخواص بمدينة السلام. فلما عاد بهاء الدولة الى واسط على الصورة التى ذكرت من اختلال الحال كاتب أبا منصور ابن صالحان والشريف أبا الحسن ان عمر وأبا على هذا يذكر بما هو عليه من الاضاقة واستدعى منهم ملتمسات من ثياب وغيرها. فاجاب أبو منصور وأبو الحسن جميعاً بالوعد والتعليل وحصّل أبو على أكثر الملتمس بعد ان طلب من أبى على ابن فضلان اليهودى قرضا يرُد عوضه عليه فلم يسعفه وانحدر الى حضرة بهاء الدولة بما صحبه. فوقع فعله موقعا جميلا ازداد به عنده قبولا وقرّر معه في أخذ اليهود ومصادرتهم تقريرا معلوما وفي أمر أبي الحسن محمد بن عمر وأبى منصور ابن صالحان ما كان مستورا مكتوما وأصعد على هذه القاعدة فلما حصل ببغداد قبض على جماعة من اليهود وعسفهم فى المطالبة والمعاقبة.

وأما الشريف أبو الحسن ابن عمر وأبو منصور ابن صالحان فانه بدا لهما خبر ما أبطن فى أمرهما فخرج ابن عمر الي القصر وصار منها الى البطيحة واستقر أمر ابن صالحان وكاتب بهاء الدولة واستصلحه وانحدر اليه

---

(١) هو الموفق الوزير

ودبر أبو على الامور ببغداد واستمال الجند وقرر مع الاتراك [٤٠١] عن أثمان اقاماتهم ورقا يطلق لهم مسابعة ثم نقله الى المشاهرة ونسبه الى القسط وسلك أيضا بالديلم هذه الطريقة فصار ذلك سنة مستمرة من بعد في الاقساط وسقطت كلف الاقامات وكانت قد انتهت الى الافراط. ومشت أموره على السداد الي ان جرى من المقلد بن المسيب ما صار سببا للقبض عليه

﴿ ذكر ما جرى من المقلد بن المسيب فى هذه السنة ﴾

كان المقلد يتولى حماية القصر وغربيّ الفرات متصرفا على أمر العباس بن المرزبان فاستناب المقلد أبا الحسن ابن المعلم أحد أصاغر المتصرفين ببغداد وكان فيه تهوُّر واقدام فتبسّط وانتهى عنه الى ابن المرزبان ماغاظه وعول على القبض عليه. ولم يأت الحزم من أقطاره فى أخذه فاستوحش ابن المعلم واستظهر وجرت مناوشات أدت الى كشف القناع واستنجد ابن المعلم صاحبه فوافى من الموصل في عدّته وعديده وحصل مع ابن المرزبان على أرض واحدة وجرت بينهما حرب أجلت عن هزيمة ابن المرزبان وأخذه أسيرا وحبسه وأمر بقتله من بعد

وملك المقلد القصر وأعماله [٤٠٢] وكتب الي بهاء الدولة بأعذار مختلفة وأقوال متفقة وسأل انفاذ من يعقد عليه البلاد بمبلغ من المال يؤديه عنها. وكان بهاء الدولة مشغولا بما هو بصدده والضرورة تدعوه الي المغالطة والمداراة فأنفذ اليه أبا الحسن على بن طاهر وجرت بينهما مناظرات وموافقات كُتب بها تذكرة عاد بها ابن طاهر استأمر في أبوابها . ولما انفصل ابن طاهر عنه زاد في بسط يده فى الاعمال واستضاف ما فيها من الاموال فضج المقطعون بالشكوى الى أبي على ابن اسمعيل فاستعد للخروج

اليه واستدعى محمد بن عباد وخاطب أبا موسى خواجه بن ساكيل على البروز فبرز وخيّم بظاهر البلد

﴿ ذكر الغيلة التي عملها المقلد ﴾

لما انتهى الخبر اليه ببروز من برز من السندية أنفذ أصحابه ليلا فكبسوا معسكر ابن ساكيل وضربوا الخيم فبادر ابن سياهجنك الى زبزبه وعبر الى داره واستنفر الديلم فالى ان اجتمعوا قطع أصحاب المقلد الجسر لئلا يتكاثر عليه الجند . وركب أبو على ابن اسمعيل وابن عبّاد والاولياء فالى ان أعيد سد الجسر مضى أصحاب المقلد عائدين وتبعهم أبو على فلم يلحقهم . (٤٠٣) وهمّ بالاتمام الى السندية لمواقعة المقلد فاشاروا عليه بالعود فعاد وقد تمّم لما ثبت له

وكان الشريف أبو الحسن ابن عمر قد حصل بالبطيحة على ما تقدّم ذكره فلما ورد أبو جعفر الحجاج توسط حاله مع بهاء الدولة وأصلحها وجدّا جميعا فى السعي على أبي على وذلك قبل أن يحدث من أمر المقلد ما حدث . وشد منهما ابن ماسرجس وكان هو الوزير يومئذ وبذل ابن عمر لبهاء الدولة عشرة آلاف دينار عن تسليمه اليه وكان بهاء الدولة سريع القبول شديد الميل الى هذه البذول وكل ما يُعقد معه محلول وكل ما يبنى لديه مهدوم

ومن شرط السياسة ان يفى الملك بقوله وعهده وان يصدق فى وعيده ووعده وانه متى أخلف استولت على المحسن الخيبة وزالت عن المسىء الهيبة ومن قارب بين التولية والعزل لايعقل . فنعود الي تمام الحديث

فخاضوا في تدبير أمر أبي على ولم يكن ببغداد من يكاتب بالقبض عليه ويوثق به في الخروج بالسر اليه لان ابن سياهجنك كان من خاصته

والقهرمانة معه وفي كفته وكل من وجوه الجند مائلا الى جنبته ويخافون ان يخرجوا انسانا من (٤٠٤) واسط فربما شاع الخبر وظهر

﴿ ذكر المكيدة التى رتبت فى القبض على أبى على ﴾

أحضروا أبا الحسن محمد بن الحسن العروضى وكان بواسط وواقفوه على ان يكاتب أبا على ويشكو اليه حاله ويسأله استدعاءه اليه وضمه الى جملته ودبروا الامر انه اذاعاد الجواب اليه بالاصعاد أصعد وقرروا معه القبض عليه. وكتب أبو الحسن كتابا بهذا الذكر فالي ان عاد الجواب اليه حدث من أمر المقلد وهجوم أصحابه على مدينة السلام ما حدث وورد الخبر بذلك على بهاء الدولة فانزعج واستدعى أبا جعفر الحجاج فى الوقت ورسم له المبادرة اليها وتلافى الحادث بها ومصالحة المقلد والقبض على أبي علي ابن اسمعيل. ووجد أبو جعفر الفرصة فسار ووصل الى مدينة السلام فى آخر ذي الحجة وسيأتى ذكر ما جرى الامر عليه بمشيئة الله تعالى

وفيها قبض على الفاضل أبي نصر فاستُقصى عليه في المطالبة. وهرب أبو عبد الله العارض الى البطيحة وأقام الى ان أصلح حاله

﴿ ذكر السبب فى ذلك (٤٠٥) أولا ﴾

﴿ وما جرت عليه الحال ثانيا ﴾

كان جرى بين أبى عبدالله العارض وبين أبي طاهر سباشى المشطّب (١) المعروف بالسعيد كلام تنابزا فيه وجنايات اللسان عظيمة وصراعاته أليمة فأمر بهاء الدولة بالقبض على أبي طاهر لاجل ذلك واعتقاله. فاجتمع عدد

(١) وفي الاصل « سياسي المتطبب » وسباشي يعنى صاحب الجيش كذا في مفاتيح العلوم

كثير من الغلمان وصاروا الي باب الخيمة الخاص وجبهوا بهاء الدولة بما فيه بعض الغلظ وقالوا : ان لم تفرج عنه أخذناه . فدعت الضرورة الي اطلاقه فأطلق ثم لم يرضوا بالافراج عن المشطب حتى اقترحوا ازالة ابي عبد الله عن ولاية العرض وابعاد الفاضل ابي نصر [(١)] وخاف بهاء الدولة مخالفتهم فاعتقل العارض والفاضل اعتقالا جميلا ثم اذن لهما في الاصعاد الي بغداد بعد ان قرر أمر الفاضل على مبلغ من المال . فاما الفاضل فانه صحح المال المقرر بعد اصعاده واقام في داره الي ان وافي ابو جعفر .

ونظر ابو الحسن العروضى في نيابة الوزارة عن ابن ماسرجس نخافه الفاضل وكاتب بهاءالدولة يسأله حسن التعطف والحراسة فعاد جوابه بالجميل ورُسم له الانحدار فانحدر ولما وصل الي المعسكر قُبض عليه وسلم الى ابن ماسرجس فاستقصي [(٤٠٦)] عليه في المطالبة لما اخذ عليه من نوبة البصرة ونسبها اليه وكان بريئاً منها .

واما أبو عبد الله العارض فانه خاف بعد اصعاده فاستشار نصحاءه في امره وقال : لست أحب الحرب فاجعل لنفسي حديثا ولا الاسترسال . فأطرق غلبتها

﴿ ذكر راى سديد اشير به على العارض فكان سببا لنجاته ﴾

قال له على بن عيسى صاحب البريد : اذا كان هذا اعتقادك فكيف تسمح بذهاب ما في دارك من الآلات ومن الغلمان ؟ قال : نعم . قال : فاعبر الى الجانب الشرقى كانك زائر والدتك ودع دارك وحاشيتك على ما هي وهم عليه وانا احضر فى كل يوم والقى الناس فيها عنك وا كتب كتب

(١) وفي الاصل : الى أبي نصر

النوبة الى بهاء الدولة واذا حضر من يجوز الاعتذار اليه وانا قاعد اعتذرت اليه بنومك أوصلاتك ومن وجب ان أقوم وأدخل الحجرة كاني أستأذنك وأخرج اليه بمثل العذر قمت واذا رأى الناس ذلك ظنوك حاضراً وأنت في الباطن مستظهر . فاستصوب ذلك وعمل به واندرج الامر على هذا أياما ثم كبست الدار لطلبه والقبض عليه فلم يوجد . ودبر أمره في (٤٧٧) الخروج من البلد مستترا وحصل بالبطيحة وأقام بها مدة وأصلح حاله مع بهاء الدولة وأصعد الى واسط. ونظر في دواوين الانشاء والبريد والحماية

وفيها حج بالناس أبو عبد الله ابن عبيد العلوى .

وحمل بدر بن حسنويه خمسة آلاف دينار مع وجوه القوافل الخراسانية لتنصرف في خفارة الطريق عوضا عما كان يجيء من الحاج في كل سنة وجعل ذلك رسما زاد فيه من بعد حتى بلغ تسعة آلاف دينار . وكان يحمل مع ذلك ما ينصرف في عمارة الطريق ويقسم في أولاد المهاجرين والانصار بالحرمين ويفرّق على جماعة من الاشراف والفقراء والقراء وأهل البيوتات فى مدينة السلام بما تكمّل به المبلغ عشرين الف دينار في كل سنة . فلما توفي انقطع ذلك حتى أثّر في احوال اهله ووقف امر الحج

ونحن نذكر ههنا طرفا من افعال بدر وآدابه يستدل به على حزم الرجل ودهائه . فنقول ان من شرط الولاية المستقيمة ان يكون صاحبها عالما بالسياسة قامعا للجند عادلا بين الرعية خبيرا بجمع المال من حقوقه بصيرا بصرفه في وجوهه راغبا في فعل الخير ملتذاً بطيب الذكر ثابت الرأى في الخطوب رابط[1] الجأش في الحروب على ان انتفاع ذوى الولاية بالرأى (٤٠٨)

---

(١) في الاصل : ثابت

السديد اكثر من انتفاعهم بالبأس الشديد فان ذا البأس يقاوم رجالا وعشيرة وذو الرأى يقاوم أمة كثيرة

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان (١)

وقد كان بدر جامعا لهذه الخلال الحميدة والافعال الرشيدة فانه ساس قومه وهم البرزيكان (٢) شر طائفة في ظلمهم وعدوانهم وبغيهم وطغيانهم سعيا فى الارض بالفساد وقطعا للسبل واستباحة الاموال وسفك الدماء ولىَ عليهم وقد استولوا على تلك الاعمال يسومون أهلها سوء العذاب ويذيقونهم مرارات البلاء والعقاب على طريقة من قال الله تعالى فيه : « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد » . فداوى داءهم وكف بلاءهم واستدني من الاكراد من كانوا ضدا لقومه فاستعان بهم عليهم فطهر الارض من ظلمهم غير مبق على آصرة ولا ملتفت الى رحم متشاجرة فبدّد شملهم وفرّق جمعهم .

﴿ ذكر مكيدة عملها بدر لقومه (٤٠٩) ﴾

قيل انه لما طالت أسباب الفساد وكاد الحرث يبطل فى تلك البلاد عمل سماطا وأمر بان يقدم عليه من جميع الالوان المطبوخة باللحمان (وكانوا أصحاب أغنام) وان لا يترك على السماط خبز بتة ثم أحضرهم فجلسوا وأيديهم لا تصل اليه توقعا للخبز فلما طال الامر بهم قال لهم : مالكم لا تأكلون . قالوا : ننتظر الخبز . قال : فاذا كنتم تعلمون انه قوت لا بد منه فمالكم قد أهلكتم الزرع ؟ قبحا لوجوهكم وتبا لافعالكم ! وأقسم لان

(١) ورد البيتان فى ديوان المتنبي طبع برلن ١٨٦١ ص ٥٩٤ (٢) وفي الاصل : العربركين

تعرض أحد منكم لصاحب زرع ليقابلنهُ بسفك دمه . وأبرّ قسمه بقتل العدد الكثير منهم وأخذ الباقين بالهيبة وساسهم بالغلظة ولم يغض لهم عن الخيانة اليسيرة حتى تهذبت الامور

﴿ذكر سياسة بليغة من أفعاله﴾

قيل انه اجتاز في بعض مرتحلاته برجل متحطب قد حط حمله عن ظهره على طريق وان بعض الفرسان أخذ منه رغيفين كانا معه فلما حصل بازائه قال : أيها الامير انى رجل متحطب وقدكانت معى رغيفان أعددتهما لاتغدى بهما فيقويانى على حمل الحطب الى البلد (٤١٠) فابيعه فاعود بثمنه الى العيال، وقد اجتاز بي أحد الفرسان وغصبنى اياهما . فقال له : هل تعرف الرجل ؟ قال : نعم بوجهه . فجاء به الى مضيق جبل وأقام عنده حتى اجتاز عليه العسكر جميعه وجاء صاحبه فعرفه فامر بدر بحطه عن فرسه والزامه حمل الحطب على ظهره الى البلد والدخول به الى السوق وبيعه وتسليم ثمنه الى صاحبه جزاء على فعله . وكان الرجل موسرا فرام ان يفتدي نفسه بمال وزاد حتى بذل بوزن الحطب دراهم فلم يقبل منه وألزمه فعل ما عزم به عليه فقامت الهيبة فى النفوس فلم يقدم بعدها أحد من أصحابه على أذية

وأما بصره بوجوه المال فانه عمّ وعدل فدرّت عليه ضروع الاعمال وجمع من الذخائر والاموال من بلاد محدودة محصورة مالا يكاد يجمع مثله من ممالك واسعة . ولو لم يكن الا ما أخذه فخر الملك أبوغالب ابن خلف من قلعته (١) لكان عظيما

(١) يعنى دزبز فى معجم البلدان ٢ : ٥٧٢ : دزبز اسم قلعة مدينة سابور خواست دزبز ومنها أخذ فخر الملك أبو غالب أموال بدر بن حسنويه المشهورة

﴿ ذكر رأى سديد فى تدبير الاعمال ﴾

كان من حسن تدبيره انه يحفظ الارتفاع من كل ثلم ثم يفرُد العشر منه ويجعله موقوفا على المصالح والصدقات . وأخذ عمّاله بتوفية أمواله أشد أخذ ويخلدهم الحبس على الخيانة فان علم ان عجز المال كان عن آفة (٤١١) وان العامل نقىّ الجيب من خيانة أعطاه من مال الصدقة ما تبرأ به ذمته من الضمان ويستعين ببعضه على الزمان فلا يقدم أحد على تجاوز الطريقة المرضية فى أداء الامانة وتجنُّب الخيانة . وأما بصيرته بصرف الاموال في وجوهها فقد تقدم ذكر ما كان يحمله فى كل سنة بطريق مكة وكانت له صدقات كثيرة فى بلده وأنفق أموالا جمة فى اتخاذ المصانع وعمل القناطر واستخراج الطرق فى الجبال لوارد وصادر فتذللت بعد ان كانت مانعة ودنت المسافات بعد ان كانت شاسعة مع حزم كامل فى الانفاق

﴿ ذكر مادبره فى أمر النفقات على القناطر والطرقات ﴾

كان اذا بدأ بعمل من هذه الاعمال أقام من قبله عنده سوقا جامعة لسائر ما يبتاع فى البلدان وجلب اليها جميع مايحتاج اليه من الاصناف بارخص الاثمان فاذا قبضت الرجال سلفا من الورق صرفوه في تلك السوق على اختلاف أجناس ما يبتاعونه بالثمن الوافى فيجمع جميعه . (٤١٢) فكان ما يخرج فى أول الاسبوع من الخزانة يعود اليها فى آخر الوقت اليسير الذى يتصل مع بعض الرجال ممن يقدر على نفسه في النفقة .

فبقيت له الآثار الحميدة والاحاديث الجميلة قال الله تعالى : وما عند الله خيرٌ وأبقى . وقال تعالى : وَلَلآخرةُ خيرٌ لك من الأولى . وأما حسن تدبير الخطوب فله فى ذلك أخبار مشهورة منها ما دبره عند وصول

رسول يمين الدولة أبي القاسم محمود بن سبكتكين رحمه الله الى الري

﴿ ذكر رأى سديد فى اقامة هيبة ﴾

قيل ان رسولا لمحمود وصل الى الري عند استيلاء السيدة على الامر مهدِّدا بالمسير اليها وكانت لا تحل ولا تعقد الا بمشاورة بدر فكتبت اليه بما تجدد فاشار عليها بانفاذ الرسول اليه ليتولّى هو جوابه. ثم رتب طوائف الاكراد وأصناف العساكر وأمرهم ان ينزلوا بحللهم بطول الطريق من باب الري الى سابور خواست [1] ويظهروا عند اجتياز الرسول بهم عددهم وأسلحتهم ويأخذوا زينتهم ويسيروا به من حلة الى حلة ومن عسكر الى عسكر حتى يوصلونه اليه ففعلوا ذلك.

ورأى الرسول في طريقه من (٤١٣) العساكر ما هاله فلما وصل اليه رأى من حزمه ودهائه وحسن تدبيره ورأيه ما ازدادت به هيبته في صدره. وأجاب عن الرسالة بما أشار به الى الاستمرار على طريق المسالمة واجراء الامر على ما كان عليه من قبل مع أصحاب خراسان فعاد الرسول الى الري وكتب الاجوبة حسب ذلك وانصرف الى خراسان وأخبر بما شاهده فكان ذلك طريقا الى الكف والموادعة.

وأما مكايده في الحروب وبصيرته بامورها فقد تقدم من ذكر الوقعة التى جرت بينه وبين قراتكين الجهشيارى على أخذ شرف الدولة ما يدل على صرامته وله بعد ذلك مقامات مشهورة. فلما انقضت مدته وتناهت سعادته لم ينفعه ماله ولا رجاله ولم تدفع عنه حزامته ولا احتياله قتله أقل الجند وأذلهم ومضى رخيصا

---

(١) في الاصل : سارحاست

العوّل القلبُ الاريبُ ولا * يدفع ريبَ المنيّةِ الحيلُ

واذ قضينا من ذكر أخباره الشاذّة وطرا مع التبرأ من عهدة صحتها فقد عدنا الى سياقة التاريخ (١)

﴿ ودخلت سنة سبع وثمانين وثلثمائة ﴾

وفيها تغير أمر أبي على ابن اسمعيل ووكِّل به فى دار المملكة ثم أفرج عنه واستتر (٤١٤)

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك ﴾

لما ورد أبو جعفر الحجاج ساء ظن أبي على ابن اسمعيل ثم اتصل به من واسط ما حقق ظنه فاقام فى دار المملكة ملتجئا الى القهرمانة وتلطف أبو جعفر له طمعا فى ان يصير اليه فلم يفعل فانفذ من وكل به فى موضعه. وتردد بينه وبين القهرمانة قول كثير انتهى آخره الى ان كتبت خطاً بتسليمه وانها تمتثل ما يرد اليها في معناه فصرف التوكيل حينئذ عنه . وأنفذ ابن اسمعيل الى بارسطغان وبدرك ووضعهما على ان جمعا جمعاً كثيرا من الغلمان وصاروا الى تحت دار أبي جعفر وراسلوه وقالوا له : قد كانت أحوالنا مختلة وأموالنا متأخرة الى ان جاء هذا الرجل فتلافى أمورنا بحسن التدبير وقد حاولت الآن بورودك القبض عليه وازالة هذا الترتيب ونحن لا نمكّن منه

---

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : في المحرم ادعى أهل البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتا طريا بثيابه وسيفه وانه الزبير بن العوام فاخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد وبنوا عليه وعمل له مسجد ونقلت اليه القناديل والبسط والقوّام والحفظة قام بذلك الاثير أبو المسك فالله أعلم من ذلك الميت

و نكاتب الملك بشرح الاحوال وان دعتنا حاجة الى الانحدار اليه انحدرنا. وتردد فى ذلك ما طال وأفضى آخره الى رد خط القهرمانة اليهما والاتفاق على خروجه ونظره ومكاتبة الملك بما عليه الاولياء من ايثاره . فلما كان من غد خرج أبو [415] على من الدار وقصد أحد وجوه الاتراك واستتر عنده

ونظر أبو الحسن العروضى فى النيابة عن أبى العباس ابن ماسرجس وتشاغل أبو جعفر بتقرير ما بينه وبين أبي حسان المقلد بن المسيب

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال فى ذلك ﴾

أنفذ المقلد الى أبى جعفر في أمر الصلح وبذل له البذول على حكمه فيه. فاستقر بعد مراجعات ومنازعات على ان يصحح المقلد عشرة آلاف دينار وتحمل الى الخزانة بواسط. ويقود معها خيلا ويرفع يده عن الاقطاعات ويقنع بما يقرر له من رسوم الحماية عنها ويمكن العمال من المحلول ويشد منهم في استيفاء الحقوق السلطانية ويفرج عن الديلم المأسورين ويخطب لابى جعفر بالموصل بعد بهاء الدولة ويحمل فى كل سنة الف الف درهم غياثية عنها وعلى ان يخلع على المقلد الخلع السلطانية من دار الخلافة ويكنّى ويلقّب بحسام الدولة ويحمل له اللواء ويعقد له بهاء الدولة على الموصل والكوفة والقصر والجامعين ويقلّد زعيم العرب، ويقطعه بالف الف درهم غياثية من المحلول . فاجيب الى ما التمسه وجلس القادر [416] بالله رضوان الله عليه لذلك على العادة .

ولم يف المقلد بجميع ما اشترطه على نفسه الا بحمل المال المعجل واطلاق الديلم المأسورين ثم استولى على البلاد فقصده الكتّاب والمتصرفون والاماثل وخدموه ونبل قدره واستفحل أمره

وفيها توفى العلاء بن الحسن بعسكر مكرم وورد أبو الطيب الفرخان وبعده أبو على ابن أستاذ هرمز شيراز

﴿ ذكر ماجرى عليه الامر بعد وفاة العلاء بن الحسن ﴾

قد تقدم ذكر خروج العلاء الى عسكر مكرم فى أثر الغلمان العائدين من ارجان مع أبي محمد ابن مكرم ومقامه بها مرتبا للامور ثم جاءه أمر الله الذى لا يدفعه وورد المنهل الذى لا محيد للبشر عنه . فلما انتهى الخبر الى صمصام الدولة أنفذ أبا الطيب الفرخان بعد ان استوزره ليسدّ مسدّه فورد ولم يكن منه ما ظن فيه فبان منه العجز والقصور وتقاعد به الديلم وملك أصحاب بهاء الدولة السوس وجنديسابور . وعرف صمصام الدولة ماجرى فانفذ الصاحب أبا على ابن أستاذ هرمز وأصحبه مالا ففرّقه على الديلم وسار بهم الى جنديسابور ودفع الاتراك عنها وجرت مع الاتراك وقائع كثيرة كانت اليد الطويلة لابى على فيها حتى أزاحهم عن بلاد (٤١٧) خوزستان وعادوا الى واسط . فخلت له البلاد ورتب فيها العمال وجمع منها الاموال[1] وتأمل حال الاقطاعات بها . فجرى بين سيامرد بن بلجعفر وبين عامل لابى علىّ تنازع في حدّ وارتفع النزاع فيه اليه فأربى سيامرد فى القول بمجلسه فغاظه

﴿ ذكر تدبير يدل على قوة نفس وشهامة ﴾

أمر أبو علي ان يعمل عملا بما فى يد سيامرد وداود ولده وأبي[2] على ابن بلعباس فاشتمل العمل على مائة الف دينار وزيادة فاحضر الثلاثة المذكورين وكتّابهم للمواقفة ثم عدل بهم الى حجرة وقبض عليهم وقيّدوا

(١) وفى الاصل الاتراك　(٢) وفى الاصل : أبا .

وأخرجوا بعد أيام على النفى الى بلاد الديلم . وجعل اقطاعهم لخمسمائة رجل من الديلم الاصاغر وثلثمائة رجل من الاكراد بعد ان أفرد منه شيأ للخاص فتمكنت هيبته فى الصدور وتضاعفت قوّته فى الامور وتألف قلوب الديلم وراسل وجوه الاتراك الذين مع بهاء الدولة واستمالهم فاجابه بعضهم وصار اليه من جملتهم قراتكين الريحى فملأ عينه وقلبه بالاحسان .

واستمرت أحواله على الانتظام والتمكن من أعمال خوزستان من غير منازعة الى ان عاد أبو محمد ابن مكرم والاتراك من واسط . فلما عرف أبو على ابن استاذ هرمز رجوعه استعد للحرب وجرت بينهم [٤١٨] مناوشات ووقائع . ولم يكن للغلمان قدرة على ازالة الديلم من قصبات البلاد وأشرفوا على الانصراف ثانيا الى واسط حتى خرج أبو على ابن اسمعيل من البطيحة وسيّر بهاء الدولة من القنطرة البيضاء وكان من الامر ما يأتى ذكره فى موضعه

وفيها كوتب أبو جعفر الحجاج بالمسير من بغداد لقصد أبى الحسن على ابن مزيد وسار ابن ماسرجس من واسط لذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر مع أبى الحسن على بن مزيد ﴾

كان على بن مزيد قد استوحش من بهاء الدولة بسبب مال طولب به فكاشفه بالخطاب وانتسب الى طاعة صمصام الدولة وأقام الخطبة له وأطلق لسانه بكل ما يوجب السياسة الامساك عنه وانبسطت بنو أسد فى الغارة على نواحى واسط . فغاظ بهاء الدولة فعلهُ وعرض من أمر المقلد ما استقل به عن غيره فلما استقرت الحال معه كتب بهاء الدولة الى أبى جعفر بالمسير الى ابن مزيد من بغداد وسيّر أبا العباس ابن ماسرجس من واسط فاجتمعا .

واندفع أبو الحسن على بن مزيد من بين أيديهما معتصما بالآجام وتبدءاه فراسلهما واستعطفهما وسأل اصلاح أمره مع بهاء الدولة وبذل على ذلك بذلا . وكان الامر قد ضاق بهما (٤١٩) فى المقام وتعذر عليهما وعلى العسكر نقل المير لبعدهم عن السواد فكاتبا بهاء الدولة فى أمره وسألاه الصفح عنه واقراره على ما يتولى الخدمة فيه فاجاب الى ذلك وسار أبو جعفر وابن ماسرجس الى الكوفة فاما أبو جعفر فانه عاد الى بغداد واما ابن ماسرجس فانه أقام بالكوفة مستوحشا ثم صار الى المقلد ومضى من عنده الى البطيحة .

وفيها توفى فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة بالري

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر بعد وفاة فخر الدولة ﴾

لما اشتدت العلة به أصعد الى قلعة طبرك فبقي أياما يعلل ثم مضى لسبيله . وكانت الخزائن جميعها مقفلة ومفاتيحها قد حصلت عند ابي طالب رستم ولده الملقب من بعده بمجدالدولة فلم يوجد ليلة وفاته ما يكفن به لقصور الايدى عما فى الخزائن وتعذر النزول الى البلد لشدة الشغب حتى ابتيع له من قيم الجامع الذى تحت القلعة ثوب لف به . وجاء من الشغل بالجند ومطالبتهم العنيفة ما لم يمكن معه حطه سريعا فأراح حتى لم يمكن القرب من تابوته فشد بالحبال وجر على درجة القلعة حتى تكسر وتقطع .

وذكر انه خلف من العين والورق والجواهر سوى الثياب والسلاح والآلات ما يزيد على (٤٢٠) عشرة الف الف درهم فكان نصيبه من أمواله الثوب الذى كفن فيه وعاقبته من أيامه اليوم الذى حط فيه . فما أقله من نصيب مبخوس وأشأمه من يوم منحوس فما أغنى عنه ماله

وما كسب ثم ربه أعلم بما صار اليه من شقاوة أو حوفق أو سعادة أو سوح .

ورتب أبو طالب رستم ولده فى الامر وسنهُ اذ ذاك أربع سنين فاخذت له البيعة على الجند وأطلقت له الاموال الكثيرة حتى قيل ان الامر أعجلهم عن حط المال من القلعة على رؤوس الرجال فحطوه بالزبل والبكر والحبال .

والوزيران يومئذ هما أبو العباس الضبي المتلقب بالكافى الاوحد وأبو على ابن حمولة المتلقب بأوحد الكفاة وبينهما أشد عداوة . فبسط أبو على ابن حمولة يده في اطلاق الاموال واستمالة الرجال فمالت قلوب الجند اليه ووقعت أهواؤهم عليه وامتنع أبو العباس الضبي عن مثل ذلك الا انه معظم لمنزلته المتأثلة وقدمه المتقدمة

فتجدد من ورود قابوس بن وشمكير الى جرجان واستيلائه عليها ماوقع الخوض فى تدبير خطبه [1]

﴿ ذكر عود قابوس الى جرجان وما جرى الامر معه عليه ﴾

كان فخر الدولة عند استقراره في الملك عزم على رد قابوس الى أعماله قضاءً [٤٢١] لحقه ومقابلة على احسانه فصدّهُ ابن عباد عن رأيه وكبّر ارتفاعها فى عينه فوقر هذا القول فى سمعه لشحٍ مطاع كان فى طبعه . فلما مات كتب أهل جرجان الى قابوس وهو بنيسابور يستدعونه فصار الي بلادهم وملكها وورد الخبر الى الري بذلك فجرت فى ذلك منازعات فى الرأي وكوتب بدر بن حسنويه بسببه

---

(١) أما الوزيران فليراجع ارشاد الاريب ١ : ٧٣ وترجمة قابوس فيه أيضا ٦ : ٢٤٣

﴿ذكر جواب سديد لبدر خولف رأيه فيه﴾

قال: ان الامير الذى ورث هذا الملك حدث السن ولا ينبغى ان يضيع ماله وذخائره فيما لا تتحقق عواقبه ومصايره والصواب ان نترك الامر على حاله فان يك نجيبا على ما عهد من خلائق آبائه قدر على ارتجاع ما أخذ منه وان ضعف عن ذلك لم تكونوا جمعتم عليه (ذهاب) ماله وذهاب أعماله. فخالفوا رأي بدر وجردوا العساكر وأشار أصحاب أبي على ابن حمولة ونصحاؤه عليه بالخروج في هذا الوجه واستصحاب الخزائن والاموال وقالوا: انك اذا حصلت بجرجان وملكتها كنت أميرا لا وزيراً وكانت الحاجة اليك داعية والآمال بك متعلقة وبعدت عن الحضرة التى أنت فيها مجاذب على المنزلة. وغبى (٤٢٢) ان قاعدة غيره التى يبنى عليها أمره هى بتلك الحضرة والى من يزاحمه فى الرتبة يترقب به الفرصة فى نقصها لكن هيهات قيامه عليها واذا بعد عنها اسرعت اليد الهادمة اليها. فعمل فيه قول هؤلاء النصحاء المجتمعين عليه وسار بالخزائن والاموال لامر تسوقه المقادير اليه وحصل بين عدوين أحدهما أمامه لا يعلم ما يكون منه معه وأخر وراءه يقصد مقاتله.

ووافي قابوس وتصافا في الحرب فما كانت الا حملة واحدة من أصحاب قابوس حتى انهزم أصحاب أبى على ابن حمولة وغنم قابوس وأصحابه غنيمة كثيرة وعاد الى جرجان. وثبتت قدمه بأحسن السيرة ورفع الرسوم الجارية والضرائب المأخوذة.

وعاد أبو على الى الرى مفلولا ووقع الشروع في تجريد العساكر ثانيا الى جرجان. فقال أبو على: قد خرجت نوبة وهذه نوبة أبي العباس الضبي.

وتردد فى ذلك قول كثير ثم أجمع رأي السيدة ورأي بدر بن حسنويه على صرف أبي علي بن حمولة والقبض عليه .

﴿ ذكر ما جرى الامر عليه فى القبض على ابن حمولة ﴾

حضر أبو عيسى سافرى بن محمد كاتب بدر مظهرا تجديد العهد بالخدمة واجتمعت الجماعة في دار الامارة وخلوا في الحجرة الركنية لتقرير (٤٢٣) أمر من يخرج الى جرجان فاتفق ان ابن حمولة نهض لحاجة يقضيها فاتبع بمن عدل به الى موضع فى الدار وقيد وانصرف أبو العباس الضبي الى داره وأبو عيسى الى دار على بن كامة وكانت برسمه وهى طرف البلد . وشاع خبر القبض على ابن حمولة فثار الديلم وقصدوا دار أبي عيسى ليهجموا عليه فهدم حائطا منها يلى الصحراء وخرج منه وركب وتبعه أصحابه ووقف على قرب من البلد حتى أخرج اليه ابن حمولة فسار به الى بلاد بدر و حبسه في بعض القلاع (١) وأنفذ اليه من الري بعد أيام من تولى قتله

وأقام الديلم على شغب ونهبوا دار أبي العباس وطالبوا بتسليمه واقتضت الحال عند تفاقم الامر القبض عليه ففعل ذلك وحُمل فى عمارية وهو مقيد وقد أخرجت رجلهُ منها ليشاهد القيد فيها بحضرة العسكر وأصعد الى قلعة طبرك . وكان الجند قد هموا بالفتك به وكفّ الله سبحانه وتعالى أيديهم عنه وألقى فى قلوبهم هيبة منه فلما حصل فى القلعة راسل أكابر الديلم واستمالهم وأصلحوا له قلوب أصاغرهم واجتمعوا بعد ثلاثة أيام وتشاوروا بينهم وقالوا : قد مضى ذلك الوزير الذى قد فعلنا هذا الفعل لاجله ولا يجوز ان نتعوض عن أبي العباس (٤٢٤) مع رياسته المأثورة وكفايته المشهورة بغيره .

---

(١) وفى ارشاد الاريب ١ : ٧٣ هى قلعة استوناوند

فصاروا الى دار الامارة وخاطبوا السيدة على ذلك فاستقر الرأي على خروجه ونظره فخرج فى اليوم الرابع من القلعة وتلقاه النـاس على طبقاتهم بتقبيل الارض واظهار السرور . وسـيأتى ذكر ما جرى عليـه أمره من بعـد فى موضعه .

وفيها قبض المقلد بن المسيب على أخيه بالموصل

﴿ ذكر القبض على علي بن المسيب والافراج عنه ﴾
﴿ وما جرى في ذلك من الخطوب فى هذه ﴾
(السنة وما بعدها ليتسق الحديث)

قد تقدم ذكر ما تقرر بين عليّ والمقلد فى أمر الموصل والمشاركة فيها وما وقع من الخلف بين أصحابهما . فلما عاد المقلد من سقي الثمرات الى الموصل عزم على الفتك بأصحاب أخيه ثم علم انه متى فعل ذلك بهم فعل على بأصحابه مثله فقوى رأيه في القبض على أخيه . وكان مع المقلد من الديلم والاكراد وغيرهم نحو ثلاثة آلاف رجـل تطلق لهم الارزاق فى كل شهر فحين عزم على ما عزم عليه جمعهم الى داره وأظهر بانه يريد المسير الى دقوقا (٤٢٥) وحلفهم على الطاعة واستوثق منهم

﴿ ذكر الحيلة التى عملها المقلد فى ذلك ﴾

كانت دار المقلد متصـلة بدار على ولم يكن مع على الا نحو مائة رجل من خاصته فامر بالنقب الى الموضع الذى هو فيه فى ليلة علم فيها انه سكران ودخل اليه ومعه عدة من خواصه فحمله على ظهر أحد الفراشين وحصّله فى خزانته ووكل به جماعـة من غلمانه الاتراك . واستدعى فى الحال غلامين من البادية وسلم اليهما فرسين جوادين وأرسلهما الى صاحبته يقول لها : انى

قد قبضت على عليّ فخذى حذرك واسرعى فى الحال بولديك قرواش وبدران الى تكريت فان أحمد بن حماد صديقي وهو يدفع عنكم ولاتخلفي ماتخلفينه وراءك فى الحلة قبل ان يعرف أخى الحسن الخبر فيبادر اليك ويقبض على ولديك . فكدّ الغلامان فرسيهما ركضا وتقريبا ووصلا الى تكريت فى يومهما عند غروب الشمس وجلسا من تكريت فى ركوة وانحدرا الى موضع الحلة وكانت على أربع فراسخ منها فانذرا المرأة وأدّيا اليها الرسالة . فركبت فرسا وأركبت ولديها فرسين وهما يومئذ صغيران وساروا في الليل الى تكريت فدخلوها . (٤٢٦) وعرف الحسن بن المسيب حال القبض على أخيه من غلام أسرع اليه من الموصل بالخبر فبادر الحسن الى حلة المقلد ليقبض على ولديه وأهله وعنده انه يسبق اليهم ففاتوه وبطل عليه ما قدره من ذلك .

وقام المقلد بالموصل يستدعى وجوه بنى عقيل ويخلع عليهم ويقطعهم الى ان اجتمع عنده زهاء الفى فارس . وقصد الحسن حلل العرب باولاد على وحرمه يستغيثون ويستنفرون ويقولون « ان المقلد قطع الرحم وعادى العشيرة وقبض على أميرها وانحاز الى السلطان » فنفر منهم نحو عشرة آلاف رجل وراسل المقلد وقال : انك قد احتجزت عنا بالموصل وأقمت فان كان لك قدرة على الخروج فاخرج . فاجابه بانه يخرج ولا يتأخر وسار على أثر الرسول وأخرج معه عليا أخاه فى عمارية وهو محروس فى نفسه مراعى فى أحواله الا انه مستظهر عليه بالتوكيل . وقرب من القوم حتى لم يبق بين الفريقين الا منزل واحد بازاء العلث وجدّ فى أمر الحرب فحضره وجوه العرب واختلفت آراؤهم فقوم دعوه الى الصلح وصلة الارحام وقوم حضوه على المضى

والاقدام . وكان فى القوم غريب ورافع ابنا محمد بن مقن فتنازعا القول عند المقلد وظهر من رافع حرص على الحرب وخالف غريب [1]

﴿ ذكر كلام سديد لغريب [٤٢٧] ﴾

قال لرافع : ما قولك هذا بقول ناصح أمين ولا ناصر معين فان كنت فى هذا الرأى عليه فقد أخفرت الامانة وأظهرت الخيانة وان كنت معه فقد سعيت فى تفريق الكلمة وهلاك العشيرة واطماع السلطان . والمقلد ممسك لا يتنفس [2] فدخل عليه داخل وقال له : أيها الامير هذه أختك رُهيلة بنت المسيب (وكانت عند جعفر بن على بن مقن) قريبة منك تريد لقاءك . فامتدت الاعين اليها فاذا هى فى هودج على بُعد فركب المقلد وسار حتى لحق بها وتحادثا طويلا ولا يعلم أحد ما جرى بينهما الا انه حكى فيما بعد انها قالت له : يامقلد قد ركبت مركبا وضيعا وقطعت رحمك وعققت ابن أبيك فراجع الاولى بك وخلّ عن الرجل واكفف هذه الفتنة ولا تكن سببا لهلاك العشيرة ومع هذا فانى أختك ونصيحتى لاحقة بك ومتى لم تقبل قولي فضحتك وفضحت نفسى بين هذا الخلق من العرب . فلان في يدها ووعدها باطلاق على وعاد فى وقته فأمر بفك قيده ورد عليه جميع ما كان أخذه منه وأضاف اليه مثله ورتب له مخيما جميلا ونقله اليه واستكتب له أبا الحسن ابن أبي الوزير وجعله عينا عليه متصرفا على أمره بين يديه

فاصبح الناس مسرورين بما تجدد من الصلح وزال من الخلاف واجتمع المقلد مع على وتحالفا ومضى علي [٤٢٨] عائدا الى حلته والمقلد سائرا الى الانبار

---

(١) وأما غريب وفي ارشاد الاريب ٢ : ١٠٣ انه كان بعد الاربعمائة صاحب البلاد العليا تكريت ودجيل وما لاصقها . (٢) يريد : لا ينبس

لقصد أبي الحسن على بن مَزيد ومقاتلته . فقد كان تظاهر بمعصية على حين قبض عليه المقلد وطرق أعمال سقي الفرات واجتذب شيأ منها .

ولما انفصل على بن المسيب اجتمع اليه العرب وحملوه على مباينة المقلد فامتنع عليهم وقال : ان كان قد أساء فانه قد أحسن من بعد . فما زالوا حتي غلبوه على رأيه وأصعد الى الموصل مباينا واعتصم من كان معه من أصحاب مقلد بها بالقلعة فنازلها وفتحها واستولى على ما كان فيها . فطار الخبر الى المقلد فكر راجعا واجتاز في طريقه على حِلة الحسن وهو فيها فخرج اليه وشاهد من قوة عسكره ماخاف على أخيه منه فقال له : دعني أصلح مابينك وبين أخيك وأضمن لك العهد فيما تريد منه . ورفق به حتي استوقفه وسار في الوقت الى على من غير ان يعود الى حِلته فوصل اليه آخر النهار وقد جهد نفسه وفرسه وقال لعلى : ان الاعور قد أقبل بقضه وقضيضه وأنت غافل . ثم شاوره فاشار عليه ان يستميل كل من بالموصل من أهالي الجند الذين هم في جملة المقلد ويضمهم على [توسط] ما كان بينهم واستمالتهم فان قبلوا وفارقوا المقلد قاتلهُ وان امتنعوا وأقاموا معه صالحه ففعل ذلك .

وكان المقلد قد قرب من الموصل وبات وهو متيقظ قد رتب الطلائع فظفر بقوم قد وردوا بالملطفات الى أصحابه فحملوهم اليه (٤٢٩) ووقف على ما معهم من الكتب فأصبح وقد عبى عسكره وزحف الى الموصل وأيس على والحسن من فساد جند المقلد عليه فخرج اليه ولاطفه (١) ثم دخل البلد وعلىٌّ عن يمينه والحسن عن شماله . وناوش العرب بعضهم بعضا طلباً للفتنة فخرج الحسن حلا وارهب قوما وحسم الفتنة وحصل جميع الناس بالموصل على صلح

---

(١) يريد : فخرجا اليه ولاطفاه

ثم خوّف على من المقام فخرج هاربا في الليل وتبعه الحسن وترددت الرسل بينهما وبين المقلد واستقر ان يكون دخول كل واحد منهما البلد عن غيبة الآخر وجرت الحال على ذلك الى بقية سنة ٣٨٩ . وسار المقلد الي الانبار ممضيا لما كان عزم عليه من حرب على بن مزيد فدخل بلده واندفع على بن مزيد الى الرصافة ولجأ الي مهذب الدولة فقام بامره وتوسط ما بينه وبين المقلد حتي أصلحه وانصرف المقلد الى دقوقا ففتحها . وعدل الى تدبير أمر الحسن أخيه فان عليًّا مات فى أول سنة ٣٩٠ وقام الحسن في الامارة مقامه . فجمع المقلد بني خفاجة بحللهم وبيوتهم وأصعد بهم الي نواحي برقعيد يظهر طلب بنى نمير ويبطن الحيلة على أخيه . وعرف الحسن خبره فخاف ومضى فى السر هاربا على طريق سنجار الى العراق فاسرى خلفه طمعا في اللحاق ففاته وعاد المقلد الى الموصل وأقام بها ثلاثة (٤٣٠) أيام وانحدر يقص آثاره فمضى الحسن الى زاذان واعتصم بالعرب النفاضة وتمم المقلد الي الانبار وعادت خفاجة معه . فاتفق في أمره ما سيأتي ذكره في موضعه ان شاء الله

وفيها عاد الشريف أبو الحسن محمد بن عمر الي بغداد نائبا عن بهاء الدولة

وفيها استكتب ولد أبي الحسن ابن حاجب النعمان للامير أبي الفضل ابن القادر بالله رضى الله عنهما وجلس الامير أبو الفضل وسنهُ يومئذ خمس سنين فدخل اليه الناس وخدموه (١)

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفى سنة ٣٧٢ ولد أبو الفضل محمد بن القادر بالله وهو الذي جعل ولي العهد ولقب الغالب بالله . وقال أيضا : وفى سنة ٣٨٨ قبض القادر بالله على كاتبه أبي الحسن على بن عبد العزيز وقلد كتابته أبا العلاء سعيد بن الحسن ابن برمك ثم بعد شهرين ونصف عزله وأعاد أبا الحسن .

﴿ ودخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيها هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب من الاعتقال في دار الخلافة .

﴿ شرح حاله وما انتهى اليه أمره بعد هربه ﴾

هذا الرجل كان يقرب بالنسب الى الطائع لله وكان مقيما في داره فلما قبض عليه وخلع من الامر هرب هذا وتنقل في البلاد وصار بالبطيحة وأقام عند مهذب الدولة فكاتبه القادر بالله رضوان الله عليه فى أمره (٤٣١) فأخرجه من بلده . ثم صار الى المدائن منتقلا فانتهى الى القادر بالله خبرهُ فأنفذ من اعترضه وأخذه مقبوضا عليه وحبس فى بعض المطامير . فامكنته فرصة فى الهرب من موضعه فهرب ومضى الى كيلان وادعي انه هوالطائع لله وذكر لهم علامات عرفها بحكم أنسه بدار الخلافة فقبلوه وعظموه وزوّجه محمدبن العباس أحد أمرائهم ابنته وشدّ منه وأقام له الدعوة في بلده وأطاعه أهل نواح أخر وأدّوا اليه العشر الذى جرت عادتهم بادائه الى من يتولى أمرهم فى دينهم . وورد من هؤلاء الجيل الى بغداد قوم وصلوا الى حضرة القادر بالله رضى الله عنه فاوضحت لهم حقيقة الحال وكتب على أيديهم بازالة الشبه فلم يقدح ذلك فيه لاستقرار قدمه واعتضاده بحميه

وكان أهل جيلان يرجعون الي القاضى أبي القاسم بن كج (١) فى أمور

---

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته : يوسف بن أحمد بن كج القاضي الشهيد أبو القاسم الدينوري كان يضرب به المثل فى حفظ مذهب الشافعي وجمع بين رياسة الفقه والدنيا وارتحل الناس اليه من الآفاق رغبة في علمه وجوده وله مصنفات كثيرة وكان بعض الناس يفضله على أبي حامد شيخ الشافعية ببغداد قتله العيارون

دينهم وفتاويهم فى أحكامهم وله وجاهة عندهم فكوتب من دار الخلافة ورسم له مكاتبتهم بما يزيل الشبهة عن قلوبهم فى أمر عبد الله بن جعفر فكتب اليهم وصادف قوله قبولا منهم وتقدّموا الى عبد الله بالانصراف عنهم فانصرف .

وفيها أصعد أبو على ابن اسمعيل من البطيحة الى حضرة بهاء الدولة فانصرف الشريف أبو الحسن محمد بن عمر من بغداد مستوحشا وعاد الي البطيحة (٤٣٢)

﴿ ذكر الحال فى حصول أبي على ابن اسمعيل ﴾ ﴿ بواسط ناظرا وما جرى عليه أمر ﴾ (الشريف أبي الحسن ابن عمر معه)

قد تقدم ذكر ما جرى عليه أمره فى استتاره ثم تنقل من موضع الى موضع حتى حصل بالبطيحة وعرض له مرض حدث به منه استرخاء في مفاصله وصار الى قرية ابراهيم يطلب صحة الهواء بها . وراسل وروسل وكان بهاء الدولة جميل النية فيه وانضاف الى ذلك قصور المواد عنه وخروج البلاد عن يده واحتياجه الى من يدبر أمره واستقر النظر لابي على وأصعد الي واسط . فلما حصل بها استوحش الشريف أبو الحسن بن عمر وانصرف من بغداد الي حلة مقلد ورتب أبا الحسن ابن اسحق كاتبه في ضياعه بسقي الفرات وتمم الي البطيحة . وشرع أبو على ابن اسمعيل فى تتبع أسباب

بالدينور ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠٥ رحمه الله تعالى . وهو صاحب وجه قال له نفيه : يا أستاذ الاسم لابي حامد والعلم لك . قال : ذاك رفعته بغداد وحطتني الدينور

الشريف أبي الحسن وأخرج ثلاثة من المتصرفين لقبض أملاكه ومعاملاته وتحصيل أمواله وغلاته فنظروا فيما كان له ببغداد دون ما كان له بسقي الفرات فان المقلد دفعهم عنها ومكن أبا الحسن ابن اسحق كاتب ابن عمر منها فكان يتناول ارتفاعها (٤٣٣) ويحمله اليه وهو بالبطيحة فلما انصلح ما بين الشريف أبي الحسن وبين أبي على ضمن منه المتصرفين الثلاثة بمال بذله عنهم وأطلق يده فيهم وكان ذلك لؤما منه فما المؤتمر بالظلم بأظلم من الآمر

﴿ ذكر السبب فى صلاح ما بين الشريف أبي الحسن ﴾
﴿ محمد بن عمر وأبي على ابن اسمعيل ﴾

كان أبو الحسن ابن يحيي السابسي سعي فى الصلح بينهما وانحدر الى البطيحة وخلا بالشريف أبي الحسن ابن عمر وقال له : أيها الرجل مالك والتطرح والتشبث كلما تجدد ناظر ووزير مغررا بنعمتك ونعمنا فى معاداة من لا نصلح لموضعه ولا يصلح لموضعنا ؟ وهذا أبو على مخايل سعادته لائحة فسالمه ودعني أتوثق لكل واحد منكما من صاحبه . ولم يزل به حتى لانت عريكته للقبول .

واتفق ان مهذب الدولة تنكر على أبي على ابن اسمعيل بسبب تمور كانت لابن الحداد صاحبه فاستقصى أبو على في استقضاء ضريبتها بواسط فاطلق مهذب الدولة لسانه فيه ومهذب الدولة يومئذ بحيث يحتاج اليه الملك ومن دونه فانحدر أبو على اليه لاستلال سخيمته واستصلاح نيته وتقدمه أبو الحسن ابن يحيي السابسى وقال للشريف أبي الحسن ابن عمر : قد ورد أبو (٤٣٤) على وأمكنت الفرصة في اصلاح الحال . وأشار عليه بتلقيه وقضاء حقه فتلكأ قليلا ثم فعل ونزل في زبزبه وصار الي أبي على فلما صعد اليه

أكرمه وقام له وأجلسه الى المخدّتين وحضر ابو نصر سابور فجلس الى جانب أبي على عن يمينه وسلم كل واحد منهما على صاحبه وسأله عن خبره ثم قام الشريف .

وانحدر أبو على الي مهذب الدولة واجتمع معه واعتذر اليه وأخذ معه منه خمسة آلاف دينار علي وجه القرض وخرج من عنده الى داره التى كان نزلها قبل الاصعاد . وجاء أبو الحسن ابن يحيي الي الشريف وألزمه العوداليه وقال له : تلك النوبة كانت للتلقي وهذه للصلح وتقرير القاعدة . فمضي اليه وتقرر بينهما على ان التزم الشريف عشرين الف دينار وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء . وكان الشريف أبو الحسن قد استوثق قبل ذلك من بهاء الدولة بيمين كتبها له بهاء الدولة بخطه واستظهر باخذ خط مهذب الدولة فى آخرها يقول : ان الوفاء للشريف مقرون بالوفاء لى والغدر به معقود بالغدر بي ومتى عدل به عن العهود المأخوذة فلا عهد لبهاء الدولة فى عنقى ولا طاعة عليّ .

والتفت أبو على الى تقرير أمر أبي نصر سابور فوافقه على الاصعاد وآمنه من بهاء الدولة ومن كل ما يتخوفه وقرر أمر أبي غالب محمد بن على ابن خلف (٤٣٥) وغيره ممن كان قد بعد خوفا على خمسة آلاف دينار فحصل معه من هذه الوجوه ثلاثون الف دينار . وعاد الى واسط وفي صحبته الشريف أبو الحسن وأبو نصر سابور وجماعة من كان بالبطيحة من المتصرفين وسكنت الجماعة الى صدق وعد أبي على وصحة عهده ولقّب بالموفق وأشار على بهاء الدولة بالمسير الى خوزستان ومباشرة الخطب بنفسه وجدّ في تجريد العساكر فخالفه أبو عبدالله العارض فى هذا الرأى وقال :

ان الملوك لا تغرّر ولا تخاطر ولا تضمن لها العاقبة في أمثال ذلك

﴿ ذكر مادبره أبو علي في نصرة رأيه ﴾

أرسل الى الشريف أبي الحسن وقال : اني صائر اليك في هذه العشية وكانت في شهر رمضان ثم صار اليه ومعه أبو العلاء الاسكافي خاله وأبو نصر سابور فافطروا عنده ثم خلوا وخامسهم السابي فقال أبو علي لابي الحسن ابن عمر : قد علمت أيها الشريف ما عليه أمر هذا الملك من الاختلال وقصور المادة به وخروج البلاد عن يده واننا من هذه الحروب والمطاولة على خطر ومتى لم نمدد أصحابنا (يعني أبا محمد ابن مكرم والغلمان الذين معه)[436] بالمال لم يثبتوا وان عادوا فقد سلموا الدولة واذا أمددناهم ضاق الامر بهذا الملك ولم يكن له بد من مد اليد الى مالك ومال ابن عمك هذا (وأشار الى أبي الحسن السابي) ومال كل ذي ثروة ولم يدفع عنكم ولا عنا دافع وان ساعدتني على ما أشير به من مسير بهاء الدولة بنفسه كنا بين ان يأتي الله بنصر فقد بلغنا المراد أو يقضي الله بغير ذلك فقد أبلينا العذر وبذلنا الاجتهاد . وفي غد تستدعي الى الدار وتشاور فيما قلته فان ضربته فقد استرحت منا ببعدنا عنك وعسى الله ان يأذن بالفرج وان ملت الى من يشير بخلاف هذا الرأي فالحال تفضي والله الى ما حسبته لك . فقال الشريف : كل هذا صحيح الا ان المشورة القاطعة على الملوك بمثل ذلك لا تؤمن عواقبها ولكن سأتلطف فيما تريده . فانقضى[1] المجلس

واستدعي الشريف في صبيحة تلك الليلة الي حضرة بهاء الدولة وجمع وجوه الاولياء وشوورت الجماعة في خروج بهاء الدولة بنفسه فقال الشريف :

---

(١) لعله : فانقض

انما جعل الله الملوك أعلى منا يدا وأفضل تأييدا بما خصوا من الرأى الصائب والنظر الثاقب واذا كان الملك قدعزم على التوجه بنفسه فالله تعالى يقرن ذلك بالخيرة والسعادة ويجعله سببا لنيل الارادة . فقال ابو على ابن اسمعيل : أيها الملك فقد وافق الشريف رأيي ولم يبق الا امضاء العزيمة وتقديمها . وتفرق الناس (٤٣٧) على ذلك

﴿ ذكر مسير بهاء الدولة من واسط الى القنطرة البيضاء ﴾

لما استقر الامر على المسير بدأ أبو على باخراج أبي الحسن محمد بن عمر وأبي نصر سابور وأبي نعيم الحسن بن الحسين الى بغداد على ان يكون الى أبي الحسين حفظ البلد والى أبي نصر ملاحظة الامور والى أبي نعيم جمع المال واقامة وجوه الاقساط . ثم جد في تسيير بهاء الدولة وتحصيل ما يزجى به الامر من الآلات والظهور حتى استعان ببغال الطحانين وسار على اختلال في اهبته واقلال من عدته حتى نزل الموضع المعروف بالقنطرة البيضاء . وثبت أبو على ابن أستاذ هرمز بازائه وجرت بين الفريقين وقائع كثيرة وضاق ببهاء الدولة وبعسكره الميرة فاستمد من بدر بن حسنويه فامدّه بدر بما قام ببعض الأوَد وأشرف الامر على الخطر . ووجد أعداء أبي على بن اسمعيل مجالا في الطعن على رأيه بتعريض الملك وأوغر صدر بهاء الدولة عليه حتى كاد يبطش به فتجدد من خروج ابني بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتى ذكره وجاء من الفرج ما لم يكن في الحساب وانقلب الرأى الذى كان خطأ الى الصواب (٤٣٨)

ربما تجزع النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

فاجتمعت الكلمة على بهاء الدولة ودخل أبو على ابن أستاذ هرمز ومن معه من الديلم في طاعته وسيأتى شرح ذلك من بعد بمشيئة الله تعالى .

وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه للرسولين الواردين من أبي طالب رستم بن فخر الدولة وأبي النجم بدر بن حسنويه وكنى أبا النجم بدرا ولقّبه نصرة الدولة وعهد لابي طالب على الرى وأعمالها وعقد له لواء وحمل اليه الخلع السلطانية الكاملة وعهد لبدر على أعماله بالجبل وعقد له لواء وحمل اليه الخلع الجميلة وذلك بسؤال بهاء الدولة وكتّابه . فاما مجد الدولة فانه لبس الخلع وتلقب وأما بدر فانه كان سأل ان يلقب بناصر الدولة فلما عُدل به عنه الى نصرة الدولة توقف عن اللقب ثم أجيب فيما بعد سؤاله فلقب بناصر الدين والدولة فقبله وكتب وكوتب به

وفيها حدثت بفارس أمور كانت سببا لانتقاض ملك صمصام الدولة وقتله في آخرها

﴿ شرح الحال في الامور التى أدت الى قتل صمصام الدولة ﴾

قد تقدم ذكر ما كان العلاء بن الحسن اعتمده بعد تلك النكبة التى صار بها (٤٣٩) موترا من السعي فى هلاك الدولة باطماع الجند وايجاب الزيادات التى تضيق المادة عن القيام بها ثم مضى لسبيله وقد اضطربت امور صمصام الدولة وطال تبسط الديلم عليه وقصرت مواده عما يرضيهم به . فامتدت عيونهم الى اقطاع السيدة والرضيع والحواشى فبدأ الديلم الذين كانوا بفسا وطالبوا عاملها بما استحقوه وألزموه مد اليد الى الاقطاعات للمذكورين وارضائهم بها فأبى عليهم فثاروا وشغبوا وحملوه الي باب شيراز على غضب وشغب فلم يقدم أحد من أصحاب صمصام الدولة على الخروج اليهم وأقاموا ثلاثة أيام ثم قتلوا العامل وذكروا الحواشى بما أزعجهم فبعدوا عن مواضعهم خوفا منهم . وخرج صمصام الدولة بنفسه اليهم فلقوه بالغلظة ولقيهم بالرفق

واشتدوا عليه ولان لهم وأجابهم الى ملتمساتهم وسكنوا وعادوا الى مواضعهم بفسا [1] فاستولوا على اقطاعات الحواشي جميعها .

ومضت على ذلك مدة وزاد الامر على صمصام الدولة في انقطاع المواد عنه واجتماع الديلم عنده ومطالبتهم له فضاق بهم ذرعا

﴿ ذكر رأى خطأ لم تحمد عواقبه (٤٤٠) ﴾

أشار على صمصام الدولة نصحاؤه بعرض الديلم في جميع الاعمال وامضاء كل من كان صحيح النسب أصيلا واسقاط كل من كان متشبها بالقوم دخيلا والاتساع بما ينحل من الاقطاعات عنهم بهذا السبب فعمل هذا القول فيه وعزم على العمل به وتقدم الى مدبرى أمره بذلك فقيل له : ان ديلم فسا يتميزون بكثرة العدد وشدة البطش ولا يقدر على عرضهم الا أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن فان له معرفة بالانساب والاصول وهيبة في العيون والقلوب . فاستقر الامر على استدعائه من كرمان واخراج أبي الفتح أحمد بن محمد بن المؤمل ليقوم مقامه بها ففعل ذلك وعاد أبو جعفر فاخرج الى فسا فلما حصل بها وأظهر ما رسم له وبدأ بالعرض ومسير [2] الصفاء من الاوباش فما استتم العرض حتي سقط بها ستمائة وخمسين رجلا وفعل أبو الفتح ابن المؤمل مثل ذلك فاسقط نحو أربعمائة رجل . وحصل هؤلاء المسقوطون وهم أرباب أحوال وأولو قوة وبأس متشردين متلددين يطلبون موضعا يقصدونه ومنشرا [3] يصعدونه .

واتفق ان ابنى بختيار وهما أبو القاسم اسبام وأبو نصر شهفيروز قد خدعا الموكلين بهما في القلعة فساعدوهما وأفرجوا عنهما فجمعا الى نفوسهما من

(١) وفى الاصل : نفسا (٢) لعله : وميز (٣) لعله : ونشزاً

لفيف الاكراد (٤٤١) من قوى به جانبهما واتصل خبرهما بمن (١) أسقط من الديلم فصاروا اليهما فوجا بعد فوج . فلما استحكم أمرهما سارا لاخذ البلاد وصار أبو القاسم اسبام الى ارجان فملكها ودفع أصحاب صمصام الدولة عنها وتردد أبو نصر شهفيروز في الاعمال مستمدا للاموال ومستميلا للرجال . وتحير صمصام الدولة في أمره ولم يكن بحضرته من ينهض بالتدبير ليقضى الله أمرا سبق فى التقدير .

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز مقيما بفسا على ما تقدم ذكره فلما تجدد من ابني بختيار ما تجدد اجتمع اليه نسوة من نساء أكابر الديلم المقيمين بخوزستان عند أبي على ولده وكنّ يجرين مجرى الرجال فى قوة الحزم واصالة الرأى والمشاركة في التدبير

﴿ ذكر رأى سديد أشرن به على أبى جعفر فلم يقبله ﴾

قلن له : أنت وولدك (٢) اليوم صاحبا هذه الدولة ومقدماها وقد لاحت لنا أمور نحن مشفقات منها ومعك مال وسلاح وانما يراد مثل ذلك للمدافعة عن النفس والجاه . فالصواب ان تفرق ما معك على هؤلاء الديلم (٤٤٢) الذين هم عندك وتأخذهم وتمضى الى شيراز وتسير صمصام الدولة الى الاهواز وتخلصه من الخطر الذى قد أشرف عليه فانك اذا فعلت ذلك أحييت الدولة وقضيت حق النعمة وتقربت الرجال الي قلوب رجالنا المقيمين هناك . ومتى لم تقبل هذه المشورة وثب هؤلاء الديلم عليك ونهبوك وحملوك الي ابنى بختيار فلا المال يبقى ولا النفس تسلم . فشح أستاذ هرمز بما معه وغلب

---

(١) وفى الاصل : ثم (٢) وفي الاصل : ووالدك . والمراد به هو ابنه أبو على الحسن عميد الجيوش

عليه حب المال فغطى على بصيرته حتى صار ما أُخبر به حقا فنهب داره واصطبله ونجا بنفسه واستتر في البلد فدل عليه وأخذ [1] وحمل الى ابن بختيار ثم احتال لنفسه فخلص من يده

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد خروج ابني بختيار الى ان قتل ﴾

لما أظله من أبى نصر ابن بختيار ما لا قوام له به أشار عليه خواصه ونصحاؤه بصعود القلعة التى على باب شيراز وقالوا له : انك اذا حصلت فيها تحصنت بها وكان لك من الميرة والمادة ما يكفيك الشهر والشهرين ولم تخل من أن ينحاز اليك من الديلم من يقوى به أمرك . فعزم على ذلك وحاول الصعود (٤٤٣) اليها فلم يفتح له المقيم فيها فازداد تحيرا في أمره فقال له الجند وكانوا ثلثمائة رجل : نحن عدة وفينا قوة ومنعة وينبغى أن تقعد أنت ووالدتك فى عمارية لنسير بك الى الاهواز ونلحقك بابى على ابن أستاذ هرمز وعسكرك المقيمين معه ومن اعترضنا فى طريقنا دافعنا برؤسنا عنك وبذلنا مهجتنا دونك . فقال الرضيع : هذا أمر فيه غرر والوجه ان نستدعى الاكراد ونتوثق منهم ونسير معهم . فمال الى هذا الرأي وراسل الاكراد واستدعاهم وتوثق منهم وخرج معهم بخزينته وجميع ذخائره فلما بعدوا عن البلد عطفوا عليه ونهبوا جميع ما صحبه وكادوا يأخذونه فهرب وصار الي الدودمان على مرحلتين من شيراز . وعرف أبو نصر ابن بختيار خبر انفصاله فبادر الى شيراز ونزل بدولتاباذ وطمع طاهر الدودمانى رئيس القرية في صمصام الدولة واستظهر عليه الى أن وافى أصحاب ابن بختيار فاخذوه وقتلوه وذلك

(١) وفى الاصل : واحد

فى ذى الحجة سنة ٣٨٨ وكانت مدة عمره خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر.

وما أقلها من مدة وأسوأها من عاقبة أمر فلقد كانت حلاوة دولته يسيرة ومرارة مصائبه في ملكه ونفسه كثيرة فما وفى شهده بصابه (٤٤٤) ولاعوافيه باوصابه ولم يكن له في أيامه يوم زاهر ولامن ملكه نصيب وافر

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

وقبض على والدته وعلى الرضيع وقوم من الحواشى. وجاءت امرأة من الدودمان تسمى فاطمة فغسلت جثته وكفنتها ودفنتها وأحضر رأسه فى طست بين يدى أبى نصر ابن بختيار فلما رآه قال مشيرا اليه «هذه سنة [سنها] أبوك» وأمر برفعها.

وأما والدته فانها سلمت الى لشكرستان كور فطالبها وعذبها فلم تعطه درهما واحدا فقتلها وبنى عليها دكة. وأما الرضيع فانه قتل بعد ذلك وبعد ان صودر واستصفى ماله

﴿ودخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة﴾

وفيها دخل أبو على ابن أستاذ هرمز والديلم فى طاعة بهاء الدولة واجتمعت الكلمة عليه وملك شيراز وكرمان فاستتبت أموره واستقامت أحواله واستقرت دولته واهتزت سعادته

﴿شرح ماجري عليه الحال في ذلك (٤٤٥)﴾

قدتقدم ذكر نزول بهاء الدولة بالقنطرة البيضاء وتكرر الوقائع بين الفريقين وأقام بهاء الدولة شهرين وأكثر يطلب مناجزة الديلم وهم يقصدون مدافعته ومحاجزته وطال الامر بينهم. وكان أبو على ابن اسمعيل الملقب بالموفق يباشر الحرب ويتولى التدبير وكان معه مناح صاحب محمد بن عباد مع مائة

فارس من السادنجان فرتبهم في الطلائع وأمرهم ان يقتصوا إِثر كل من يخرج من السوس أو يدخلها فيأخذوه . وضاق الامر بالديلم من هذا الحصار وبهاء الدولة من تعذُّر الميرة وتطاول الايام وأشرف على العود حتى انه لو تأخر ما تقدم من أمر ابى بختيار وقتل صمصام الدولة لانهزم بهاء الدولة

﴿ ذكر حيلة رتبها أبو على ابن أستاذ هرمز برأيه فكشفها

أبو على ابن اسمعيل بألمعيته ودهائه ﴾

وكان بهاء الدولة وكّل رجاله الفرس لاخذ من يوجد فى الجواد فظفروا برجل معه زنبيل دستنبوا فحملوه الي المعسكر وسئل عن أمره فقال : أنا عابر سبيل أتعيش بحمل هذا المشموم من موضع الي موضع . (٤٤٦) فهدد وخوّف حتى أقر بانه رسول الفرخان الى الصاحب أبى على ابن أستاذ هرمز بملطف معه « انا سائرون من طريق عند قرب وصولنا فتصمد للقاء القوم » فلما وقف بهاء الدولة على ذلك قلق قلقا شديدا وقال : كل من يطعن على رأى [أبي] على ابن اسمعيل ويعاديه . . . . . . وان قصدنا من هذا الجانب فقد حصلنا في أيدى القوم أسارى وأعوزنا الهرب وضاق بنا المذهب فتابع بهاء الدولة الرسل الى أبى على ابن اسمعيل وكان فى الحرب يستدعيه فحين حضر أعلمه الحال وأعطاه الملطف فلما قرأه قال : هذا محال . وخرج من بين يديه وأحضر الرجل المأخوذ وقال له : اصدقنى . وعاصه بالجميل فلم يزده على القول الاول فامر بشده وعمد اليه بدبوس فضربه بيده ضربا مفرطا فلما برّح به الضرب قال : خلونى أصدقكم انا رجل من أهل السوس استدعاني أبو على ابن أستاذ هرمز وسلم اليّ هذا الملطف وقال لى : امض وتعرض للوقوع فى أيدى أصحاب بهاء الدولة فاذا وقعت وسئلت عن أمرك

فقل « انى رسول الفرخان الى الصاحب ومعي هذا الملطف » وأصرر على قولك وأصبر للمكروه ان أصابك فانى أحسن اليك . فعاد أبو على ابن اسمعيل الى حضرة بهاء الدولة وأخبره بالصورة وانها منصوبة [٤٤٧] فسكن قليلا وقال للحواشي : ان القول الاول هو الصحيح وان الضرب والمكروه أحوجا الرجل الى هذا القول الثانى

﴿ ذكر حزم اعتمده أبو على ابن اسمعيل في تلك الحال ﴾

رأى ان الاخذ بالحزم أصوب على كل حال وانفذ ابن مكرم والفتكين الخادمى مع عدد من الاتراك الى دستر وأمرهما بالنزول على الوادي للمنع حتى ان حضر من يحاول العبور دفعاه فسارا الى حيث امرهما وخيما به وأقاما أياما ووافي خرشيد بن باكاليجار [١] [و] الكوريكى فى عدة كثيرة من الديلم والرجالة فتقدم ابن مكرم والفتكين الى أصحابهما بقلع الخيم والتحمل لان عدتهم كانت قليلة وساروا حتي غابوا عن مطرح النظر ثم كمن الفتكين الخادمي والغلمان فى بعض المكامن الى أن عبر الديلم والرجالة وحصلوا معهم على أرض واحدة فحمل الفتكين وصاح الغلمان وارتفع الغبار وظن القوم [انهم] فى عدد كثير فتواقعوا فى الوادي منهزمين وقتل خرشيد والكوريكي وجماعة من أصحابهما . وكان ذلك فى اليوم الذى انصلح ما بين الديلم والسوس وبين بهاء الدولة ووقع التحالف ووصل من غد وقد اختلط الفريقان

وأما [٨] ما جري عليه الامر في دخول الديلم في طاعة بهاء الدولة فان أبا علي ابن اسمعيل كان قد اعتمد ما يعتمده من الرأي الاصيل وشرع فى استمالة قوم من العسكر الى طاعة بهاء الدولة . وترددت بينه وبين

(١) فى الاصل : باكجار

شهرستان مراسلات بوساطة بهستون بن ذرير وقرر الامر في اجتذابه واماالته ثم اتفق ان المعروف بنجاح الكردى المرتب في الطلائع ظفر بركابى ورد من شيراز فاخذه وأحضره عند أبي على أبن اسمعيل فسأله عن حاله فاخبره بالخطب الحادث بشيراز وأخرج كتابا كان معه من بنى زيار الى شهرستان يشرح ما جرت عليه الحال في قتل صمصام الدولة فلما وقف أبو علي ابن اسمعيل على الكتاب طالع بهاء الدولة مضمونه ثم أعاده على الركابي ليتمم الى حيث بعث ثم قال أبو على لبهستون: انه لم يبق لشهرستان بعد اليوم عذر فان كان على العهد فليقدم الدخول فى الطاعة . فمضى بهستون الى شهرستان وقرر معه ان يتحيز في غد ذلك اليوم مع ثلثمائة رجل من الجيل الى بهاء الدولة وتفارقا على هذا الوعد . فاحس فناخسره بن ابى جعفر بما عزم عليه شهرستان فقصده وخلا به.

﴿ ذكر كلام سديد لفناخسره بن ابى جعفر (٤٤٩) ﴾

قال لشهرستان: قد بلغني ما أنت عازم عليه وحالى عند بهاء الدولة الحال التى لاتخفي ونيته في النية التي تخالف وتحتمي ومتى عجلت فى الانحياز اليه هلكت وهلك الديلم باسرهم ويلزمك على كل حال صلاح امرهم فانظرنى ثلاثة أيام لاسبر جرح هذه القصة بمراسلة بهاء الدولة فان رجوت لها برأ واندمالا اتفقت معك في امضاء العزيمة واجتماع الكلمة وان تكن الاخري أخذت لنفسي وتوجهت أنا وأهلي الى بلدي ثم افعل ما بدا لك فاجابه شهرستان الى ذلك

وبكر أبو على ابن اسمعيل على رسمه الى الحرب متوقعا من شهرستان انجاز الوعد فراسله بالعذر المتجدد فضاق ابو علي بذلك ذرعا واعتقد انه كان سخرية ودفعا فقال له بهستون : ان مصداق هذا القول يبين عند غسق الليل فان جاء رسول

فناخسره فقد صدق شهرستان ووفا وان تأخر فقد كذب وغدر والموعد قريب . فلما جن الليل ورد رسول فناخسره برسالة يعتذر فيها من سابق الافعال ويطلب الامان على استئناف الخدمة في مستقبل الحال فأجيب بما يسكن اليه ووثق به .

ووصل في أثناء ذلك كتاب ابني بختيار الى أبي على ابن أستاذ هرمز يذكران فيه سكونهما اليه وتعويلهما عليه ويبسطان أمله كما يفعله مبتدىء بملك يروم أحكام قواعده وأركانه (٤٥٠) واستمالة اعضاده ويأمرانه باخذ البيعة لهم على الديلم قبله والمقام على الحرب التي هو بصددها . فاشفق أبو على بما سلف له من الدخول اليهما ولم يثق بوفائهما بعد قتل أخيهما وحقيق بمن قتل للملوك شقيقاً ان يكون على نفسه شفيقا . وبقي متلدداً في أمره متردداً في فكره مجيلا للرأي في صدره فرأى ان الدخول في طاعة بهاء الدولة أصوب والتحيز اليه أدنى من السلامة وأقرب

﴿ ذكر مادبره أبو علي ابن أستاذ هرمز في صلاح حاله مع بهاء الدولة ﴾

جمع وجوه الديلم وشاورهم فيما ورد عليه من كتاب ابني بختيار فاجمعوا رأيهم على الاعتزاء الى طاعتهما والثبات في حرب بهاء الدولة على ماهم عليه فلم يوافقهم على رأيهم وقال : ان وراثة هذا الملك قد انتهت الى بهاء الدولة ولم يبق من يجوز له منازعة بهاء الدولة فيه وان نحن عدلنا عنه الى من داره منا نائية ونيته عنا جافية أضعنا الحزم والصواب الدخول في طاعة بهاء الدولة بعد التوثق منه . فامتنعوا وقالوا : كيف نسلم نفوسنا للأتراك وبيننا وبينهم ماتعلم من الطوائل ؟ فقال لهم : اذا كان هذا رأيكم فاني أسلم (٤٥١) ما معي من المال والعدة اليكم وأنصرف بنفسي عنكم وأنتم لشانكم أبصر . وتقوض المجلس ثم وضع أكابرهم على مايقولونه ويفعلونه

وكان قد أنفذ الى أبي علي ابن اسمعيل من يلتمس منه شرابا عتيقا للعلة التي به فقال أبو علي ابن اسمعيل لبهاء الدولة : انه ما طلب منا شرابا ولكنه أراد ان يفتح لنا في مراسلته بابا . فانفذ بهاء الدولة رسولا يقول : انه قد كنت أنت والديلم معذورين قبل اليوم في محاربتي حين كانت المنازعة في الملك بيني وبين أخي فاما الآن فقد حصل ثاري وثاركم في أخي عند من سفك دمه واستحل محرمه فلا عذر لكم في القعود عني في المطالبة بالثار واستخلاص الملك وغسل العار . فكان من جواب أبي علي ابن أستاذهرمز [بعد] السمع والطاعة لقوله ان الديلم مستوحشون والاجتهاد في رياضتهم واقع وسأل في انفاذ أبي احمد الطبيب لمعرفة قديمة كانت بينهما فأنفذ اليه

﴿ ذكر كلام سديد لأبي علي ابن أستاذ هرمز ﴾

لما حضر الطبيب عنده قال له : قد علمت اصطناع صمصام الدولة اياي واحسانه الي وما وسعني الا الوفاء في خدمته وبذل النفس في مقابلة (٤٥٢) نعمته وقد مضى لسبيله وصارت طاعة هذا الملك واجبة علي ونصيحته لازمة لي وهؤلاء الديلم قد استمرت بهم الوحشة والنفور واستحكمت بينهم وبين الاتراك الترات والذحول وبلغهم ان الاقطاعات عنهم مأخوذة والى الاتراك مسلمة ومتى لم يظهر ما يزول به استشعارهم وتسكن اليه قلوبهم وبادرهم لم يصحب جنبهم فمضى الطبيب الى بهاء الدولة بالرسالة وعاد بالجواب الجميل الذي تسكن الى مثله وتردد من الخطاب ما انتهى آخره الى حضور جماعة من وجوه الديلم الى بهاء الدولة لاستماع لفظ بيمين بالغة في التجاوز عن كل اساءة سالفة وأخذ أمان وعهد بزوال كل غل وحقد . فلما طابت نفوس هؤلاء بالتوثق كاتبوا أصحابهم المقيمين بالسوس بشرح الحال .

وركب بهاء الدولة في ثاني اليوم الى باب السوس يتوقع دخول الكافة في السلم فخرج الديلم فقاتلوا قتالا شديداً لم يعهد مثله منهم فيما تقدم فضاق صدره وظن ان ذلك عن فساد عرض أو لامر انتقض فقال له الديلم: طب نفساً فالآن ظهر تسليمهم الامر اليك فمن عادتهم ان يقاتلوا عند التسليم أشد قتال لئلا يقدر انهم سلموا عن عجز او ضعف. وكان الامر على ذلك [٤٥٣] لأنهم استوثقوا في اليوم الثالث بنسخة يمين نفذوها الى بهاء الدولة فحلف بها هو ووجوه الاتراك.

والتمس الديلم لابى على ابن اسمعيل ان يحلف لهم فامتنع وقال: هذه يمين يدخل فيه الملوك وجندهم فاما الحواشي فهم بمعزل عنها. فلم يقنعوا بذلك فألزمه بهاء الدولة الحلف فحلف. وجلس بهاء الدولة للعزاء بأخيه ثم ركب بالسواد فتلقاه الناس وخدموه وصار اليه ابو على ابن أستاذ هرمز واختلط العسكران

ومن قبل ذلك بيوم او بيومين قتل الديلم أبا الفتح ابن الفرج نقيب نقبائهم

﴿ ذكر السبب في ذلك وما كان من مكيدة ﴾
(أبي على ابن أستاذ هرمز في امره)

كان هذا الرجل مقدما في العسكر فاستدعى ابو على ابن اسمعيل أخاه سهلان من بغداد وجعله وسيطاً معه ليستميله فلما استقر معه الدخول في طاعة بهاء الدولة قال لهم ابو على ابن استاذ هرمز: هذا ابو الفتح رجل شرير وهو خبير بأموركم واسبابكم وأصولكم وأنسابكم فان اجتمع مع ابى على أظهر له من أسراركم ما لم يطلع عليه ودله من اموركم على ما لا يهتدى [٤٥٤] اليه. فقالوا: سندبر امره. ثم اجمعوا رأيهم على قتله فقتلوه

ولما اختلط العسكران سار بهاء الدولة الى السوس ومعه ابو على ابن اسمعيل وحوله الديلم والاتراك

﴿ ذكر رأي طريف رآه ابو على ابن اسمعيل لا يأتم موجبه ﴾

لما قرب بهاء الدولة من مضربه عدل ابو على الى خيمته المختصة به ولم يتمم معه حتى ينزل على ما جرى به رسمه . ونزل بهاء الدولة وطلب الديلم ابا على فلم يجدوه وقالوا : من يكلمنا . وانتهى الخبر الى بهاء الدولة فأرسل الى ابي على يستدعيه فاحتج بعارض عرض له ولم يحضر فخرج بهاء الدولة بنفسه اليهم وكلمهم حتى انصرفوا

وأظهر ابو على ابن اسمعيل الاستعفاء واقام على امر واحد فيه حتى وقعت الاجابة اليه وكتب له منشور بعيشة التمسها فأذن له فى العود الى بغداد والمقام في داره وشاع هذا الخبر بين العسكر فركب وجوه الاتراك الى مضرب بهاء الدولة فأخرج اليهم الحجاب ليسألوهم عن حاجتهم فطلبوا لقاء الملك فأخرج اليهم اباعبدالله العارض ليتعلم منهم مرادهم فما زادوه على القول الاول فأوصلهم (٤٥٥)

﴿ ذكر ماجرى بين الاتراك وبين بهاء الدولة من الخطاب ﴾

لما دخلوا الى حضرته وقفوا وقالوا : يا أيها الملك قد خدمناك حتى بلغت مناك ولم تبق لك علينا حجة ولا بك الى مقامنا حاجة وما فينا الا من نفذت نفقته ونقصت عدته ونسأل الاذن لنا في العود الى منازلنا لنصلح حالنا ومتى احتيج الينا من بعد رجعنا . فأنكر هذا القول منهم وسألهم عن سببه فراجعوه وراجعهم حتى قالوا : هذا وزيرك الموفق الذى عادت الدولة اليك على يده واستقامت احوالنا بيمن نقيبته قد صرفته وما لنا من يشهد بمقاماتنا المحمودة عندك سواه ولا نجد في الوساطة بيننا وبينك من يجرى مجراه وليس من السياسة صرف مثله ولا قبول قول من يشير عليك ببعده . قال بهاء الدولة : ومن يريد ذلك . قالوا : الذي كتب له المنشور عنك وهو ن

خطبه عندك (اشارة الي أبي عبدالله العارض) قال: معاذ الله ان اقبل فيه قولا ولكنه لج فوافقته وسأل فأجبته والرأي ما رأيتموه من التمسك فكونوا الوسطاء معه في تطييب قلبه فانصرفوا عن حضرة[٥٦] بهاء الدولة الي مخيم ابي علي ابن اسمعيل وقد عرف خبرهم فحجبهم فراجعوه حتي أوصلهم فلما دخلوا عليه عاتبهم علي ما كان من خطابهم في معناه وقال: ليس من حقي عليكم ان تعترضوا علي بما لا أهواه. فقالوا: دع عنك هذا القول فان حراسة دولة صاحبنا التي بها ثباتنا وفيها حياتنا أولي من قضاء حقك في موافقتك علي غرضك. وما زالوا به حتي ركب الي مضرب بهاء الدولة فلقي منه ما أحبه وعاد الي عادته في تدبير الامور وتنفيذها

وأذن لجماعة من الاتراك في العود الي مدينة السلام وتوجه [مع] بهاء الدولة الى الاهواز

﴿ ذكر ما دبره أبو على ابن اسمعيل بالاهواز ﴾

أول ما بدا بالنظر فيه امر الاقطاعات وتقريرها بين الديلم والاتراك وعول في ذلك على ابى علي الرخجي الملقب من بعد بمؤيد الدولة واستقرت المناصفة. ثم امتنع ديلم دستر عن الدخول في هذا الحكم وكادت القاعدة تنتقض والاستقامة تضطرب والشر بين الفريقين يعود جذعا. فقام الرخجي في التوسط بينهم مقاما محمودا علي ان تكون أبواب المال في قصبات البلاد مقرة على من هي بيده وتكون المناصفة فيما عداها من الضياع[٤٥٧] والسواد فتراضوا بذلك

وأفردت له خيمة كان يحضر فيها ومعه فناخسره بن ابي جعفر وافتكين الخادمى ومن يتبعهما من وجوه الطائفتين فتولى تقرير المناصفات واخراج الاعتدادات واشتراك طائفة مع أخرى وكتب الاتفاقات فلم تمض ايام

قلائل حتى انتجز الامر على المراد

وكان الفرخان قد فارق الاهواز ومضى الي ايذج مستوحشا وأنفذ أبو محمد ابن مكرم اليه بما وثق به من الامان فأمنه وعاد به فلما ورد الفرخان خلع عليه أبو على ابن اسمعيل واستخلفه مدة بين يديه ثم سيره أمامه الى بلاد سابور والسواحل وأخرج شهرستان بن اللشكري في عدة كثيرة من العسكر مقدمة الي أرجان فصار اليها ودفع ابن بختيار عنها فلحق باخيه المقيم بشيراز

﴿ ذكر رأى أشار به أبو علي ابن اسمعيل علي بهاء الدولة ﴾

أشار عليه بان يستدعي الامير أبا منصور ولده ويرتبه بالاهواز ويضم اليه أبا جعفر الحجاج وان يسير بنفسه الى فارس واذا فتحها استدعى الامير ابا منصور واقامه فيها وانكفأ الى الاهواز فجعلها للامير ابى شجاع (٤٥٨) وقصد البصرة فاذا ارتجعها جعلها للامير ابي طاهر وعاد الى بغداد فاستوطنها ودبر امر الموصل منها. فلم يعجب بهاء الدولة هذا الراي وكان ابو علي قبل ان يفاوض بهاء الدولة فى ذلك فاوض ابا الخطاب حمزة بن ابراهيم فيه (وأبو الخطاب يومئذ ينوب عنه بحضرة بهاء الدولة) فقال له ابو الخطاب: أنا أعرف بأخلاق الملك وأغراضه والصواب لك ان تدعه بالاهواز وتسير أنت والعسكر الى فارس فاذا فتحتها أقمت بها ورتبت للنظر في الامور بحضرة بهاء الدولة من تأمنه وترتضيه فانك اذا بعدت عنه حصلت من تلك البلاد في مملكة واسعة وتصرفت على اختيارك من غير معارضة مانعة. فانه متى سار معك كنت بين ان تستبد برايك او تخالفه فتوغر صدره عليك ولا تأمن ما يكون من بوادره اليك وبين ان تصبر على معارضته لك فتجرع الغيظ منه بالاحتمال او تظهر من الاستعفاء ما يؤدي الى فساد الحال. فلم يقبل

أبو علي منه واستبد برأيه وعمل أبو الخطاب بالاحوط لنفسه وانحرف عن أبي علي ومال الى مطابقة بهاء الدولة فيما يتفق عليه

قد استمررنا على النهج في ذكر ما وجدناه في التاريخ ونحن نرى ان أبا علي أصاب في رأيه ولا نرى حزما فيما أشار به أبو الخطاب عليه من البعد عن حضرة ملك سريع (٤٥٩) التقلب في الاحوال كثير القبول للاقوال اذا بني معه أمر نقض واذا عقد معه عهد نكث فاذا كان الباني مع حضوره يخاف انتقاض بنائه فكيف يثق ببنائه اذا غاب عن فنائه ؟ وهل مجال الاعداء في الطعن على الوزراء وهم مقيمون في منصب عزهم كمجالهم اذا خلت الحضرة منهم ببعدهم ؟ كلا ان لسان الغيبة يطول عند الغيبة مع البعد عن بساط المراقبة والهيبة وكل مجر في الخلاء يسر[1]. فما أخطأ أبو علي فيما رآه وما عليه ان خانه مقدور فالقدر حتم والمرء معذور

غلام وغى تقحمها فابلى * فخان بلاءه الزمن الخؤون
وكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ماجنت الظنون

وأطرف من ذلك مشورة أبي الخطاب عليه باستخلاف من يأمنه بالحضرة ليحفظ عنه وأين الامين الذي يرعى العهد اذا لابس الحل والعقد ؟ أليس أبو الخطاب وكان نائبه وصنيعته جحد احسانه وطلب مصلحة نفسه فتبرأ منه وخانه ؟ وكذلك كل ذي ثقة اذا استحلى الدنيا [صار] ظنينا وكل ذي مقة اذا حسد[2] صار عدوا مبينا . ورب أخ قد شاق في الحسد أخاه بل ربما ولد عقّ في طلب الرتبة أباه ومثل ذلك موجود (٤٦٠) نشهده ونراه . وانما

(١) تفسير المثل عند الميداني (طبع بيروت ١٣١٢) ٦ : ١٠٦
(٢) وفى الاصل : حسد الدنيا

كان خطأ أبي علي في افراط اعجابه وكثرة ادلاله وشكاسة أخلاقه ومنافسته لولي نعمته فالملوك لايشاكسون وأولياء النعمة لا [1] ينافسون . ومع ذلك فلكل أجل كتاب والصواب مع الشقاوة خطأ والخطأ مع السعادة صواب

والناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهي ولام المخطئ الهبل

ونعود الى سياقة الحديث

ولما استقر ما بين الديلم من المناصفات عول على أبي جعفر الحجاج في المقام بالاهواز وسار بهاء الدولة وابو علي الى الموفق الى رامهرمز وتقدم ابو علي مع العسكر وصار اليه أبو جعفر أستاذ هرمز في بعض الطريق هاربا من ابن بختيار

﴿ ذكر خلاص أبي جعفر أستاذ هرمز ﴾

قد تقدم ذكر حصوله في قبضة ابن بختيار فقرر أمره على الف الف درهم وأدى أكثرها ثم حصل عند لشكرستان كورمو كلا به مطالبا بالبقية فاحتال صاحب له طبري في الهرب به الى دار أحد الجند ثم أحضر قوما من الاكراد وأخرجه اليهم فساروا به وألحقوه بابي علي ابن اسمعيل. (٤٦١) وطوى ابو علي المنازل حتى نزل بباب شيراز

﴿ ذكر فتح شيراز ﴾

لما نزل ابو علي بظاهر البلد برز ابن بختيار في جنده ورجالته وعسكر بازائه ووقعت الحرب بينهما فتضعضع ابن بختيار في اليوم الاول وصادف عساكر بهاء الدولة وغدر به كثير من الغلمان ودخلوا البلد ونهبوا بعضه ونادوا بشعار بهاء الدولة .

وكان ابو احمد الموسوي بشيراز على ما تقدم ذكره في مسيره من واسط اليها وظن ابو احمد ان امراً قد تم فاستعجل وركب الى المسجد الجامع وكان يوم الجمعة فاقام الخطبة لبهاء الدولة . ثم ثاب ابن بختيار وعسكره فخاف أبو احمد واحتال

(١) وفي الاصل : لاولياء النعمة ولا

لنفسه وقعد في سلة وحمل مغطى حتى أخرج الى معسكر أبي علي ابن اسمعيل

وعادت الحرب في اليوم الثالث بين الفريقين فلم يمض من النهار بعضه حتى استامن الديلم الى ابي علي وهرب ابن بختيار ناجياً بنفسه وتبعه أخوه في الهرب فاما أحدهما وهو ابو نصر فانه لحق ببلاد الديلم وأما الآخر فانه مضى الى بدر بن حسنويه ثم تنقل من عنده الى البطيحة وملك ابو علي البلد وكتب الى بهاء الدولة بالفتح واتمام المسير فسار الى شيراز واستقر في الدار بها (٤٦٢)

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر بعد هذا الفتح ﴾

لما حصل بهاء الدولة بفارس أمر بنهب قرية الدودمان وحرقها وقتل كل من وجد بها من أهلها حتى استأصل شافتهم . وكشف عن رمة صمصام الدولة وجددت أكفانها وحملت الى التربة بشيراز فدفنت بها وأحسن الى فاطمة الدودمانية خاصة وبرها ووصلها . وذلك ثمرة فعلها الجميل فان المعروف شجرة مباركة أصلها زكي وعودها رطيب وورقها نضير وما خاب من غرسها وسقاها ولا ندم من حفظها ورعاها

فاجتمع ديلم فارس جميعهم بشيراز وجرى الخوض في أمر الاقطاعات وارتجاع ما يرتجع منها واقرار ما يقرر وترددت في ذلك مناظرات

﴿ ذكر تقرير الاقطاعات وتوفير في المصارفات ﴾

تقرر ان تجعل أصول التقريرات مصارفة ثلاثمائة درهم بدينار وان ينظر (٤٦٣) مالكل رجل من الايجاب الاصلي فيعطى به من الاقطاع الذى في يده ما يكون ارتفاعه بقدره على هذا الصرف ويرتجع الباقي وان يبطل كل ما كان وقع به في آخر أيام صمصام الدولة . وجرى الامر على ذلك في معاملته الاواسط (١)

---

(١) وفى الاصل : الا بواسط

والاصاغر فاما أكابر الديلم فان أبا علي ابن اسمعيل أعطاهم حتى ملأ عيونهم . وعرفوا مذهبه في العجب والكبر فوضعوا له خدودهم وخدموه خدمة لا يستحقها الملوك فضلا عن الوزراء فكانوا يقبلون الارض اذا بصروا به والى ان يصلوا اليه عدة مرات ويمشون بين يديه اذا ركب كما تمشي أصاغر الديلم . وزاد الامر بهفيما أعطاهم من الاموال وأعطوه من الطاعة والانقياد وكل زيادة تجاوزت حد الاستحقاق فهي نقصان وكل عطية سلبت نفع الارتفاق فهي حرمان

وعول على أبي غالب محمد بن علي بن خلف في النيابة عنه وقدمه واصطنعه وفرق العساكر في النواحي وأخرج أبا جعفر أستاذ هرمز الى كرمان واليا عليها وقبض على ألفتكين الخادمي

﴿ ذكر السبب فى القبض على الفتكين (٦) ﴾

كان أبو على ابن اسمعيل يرعى انلمح ما أسداه اليه من جميل في استتاره ببغداد فقدمه ونوه بذكره وثقل ذلك على الفتكين وأضمر به استيحاشا منه . واتفق ان أبا على في بعض مواقفه بباب السوس قال لالفتكين : ياحاجب الحجاب قد عزمت على (١) أن أمضي في قطعة من الجيش الى وراء السوس وأدخل أطراف البلد فان الديلم اذا عرفوا خبرنا اضطربوا وانصرف قوم منهم الينا فتشوشت تعبيتهم فاذا بدت ذلك الفرصة وأمكنتك الحملة فاصنع ما أنت صانع . وقرر ذلك معه وترك أبو على علامته بحالها ودار من وراء الديلم ومعه نجب من الغلمان وغيرهم ودخل شوارع السوس فانفصل من العسكر الصمصامي شهرستان فى خمسمائة رجل وتلقاهم واقتتلوا قتالا شديداً واضطرب مصاف الديلم ولاحت الفرصة لالفتكين فى الحملة فتوقف عنها غيظا من أبي على الموفق لانه كره

(١) وفى الاصل : الى

ان يتم أمر على يده فنقم أبو على هذا الفعل عليه وأسره فى نفسه .

وحصل على باب شيراز بازاء ابن بختيار فظهر من الفتكين من التقاعد قريب مما تقدم فلما تم أمر الفتح وورد بهاء الدولة واستقرت الامور عمل فى ابعاده فندبه للخروج الى بعض الكور وأمره بالتأهب وحمل اليه عشرين الف درهم نفقة . فأحضرها (٤٦٥) النقيب والفتكين شارب ثمل فتكلم بقبيح أعيد على الموفق فاغتاظ منه وقال لبهاء الدولة : هذا الغلام كالعاصى علينا والصواب القبض عليه واقامة الهيبة فى نفوس الغلمان به . فأذن له فى ذلك فقبض عليه وحمله الى القلعة

﴿ ذكر حيلة لطيفة كانت سبباً لسلامة الفتكين ﴾

اجتمع الغلمان ليخاطبوا في أمره فانتدب أحد وجوههم لأبى على وقال له : نحن عبيدك وأمرك نافذ في صغيرنا وكبيرنا وما نطالبك بالافراج عنه وقد أنكرت ما أنكرت منه ولكنا نسالك ان تهب لنا دمه وتعطينا يدك على حراسة نفسه . فقال : أما هذا فنعم . وأخذوا يده على ذلك وتوثقوا منه فلما عرض لابي على المسير في طلب ابن بختيار حين عاد من بلاد الديلم الى كرمان اجتمع اليه خواصه ونصحاؤه وقالوا : ليس من الرأي ان تخرج في مثل هذا الوجه وتترك وراءك مثل هذا العدو . واشاروا الى الفتكين فقال : ما كنت لأبذل قولي فى امر ثم ارجع عنه

﴿ ذكر أغلاط لابى على ابن اسمعيل (٤٦٦) كانت سبباً لفساد حاله ﴾

أدل أبو على بعد فتح شيراز على بهاء الدولة ادلالا أفرط فيه وتجبر تجبراً لا توجبه السياسة ولا تقتضيه واطرح ما يلزم في خدمة الملوك من التقرب اليهم والتوفر عليهم وسلك خلاف هذه الطريقة وخرج من حد المتابعة والموافقة الى المنافقة والمضايقة من غلطاته ان أحد النبهاء قال لبهاء الدولة

في مجلس أنسه على سبيل الدعابة . زينك الله يامولانا في عين الموفق وبلغه ذاك فطالبه بتسليمه اليه ودوفع عنه فلم يندفع وأقام على الاستعفاء حتى سلم اليه فبالغ في عقوبته . ومنها انه وقع بين غلمان داره وبين غلمان الخيول الخاصة ما يقع من أمثالهم بين أمثالهم عند اللعب بالصوالجة فغلق بابه ومنع العسكر من لقائه ولم يقبل مشورة أحد من خواصه وراسل بهاء الدولة فقال للرسول : ياهذا ان المخاطبة لي على غلمان داري قبيح وان التعصب عليّ لاجل منابذة جرت بينه وبين غلمانه أقبح وتسليمهم اليه ليشفي صدره منهم أقبح وأقبح فارجع اليه بالمعاتبة اللطيفة وعرفه ما عليه في هذه المراسلة الطريفة فمضت معه خطوب حتى أمسك . ومنها ان بهاء الدولة كان يجلس في الجوسق الذي في دار الامارة بشيراز وهو مشرف على الميدان ويجتاز أبو علي فيه (٤٦٧) راكبا وبين يديه أكابر الديلم مشاة فلا يرى ان يترجل وبهاء الدولة يراه وينفطر غيظا منه . ومنها انه أنفذ اليه بعض خواصه في ليلة نيروز يلتمس منه ثلاثة آلاف درهم فقال للرسول : لاي حاجة يريدها للخبز أو للحم أم للشعير ؟ فقال له الرسول : أيها الوزير لايحسن ان يكون جواب الرسالة غير حمل الدراهم . فقال له : ماههنا مال . وخاف الرسول ان تجري منافرة يكون هو سببها فحمل الدراهم من ماله وعرف بهاء الدولة ذلك من بعد

فانظر الى عجب الزمان وتقلب الاعيان : هذا أبو علي هو الرجل الذي تكلف واستدان وحمل الى بهاء الدولة من بغداد ما امتنع من حمله ابن عمر وابن صالحان فقربت من قلبه منزلته وعلت لديه درجته ورتبته ثم ينتهي الامر به الى ان يطلب منه بهاء الدولة في ليلة نيروز هذا القدر النزر مع اتساع حاله وتبذخه على الديلم بعطائه ونواله فيمنعه ! هل ذلك الا لحادث قد يغطى على

كل بصيرة وبصير ؟ فشتان بين ابتداء السعادة وانتهائها لقد أحسنت أيامه في اقبالها وأساءت في انفصالها والخبر المأثور مشهور اذا أقبلت الدنيا على قوم كستهم محاسن غيرهم واذا ولت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم

وكان أبو غالب ابن خلف في خلال هذه المضايقات يحول الى بهاء الدولة الدنانير الكثيرة في الاوقات (٤٦٨) المتفرقة سراً فتمهدت له بذلك حال راعاها وكانت أكبر وسائله عنده وتأكدت الوحشة بين بهاء الدولة وأبي علي وجرى أمره على ما يأتي من بعد ذكره بمشيئة الله تعالى

وفي هذه السنة قبض بكران بن بلفوارس على الحسين بن محمد بن مما نقيب نقباء الديلم ببغداد ثم أفرج عنه

﴿ ذكر الحال في القبض عليه ﴾

كان بكران مستنابا من قبل بهاء الدولة ببغداد على أمور الديلم فاستوحش من ابن مما وسعى بينهما سعاة بالفساد فقبض عليه بغير أمر من بهاء الدولة واعتقله في داره ووكل به كوشيار بن المرزبان مع جماعة من الديلم وضيق عليه وقلد أبا الحسين ابن راشد نقابة النقباء وأنزله في دار ابن مما وقيل انه هم بالفتك به . فتوسط أبو الفتح منصور بن جعفر أمره وضمن عنه عشرين الف دينار وأخذه الى داره وأقام خطوطا وكفالات بالمبلغ . وعرف الشريف ابو الحسن ابن عمر ما اقدم عليه بكران فأنكره واطلق لسانه في بكران وفي ابن راشد بكل عظيمة وكتب الى بهاء الدولة والى ابي علي ابن اسمعيل بذلك (٤٦٩)

﴿ ذكر سياسة قامت بها الهيبة في الافراج عنه ﴾

لما وصلت الكتب الى ابي علي ابن اسمعيل امتعض الامتعاض الشديد وكتب الى بكران بما أغلظ القول فيه والى الشريف أبي الحسن بانتزاع

ابن مما من يده وارتجاع الكفالات المأخوذة بالمال منه وكتب الى احمد الفراش بملازمة بكران الى ان يفرج عن الرجل . فامتثلت الجماعة مرسومه وأفرج عن ابن مما ورُدَّت عليه الكفالات وانحدر الى الاهواز وجدد عهدا بالخدمة وعاد موفوراً . واستدعى بكران وأنفذ شيرزيل أخوه الى بغداد ليقوم مقامه وقبض على كوشيار وحل اقطاعه ووفيت السياسة حقها في ذلك

وفيها توجه الامير ابو منصور ابن بهاء الدولة الى الاهواز

وفيها استولى الامير ابو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعدان واقع عبدالملك بن نوح بن منصور ومن في جملته من توزون وفائق وابن سمجور بظاهر مرو وهزمهم وأقام الدعوة لأمير المؤمنين القادر بالله رضي الله عنه على منابر تلك البلاد وكان آل [سامان] مستمرين على اقامتها للطائع لله .

وورد كتاب أبي القاسم (٤٧٠) محمود الى القادر بالله رضي الله عنه يذكر الفتح على ما جرت به العادة في أمثاله

انقضت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وبانقضاء أخبارها ختمنا هذا الكتاب ومن الله تعالى نرجو أحسن التوفيق والهداية للصواب وبه سبحانه نعوذ من شر القصد وخيبة المنقلب وآفة الاعجاب وهو حسبنا ونعم الوكيل

آخر ماصنفه الوزير أبو شجاع رضي الله عنه وارضاه والحمد لله كثيرا

KASHMIR UNIVERSITY
Iqbal Library
Acc No. 305741
Dated 3-5-88

ALLAMA IQBAL LIBRARY
305741

بيان الكتب التى تم طبعها بمعرفتنا بالمطبعة الاميرية

شرح تحرير الاصول مع شرح منهاج الاصول. كشف الاسرار مع نور الانوار وقمر الاقمار. شرح تهذيب الكلام مع حاشية المحاكمات. شرح المسايرة لابن الهمام مع حاشية القاسم. شروح التلخيص يعني عروس الافراح ومواهب الفتاح والايضاح وشرح السعد وحاشية الدسوقى عليه. شفاء السقام للسبكى. آراء مدينة الفاضلة للفارابى. مشكاة الانوار للغزالي فتاوي الغياثية مع فتاوي ابن نجيم. الحكمة في مخلوقات الله للامام الغزالى. محك النظر له. الاقتصاد في الاعتقاد له القسطاس المستقيم له. فيصل التفرقة له. تأسيس النظر للدبوسي ما بعد الطبيعة لابن رشد. الكلم الروحانية لابن هندو

تحت الطبع بمطبعة بولاق

شروح المفتاح للسعد والسيد والقطب. حواشي البيضاوي للسيوطي وعبد الحكيم وجلبي. حواشى شرح الشمسية للسيد وعبد الحكيم والدسوقي وعصام والجلال وتقرير الشربيني على عبد الحكيم وشرح السعد على الشمسية

ALLAMA
IQBAL LIBRARY
UNIVERSITY OF KASHMIR
HELP TO KEEP THIS BOOK
FRESH AND CLEAN